

مُحَمَّدٌ

النبي الثاني

عاطف الحكيم



إهداء  
إلى الغضب الساطع  
إلى أجراس العودة  
إلى فيروز  
أهدي قلمي

إهداء  
إلى أمي المعذبة، إلى وجه أمي.

أول ورد الكتاب هدية أمي:  
آه بني،  
هب. أمي نائمة والشمس أضحت أيقظها.

## توطئة

كثيراً ما سمعنا ونسمع أصواتاً تأتي من هنا ومن هناك تتادي بالعودة إلى الجذور، وتحثنا على النهل من معين التراث العربي الوفير: العتيق والأصيل. والأصالة لوحة فسيفسائية ذات لونين: أسود وأبيض، علمي وديني.

وكثيراً ما هبّت وتهب أصواتٌ أخرى مشاكسة أو معاكسة آتية من هنا وهناك رافضة تلك العودة، وداعية إلى ضرورة اللحاق بالغرب وتحديث العقل العربي المعاصر، بحجة أن مشاكل العصر تحل بعقل الحاضر وليس بعقل الماضي البالي والمترهل.

وأكثر تلك الأصوات كانت تتصادم فتحدث ضوضاء وتولد تخلخلاً في الفكر وخللاً في الروح.

تلك الأصوات برمتها لم تنجح لا في العودة إلى التراث والغور في جذوره، ولا في تحديث العقل العربي؛ إذ أنها لم تقدم للمواطن العربي أي نتاج فكري جديد يفي الوطن والأمة بعض حقهما علينا في الوجود.

طبعاً، ولا ننسى أبداً بعض نتاج عصر النهضة، خاصين بالذكر جبران خليل جبران، وعبد الرحمن الكواكبي، وأنطون سعادة... وغيرهم ممن أعطوا بصمت.

ونادت تلك الأصوات حتى بُحت وذهبت مناداتها أدراج الجدل، لا زهر يعقد، ولا ثمر ينضج. وكما نعلم ونتيقن ونؤمن ونعتقد ليس كل مناداة تدخل الشعب ملكوت الحرية. وما فتئ سمّ الإبرة ينتفخ ويتسع حتى لم يعد يدخل منه جمل وحسب إنما دخلته قافلة من الجمال العربية الهائلة الشاردة الحاملة حيناً، اليائسة حيناً آخر.

أمام هذا اليأس، وقبالة هذه الأحلام رغبنا أن أرد للوطن اليسير من حقه علينا نحن العرب، الذين لو فعلنا لغيرنا إرادة الحياة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إرضاء لغرور فكر الأصوليين، ودغدغة شعور المحدثين. ذلك بتقديم نتاج فكري للأصوليين فيهبوا قائلين: هذه هي الأصالة، وللمحدثين، فيهتقوا هذا هو الإبداع. وأنا بين هؤلاء وأولئك غريب عن الوطن الذي يبنون وعن التاريخ الذي يقدمون. وما قرأت ما قرأت، ودبجت ما دبجت إلا في سبيل أمة الضاد العربية الجريحة، التي تأبى السقوط.

وانكببت على التاريخ أخطب أبوابه مع الأصوليين، ليس من أجل العودة إلى الوراء ألفين، أو ثلاثة، أو عشرة آلاف من السنين، أحذف وأنتقي، بل من أجل دفع هذه الآلاف أمامنا لتكون لنا منارات وحوافز.

وسعيت على جادة الفكر مع المحدثين، ليس من أجل أحلام بائسة أو خيالات يائسة واقعية غربية، أو وجودية أوروبية، بل من أجل الإمساك بزمام المستقبل وترويضه، ومن أجل حاضر أمة عربية تسعى في سبيل غدها.

وحين لمست ضالة الإنسان العربي المغترب الدين والدنيا، سهّل عليّ إيجاد ترياق اغترابه، كتاباً استخرجناه عواطف وأصالة وعقلاً، علّنا نمضي خطوة إلى الإمام.

فكان كتاب محمد النبي الثائر.

ليس ضالة الإنسان العربي اليوم الآخر، ولا غايته جنة عرضها السماوات والأرض، لا، ولا أربه أحلامٌ ذهبية تبوأه سيّداً للعالمين، كما ليس هدفه مدح زيد أو ذم زيدون، إنما كل همه، وباختصار، دولة عظيمة تكسبه عزته في الحياة، وشرفه وكرامته.

هل تلك الدولة موجودة في التاريخ، ولها هوية؟

أجل وُجدت تلك الدولة في التاريخ، وما هي إلا إرادة السومريين والأموريين والحواريين والآشوريين الكنعانيين. وقد أصبحت تلك الدولة بذرة مع عيسى، وغدت شجرة وارفة مع محمد. ونقصد بها الدولة العربية، الباسطة الجناح، الشامخة الرأس، على أن جسدها الأمة العربية، وعاصمتها دمشق، أو بغداد، أو بيروت، أو أنطاكية، أو القدس، أو أي شبر ينطق الضاد.

الشجرة قد زرعها محمد لا شرقية ولا غربية، إنما عربية خالصة، واعتنى بها بعقل سياسي خالص، ونبؤه سياسية خالصة. محمد، ذلك العربي الأصيل كان ثورياً من الطراز الأول، وسياسياً من الطراز الأول، والزعيم القائد من الطراز الأول. هو النبي النبي؛ وقد سلبه رجل الدين المسلم، والمجتهد المسلم، والإمام المسلم، والشيخ المسلم والمنظر المسلم كل صفات القيادة والريادة والزعامة، مبقياً له صفات الطقوس والعبادات؛ وهل تكفي الطقوس لمن أراد بلاده حرة أبية؟ قبل أن نتسك ونقعد لكتابة محمد النبي الثائر، راودني سؤال، أو بعض أسئلة تتمحور في سؤال واحد، ألا وهي:

إذا كان محمد يقيناً، هو من أسس لدولة عظيمة بمستوى الإمبراطورية فكيف صدف أن تخلو السيرة النبوية من كل ذكر لتلك الدولة؟

إذا كان النبي الثائر قد قوض إمبراطورتي روما وفارس، ثم بنى على أنقاضهما الإمبراطورية العربية فكيف صدف أن التاريخ العربي لم يأت على ذكر تلك الإمبراطوريات الثلاث المقوضة والمبنية إلا يسيراً؟

إذا كان النبي الزعيم قد سير الجيوش وبعث السرايا، كأن أرسل الجيش بقيادة ثلاثة من قادته: عبدالله بن رواحة، وزيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب لمحاربة جيش روما في الشام، بقيادة هرقل. ثم أرسله ثانية إلى فلسطين بقيادة زيد بن أسامة لمحاربة روما، وحارب الجيش روما وانتصر في معركة باقية على التاريخ، ألا وهي معركة اليرموك بقيادة خالد بن الوليد، فكيف صدف أن يخلو القرآن أولاً، والحديث النبوي والسيرة ثانياً، والتاريخ العربي ثالثاً من ذكر تلك الحرب، مع العلم أن القرآن قد أتى على ذكر أمم منسية في التاريخ مثل: ثمود، وعاد...؟

إذا كان النبي الزعيم قد لمس أن واقع العالم العربي، أربع أمم متقاربة متحدة، فكيف حدث للعقل العربي الحديث والمعاصر أن أهمل ذلك العالم القائم، فمزقه وشوّهه؟

كثيراً ما سمعنا الأصولي والعقل العربي يناديان بزيغ التاريخ وزوره، إنما لا الأصولي ولا العقل العربي قالوا لنا كيف هو مزيف؟ وكيف هو مزور وأين تقع مواقع التزوير وأين تقوم قائمة الزيف، وبالتالي ما هو التاريخ العربي الحقيقي الذي يعترف به كل من الأصولي والعقل العربي هذا، وليس بمستحيل على العقل العربي المعاصر ملامسة تلك الحقائق، واستنباط تاريخنا الناصع من بين الأنقاض، وبعثه من تحت الرماد والركام، واستنتاج الحقائق العربية من الظلمة، إذ منها انبثق النور، ومن الطين خرجت الحياة.

هذه الأسئلة وغيرها كانت صرخة الولادة: ولادة هذا الكتاب.

عطفاً على ما تقدم نقول: إذا نزهنا السيرة النبوية من شوائبها وعلائقها، ونقصد رتابتها في الصلاة على محمد، والسلامات لأهل البيت والأئمة المعصومين، والمرضاة لأهل الصحابة، والإطناج للسلالة الدموية؛ من آدم حتى محمد. هل يسهل علينا قراءة السيرة النبوية؟ وبالتالي هل يتيسر لنا تاريخنا العربي الناصع من جديد، وإخراجه للناس ليكون حافزاً وهمة؟

والجواب نعم.

والسؤال هل السيرة النبوية عائق للعقل العربي أمام التطور والفعل في الحياة، والحركة في الوجود؟

الجواب أجل.

خذ مثلاً سيرة ابن هشام، الذي نقلت عنه أكثر السير الحديثة. إن هذا الكتاب قد قاربت صفحاته الألف صفحة، فإذا ما جردناه من شوائبه لما زاد في النشر عن مائتي ورقة. ونؤكد إذا ما جردت السير من شوائبها لشفي العقل العربي من بلباله وأوهامه، وهب من بلادته وطوباويته عقلاً علمياً علمانياً وعملياً، منيراً ومستثيراً، يفعل في الحياة ويغير في الوجود.

أما السؤال الفاصل والبين والذي يطرح نفسه بوضوح في هذا السياق فهو: إذا كانت كتب السيرة مملة فكيف ولد كتابنا «محمد النبي الثائر» مع العلم أن مرجعه الوحيد هو سيرة ابن هشام نفسها؟

العقل كما تعلمون يقرأ بين السطور أما العين فإنها تقرأ السطور نفسها؛ ولهذا فقد جلدنا على أنفسنا وقرأنا كتابين من كتب السيرة، الأول: سيرة المصطفى لهاشم معروف الحسني، وهو الذي

حثنا على قراءة سيرة ابن هشام. ولمسنا الملل الذي ينتاب العقل العربي عند قراءتهما. وأخذنا على أنفسنا أن نكتب سيرة نبوية جديدة، مصدرها سيرة ابن هشام دون غيرها من السير، وكان منهجنا في الكتابة أن نقرأ عشرة صفحات من السيرة المذكورة ثم نختزل هذه الصفحات العشرة، ومثلما يختزل عالم المعادن التراب إلى معادن نفيسة وأحجار كريمة، كنا نختزل الصلوات والسلامات والطقوس والحكايات إلى علم وعمل وحياة. وهكذا كان.

وولد كتاب محمد النبي الثائر بعد مخاض دام من الشهور أربعة وعشرين، وبمساعدة قابلة العلم والنقد والفكر، بعيداً عن شعوذة السحرة، وهرطقات الوصوليين والنفعيين ممن يشترون بآياته ثمناً قليلاً، منزهاً عن حجابات الشيوخ، مطهراً من كذب المنجمين. ولد وكل غايته العطاء لا الأخذ.

ثم رأينا أن يقدمه للقارئ العربي رجل الدين، ومن غيره يقدم فكراً جديداً؟ أما لماذا رجل الدين؟ فنقول: إن رجل الدين قد سلب العقل العربي إرادته، وسلبه حريته، بعمد أو دون عمد، هيمن عليه وسيطر، يستعمره بالصلاة والصوم، ويستعبده باليوم الآخر. وبما أن كتابنا يحمل اسماً جديداً، مخالفاً للرأي العام، فإن الانطباع الأول الذي سيتركه الكتاب عند الناس هو السلب. فإذا قدّمه رجل الدين بطل السلب أن يكون سلباً وانقلب إيجاباً، وقرأه قبل الحكم عليه، (على كتابنا هذا) وبعد قراءته تفاعل ونظر إلى الحياة بعين الدولة لا بعين العائلة والعشيرة، بعين الأمة لا بعين الطائفة والدين، وطلب الوحدة، ورغب في الاتحاد، وهذه هي غايته من "محمد النبي الثائر". لذا، حملناه إلى عدد من رجال الدين، أولهم سماحة السيد حسن نصر الله، الذي اعتذر عن التقديم للكتاب، واستردناه بعد حجر إفرادي دام ثلاثة أشهر بحجة الوقت.

ثم حملناه إلى سماحة السيد محمد حسين فضل الله الذي اعتذر عن التقديم له أيضاً، قبل الإطلاع على عنوانه بحجة المرض، وحين أصررنا بحاجتنا إلى رأيه ولو شفويّاً وهو أضعف الإيمان، طلب إلى أمين سره أن يقرأه ويستخلص للسيد رأيه في الكتاب، وقرأه الشيخ أمين السر، فاستحوذ على مجمل عقله، وسلبه فطرته قبل علمه، إنما رفض، أو رفضاً التقديم للكتاب بحجتين: الأولى، أن كم صفحات الإمام عليّ تتساوى في العدد مع بقية صفحات رجالات الصحابة، ثانياً، أن السيد قد قال كلمته.

صبرنا، وحملناه الثالثة إلى مفتي دمشق سماحة الشيخ سعيد رمضان البوطي. لم نتواصل وجهاً لوجه، تواصلنا هاتفياً، وهاتفياً اعتذر عن التقديم له بحجة قسم كان قد أملاه على نفسه. ورابعة حملناه إلى مفتي لبنان سماحة الشيخ محمد رشيد قباني. فاعتذر عن التقديم للكتاب بحجة الوقت واسترجعناه بعد حجز دام سنة.

اعتذروا، إنما السادة الأربع شجعوني على المضي قدماً، وتمنوا عليّ أن لا أهمل هكذا عمل عظيم تقتقر إليه المكتبة العربية!؟

والسؤال، هل حملناه إلى رجل الدين المسيحي؟

والجواب لم نحمله، إنما حبذا ويا ليت...

وهل يؤسّر؟ لا لم أياس...

سيدي القارئ العربي، عموماً وخصوصاً، هذا كتابنا "محمد النبي الثائر" هدية نقدمه لكم، وبكل تواضع واحترام، كتاباً فلسفياً، أو أدبياً، أو علمياً، أو شعرياً، أو تاريخياً، أو ضميرياً، أو وجدانياً. خالياً من مبهرجات العيد، ومفرقات الحفل. أملين أن ينال منكم المكانة الكريمة وليس لسبب سوى بعث أمة نعاها أعداؤها قبل موتها. كتابنا هو ردّ بعض دين الوطن على أبنائه الشرفاء، وبمقولة «يا حق ما تركت لنا صديقاً» نقول: لا يفنقر العربي إلى كتاب أو فيلسوف أو نبي، كما لا يحتاج إلى دستور، أو قانون، أو نظام. كل الذي يحتاجه العربي هو وجدان وضمير. وهذا وجداننا. وهذا ضميرنا.

## محمد النبي الثائر الفصل الأول

### نظرة ثائر:

مثلما اتجهتم صوب النبي وأتقنتم فن الصلاة، اتجهوا صوبه وأتقنوا فن الثورة.  
برز لروما، وأمسك أطرافها في الحجاز من بلاد الشرق. شدّ وجذب، فتزعزعت  
الإمبراطورية في إيطاليا من بلاد الغرب.  
عظمته ليست لأنه رجل سماء وحسب. إنما عظمته أنه رجل أرض... وله معجزات،  
معجزته أنه قاد الجهلة الأميين باتجاه الصرح القيصري مرة، ومرة باتجاه الصرح الكسروي  
ودك إمبراطوريتين. وبنى فوق الأنقاض إمبراطورية عربية مشرقية.  
إن الذي سقط في زاما أفريقيا، ومات في دمشق الشام، انبعث في مكة الحجاز وثار لزاما.  
إن الذي بُشِّرَ به أمه تحت النخلة، وتكلم في المهد، وانتهى على الصليب، وقام في اليوم  
الثالث وسحق رأس الأفعى واقتلع الشرير... واليوم بمئتي سنة مما تعدون.  
هل عرفتموه؟

### النسب:

#### "نسبي الأخلاق"

التقيت محمدا فحدثني عن نسبه قال:  
نظرت إلى السماء أبحت عن نسبي فرأيت مجموعة المثل، أجدادي لأبي ولأمي، وبالتسلسل  
من أبي الذي غادر داره قبل أن تتطبع صورة وجهه على لوح عيني، وحتى آدم ما فتئ تراباً. ثم  
نظرت إلى الأرض، فرأيت أولادي مجموعة المثل قد نمت ومشيت في الزمن بخطى وثيدة مرة،  
وحديثة أخرى، ثم نظرت ثالثة أخرى أفقياً، فرأيت أجدادي يلاعبون أحفادي، وهم بين الجد واللهو  
تارة ويكون وتارة يضحكون.  
هذا نسبي، أما أنسابي فاصبر أعرفك بهم. بشري أنا، أتباين والناس وأتوافق.  
فمن حيث التباين فأنا أتميز عنهم بأنني أدين بالحياة إلى ثلاث نساء امهات: الأولى ولدتي،  
والثانية أَرْضَعْتِي، والثالثة رَبَّتِي. وأدين بالوجود إلى ثلاثة رجال آباء: الأول زرعتني، والثاني  
كفاني، والثالث تعهدني.  
بني، الناس عيال الكلمة، والكلمة أبوهم.  
عيال ليس آباء وأبناء وإنما اخوة حياة ورفقاء غاية، انهم كلمة أبدية: الأول رفعها،  
والثاني جسدها، وأنا أنزلتها وسيأتي من يرفعها. وهذا هو التوافق.



جدي قرنني باسمي محمد، والعالم يناديني المصطفى، وقريش كنتني الأمين، وأخي عيسى ذكرني المنحمن<sup>(1)</sup> «أحمد»، أما أنت فأحب أن تتاديني: الثائر. أقربائي أكثر، أما أشدهم قرابة إليّ. فلا أحد منهم يقربني، أنا قريب نفسي، ونفسي أشدهم قرابة إليّ.

لا تتأفف من العدد، فالعدد كان في الزمن الهأ، واليوم تجسد واصبح انسانا، وانت للعدد حاجة وهو لك أيضاً من أجل بذورك وعملك. البعض يقول لك: النوع وليس العدد، والنوع قليل. عدد ونوع، وما الضرر؟! هذا البعض ضال ومضلل... إياك والمضللين. أخاطبك وأراك شارداً منبهراً باليوم الآخر، ومشدوداً إلى المادة انشداد السكر إلى الخمر. بني، ألم أحذرك من الدم ومن الذكر. فكيف تنال ما أنبأتك ودمك نتن مدفون في جسدك وجسدك لحد؟ حرر دمك بالشهادة وجسدك بالعمل. وهكذا تحظى بما وعدتك، جنتي لا يدخلها إلا اثنان: العمل الطيب والشهيد.

بني  
لم أكن فظاً غليظ القلب، ولا تكن أنت، ولو كنت كذلك لأنفضّ من حولك أخوتي، وابتعد عن كتفك رفقائي ولا غتربت عن جسدك نفسي.  
لم أتمن فلا تتمن، ليس بأمانيك ولا أمانى أخوتك ورفقائك تنال الحياة الأبدية.  
أخي

«من أحب إلى قلبي؟»  
هذا محراثي، وهذا حقلي، ولا أحب على الزارع من الحقل. الناس حقل النبوة، فكن أنت الزارع، والناس حقل لك... ازرعهم وغلهم.  
أبي

ابنك أنا لم أولد بعد، غداً، عندما تميل امرأة إلى جذع أرزه كن هناك، وساعدها على صرخة المخاض، وساعدني على الحياة.

آمنة:

"لم أتوحم له..."

لم أتوحم له، بل توحت به.  
لم أتوحم لأنه لم يُزرع في رحمي، فالمجتمع هو رحمه الأكبر، فيه غرس، ومنه ولد.  
كان عبد الله يأتي بالإنجيل ويقرأ صفحة، كان صوته الرخيم طمأنينة لنا وأملاً للناس. ذات مساء جاء كعادته. واتي بالإنجيل وقرأ صفحة، ثم قرأ صفحة وصفحة حتى الفجر. ثم جاءني وقال: آمنة آمنت، ولي رغبة في السفر، إن صوت الحق يناديني. قبل، ارجب أن اترك عندك بعضاً مني يعينك في زمن غربتي، فتطمئني واطمئن، فهل توكلت؟  
وتوكل وتوكلت.

ليلا رجع عبد الله منهكا، كانت الحرية قد أثقلت، والعبودية قد أضنته أقترب مني ووضع رأسه على صدري وبكى حتى اخترقت دموعه أحشائي وقال: آمنة أوصيك بهذا وهذا، وأشار إلى الإنجيل وسافر.

قال عبد المطلب: آمنة ارتاحي على حملك!

(1) المنحمن: لفظ سرياني، ويعني المحمود أو الحامد أو الحمد. وكلها بمعنى الشكر والتمجيد.

أرتاح... وحمل عبد الله من يقوم به؟ ما أشرقت شمس إلا ورأيتني متأبطة الإنجيل وامضي بين المضطهد والمظلوم ساعة أتم رسالة المحبة التي أكلها إلى عبد الله، والأخير أكلها إلي، وأنا أنيطها بأحشائي. كان حملته هنيا، أسألوا مريم فقد مضت في التجربة قبلي. ما عرف التعب يوما، وما عرفت. لقد كان لي عوناً على الحر والبرد، وعضداً على الجوع والعطش، وظهراً أمام جلف اليهود وصلف الرومان.

رفض الخنوع. فما انهار مرة أمام المضطهدين من العرب، ولا تأفف عند المظلومين من الوثنيين، ولا تلوى أمام صلب المسيحيين. بل كان شجاعاً، كان يأتي المضطهد ويربت على كتفه ويقول: غداً يتحطم هذا النير الذي يحفر في عنقي. ويقترب من الوثني ويقول: أخي إن السوط الذي يلسعك يلسعني قبل أن يلسعك، ويدنو من الصليب ويقول: ستقوم في اليوم الثالث. ويبتسم ويبسم الصليب، ويتفأل المضطهد، ويبشر الوثني.

هو الثائر، كان ثورة في كبد البيداء، والبيداء أمواج وأنواء. كان يقترب من جماعة اليهود والأخرى المشركة ويقول: ما لم يؤخذ بالكلمة فبالسيف يؤخذ، وما لا يلين بالمحبة فبالحجر يلين، وما لا يطفأ بالحسنة فبالنار يطفأ.

سألته مرة: بني، وكيف تفسر ذلك؟ أليست الكلمة أمضى من السيف، والمحبة أشد صلداً من الحجر، والحسنة أكثر سعيراً من النار؟

تنهد وقال: أجل أمي، ولكن هؤلاء أولاد الأفاعي وغباء الهياكل، والهياكل أوجار لها. عيسى المعلم لم يروضهم أنا أروضهم، هؤلاء مثلهم مثل الحطب، الحطب وجد للنار، وهم للنار وجدوا.

## عبد المطلب:

### "حاولنا جاهدين توحيد الآلهة"

مكة، أه مكة يا أمي، وماذا أحدثكم عنها؟

كانت مغلوبة على أمرها، إن مثلها في ذلك كمثل أخوتها المدن الأربع: بغداد، دمشق، بيروت والقدس. كن واقعات تحت نير الاحتلال الروماني، باستثناء بغداد، إذ كان نيرها فارسياً. وكنا نحن العرب نحاول عبثاً رفع النير، وأضرمتنا نيراناً كثيراً. ولكن، كلما أشعلنا ناراً أطفالها رنين الدنانير. وننتهي بعظة وتعزية... اصبروا، غداً يأتي المخلص. ونصبر منتظرين المنتظر القادم من سوريا كي يسحق بأقدام حصانه رؤوس التتین. كنا ننتظر ولم نك لندرى أن المخلص يساكننا ويعاشرنا.

كان المجتمع المكي منقسماً على ذاته إلى حزبين: الأول، متسلط ويمثله الرومان الموسوسون في الصدور، ويجانبهم اليهود المفسدون في الأرض. والآخر، متحفز ويمثله المقهورون في الأرض. والمقهورون هم نحن العرب، الأكثر عدداً، والعرب المسيحيون، والمسيحيون، والوثنيون، والمناويون، والصابئون وغيرنا... ولو كانت دنائيرنا أكثر من دنائير القيصر لكان اليهود إلى جانبنا. فاليهودي لم ينم عنده من المعرفة إلا حاسة الشم، فحيث وجد الدينار لحقه انف اليهودي.

حاولنا جاهدين توحيد الآلهة في اله واحد، اله عيسى. إنما ودائماً، كان يحول بيننا وبين المسيحية الشيطان الأكبر، الوسواس الخناس، الموسوس في صدور الناس، فننفرق إلى أحزاب وشيع، كل حزب بما لديهم فرحون.

يئست من المقهورين، فانعكفت على ذاتي مع أولادي العشر، وحاولنا أن نعلنها ثورة تطيح بالروماني، وفشلنا، فحكم القيصر علينا بالنذر. صلب ابني الصغير عبد الله أبو محمد أو ذبحه، سيان، عقاباً. إذأ، محمد ثائر ابن ثائر ابن ثائر...

حين جاءت أمانة فراش مخاضها وولدت، ولدت صبياً. وصرخت: تقمص عبد الله، لقد نضج الزرع وحن زمن الحصاد. جئت أمانة قائلاً: لا تقجعيني، ليس لي قدرة لأفجع مرتين، أريد لهذه الأمة الانبعاث، ولهذا الصبي الحياة، فهو من يتم الرسالة... تهتدت وردت أف عمتاه! وهل أنا من لها القدرة على الفجیعة؟

أسميته محمداً ليحمد ثلاثاً: الأولى لأسمه، والثانية للرسالة، والثالثة لخير أمته.

شلت الصبي عن ثدي أمه وأخذته عن صدرها فلم يبك، فعلمت أن لأمره أمرا عظيما، وأرسلته إلى الشرق ليرضع هناك ثدي الأرض، عند أحياء بني بكر. هناك يولد الرجل شلخة من جبل، الرجل منهم يولد بثلاث أيدي، السيف هو اليد الثالثة. سألتني أمة: لقد انفطر قلبي، هل اذهب إليه؟ جاوبتها: المهم قلبه. بعد مدة عادت وسألتني، لقد استعر قلبي، هل اذهب إليه؟ وجاوبتها: المهم قلبه. ثم سألتني: لقد تفتح قلبي! فأرسلت طالبا الزيارة. عندما وطأ داره سألته: أنضج الزرع؟ قال: ما زال للقبرة بيض. عندما تطير آخر بيضة يبتدأ موسم الحصاد. قال ذلك وأفل راجعا إلى أحياء بني بكر.

## حليمة:

### «عضة أعتقتها مرتين»

ظننت أن عوده نما واشتد، وزنده قُتل واقتد. وحسبت ان لسانه تدمشق<sup>(1)</sup> وامتد. لذلك رددته إلى أمه على مضض لترجعه عليّ قائلة: حليمة حلمك. لقد كنت مخطئة وندمت. ولم اغفر لنفسي ألا حين وافت أمه أباه، فعزيت ذلك ليطمئن قلب الأم، وتعزيت. اذكر مرة أن ابنتي شيماء قدمت له شربة ماء، فكافأها بعضة في ظهرها رافقتها زمن عمرها، والعضة تلك أعتقتها مرتين: مرة كانت هادئة ساكنة فهبت ثائرة، ومرة كانت أسيرة فتحررت ومشت في صفوف الثوار.

كان غلاما ابن السنين الخمس حين أتى علينا زمن القحط والجفاف. في تلك الأيام العجاف ما من إنسان رآه إلا وقال: قحط الأرض كله لم يأت إلا على محمد، وكانت الرجال تنهره: كن يا غلام. وما يزيده نهرهم إلا تصميمًا وإصرارًا. إذ كان يدور على الجماعات سائلا: أعماه، إن الطبيعة خيرة منظمة، فلا يمكن أن تجحف، وإن أجحفت فلعة، وكيف السبيل إلى استدرار خيراتها واستمرارها؟ وأبناه لا تجزع غدا يحمل الغيم غيثه. وأماه لماذا القوم واجمون صامتون، أما من سبيل لدرء إجحاف الطبيعة؟ لا بد من وسيلة. أما مع الغلمان أترابه فقد اتخذ نهجا آخر. نهج الكلمة المقرون بالعمل. لقد كان حافز عزائمهم، وشاحذ همتهم، وراية مسيرتهم. لقد سرى وسروا ليلا والناس نيام، والأغنام من ورائهم إلى الجبل البعيد، هناك حيث الكأ وافر والماء وفير.

اذكر، جاءنا ضيوف من الحبشة، وفي جلسة السمر سأله كبيرهم مداعبا: أيا محمد أتذهب معنا إلى الحبشة عزيزا مكرما، وهناك ندخلك على ملكنا دخول الأبطال الفاتحين؟ وردّ عليه السؤال: الآن عفوا، ولملككم الإجلال، أرجو أن لا تنسوا غدا دعوتكم هذه إلى دياركم، وعندما أتاكم مهاجرا، انصروني وملككم على عدوي وعدوكم.

أنفي مؤكدة، زعموا أنني ضللت في مكة والناس غفيرة متراحمة. لا، أنني ما فعلت، لقد اخذ عليّ وثاقا قال: أنت تذهبين إلى أمي وأنا عندي حاجة اقضيها وألحق بكن. وعندما سألتها وما هي حاجتك قال: تداركي وأمي إلى جدي تدركين. وتعارقنا صباحا، ورجع غروبا برفقة ورقة بن نوفل، وقام إليه جده ملهوفًا، فحجبه عن ذلك نوفل، حكيم حكماء عصره.

وتقولوا عليّ أنني بعد هذا انقطعت عنه ولم ألقه ألا مرتين: مرة يوم خديجة، وأخرى يوم حنين. حزنتم كثيرا لتقولهم هذا، وأسألكم انتم انصفوني! أين يكون قلب الأم عندما يلتقي الوطيس بالوطيس؟ وطيب النثر خاطري انهم يقولون ما لا يعلمون.

## خديجة:

### "تزوجنا كمجتمع"

المدثر وأنا، لم نلتق على تجارة أو على زواج، بل التقينا على وطن، ثم على أمة وثم على أمم.

(1) استعارة من يوحنا الدمشقي للدلالة على البلاغة.

كان عبد الله<sup>1</sup> أوقيانسا عظيما، لقد كوّن خزاناً بشريا هائلا، غاضبا حيناً ورافضا حيناً آخر. وبقي ذلك الخزان في نمو وإغداق حتى تقجر سيلا جارفا. نشر بعض الحياة حول ضفافه، ونشر العدم أيضا. وما لبث يتدفق غزيرا حتى نضب معينه، فهدم وجف. أما التأثير فقد بدأ عينا سلسيلا، رقاقة، وجرى هادئا، حيث اتجه انتشرت الحياة ونمت، وما فتئ يتدفق في مجراه، والحياة من حول ضفتيه تنمو وتنتشر حتى غدا نهرا دافقا وغير مجرى التاريخ.

لقد تفتحت عيناه على العبودية المتفشية في عقول الناس. ومن أجل الحرية سأل نفسه: من جلب على أمتي هذا الويل؟ ومن هم أولئك العبيد؟ وأجاب نفسه: العبيد هم أبناء العربية: العرب، عرب نصارى وعرب صابئة وعرب أوثان، وقد انقسموا على أنفسهم إلى قبائل وعشائر، ولهذا سهّل على الرومان استعبادهم، وما سهّل لهم إلا لأنهم كانوا عبيد فكرهم قبل أن يكونوا عبيدا للرومان.

سأل نفسه ثانية: وهل لأولئك العبيد أن يتوحدوا ويصبحوا أمة ويمسوا قوما أحرارا ويعانقوا الحرية؟ وأجاب نعم، نحن أبناء العربية، والعربية أمة حرة أبية. ثم سأل الثالثة: وكيف السبيل إلى الصباح؟ ورأى الجواب يكمن في إيجاد فكرا واحدا وحيدا، يوحد جميع الأفكار السابقة، يحييها ولا يلغيها، ويبعث أمة حسبها التئيم أنها قضت.

وكنا نحن التجار الطبقة الثرية من العرب نتذمر من الحاكم الروماني، إذ كان يسطو علينا حيناً بعد حين ويسلب تعبنا ويصادر كدنا، وكنا نتطلع عبثا إلى الشعب تطلع الغريق إلى الحياة. وكان الشعب لا ينفذنا، فقد يئس منا ففقدنا على مضض ندفع الجزية إلى المستعمر، وننتظر المخلص.

اذكر أن أول معرفتي بالتائر، كانت يوم جاء يسألني رأيي حول تعبنا وكدنا، وإذا ما كنت مغتبطة بذهابهما إلى خزائن غيري... وسلبني ذاتي من نفسي قبل أن يسلبني نفسي.

وسألتها، وهل إلى ذلك من سبيل، ونكف يد الرومان عن أموالنا؟ أجابني: وما رأيك؟ لقد سألني رأي قبل أن يعرض رأيي. وهل لرأي قيمة؟

كان يؤمن أن النساء أصفياء الرجال. وكان كريما ذا كرامة ويحترم ذاته، لذلك احترمني، وما أراد إهانة لكرامتي، لأنه لا يعرف الإهانة، بل أراد كعادته مشاركة لفكره.

وغلبنى على نفسي وقلت: إن كان من خطة اعرضها وأنا لك نصيرة وعاضده. وقال واثق الخطى، يتكلم ملكا: خطتي بسيطة، أجزها بثلاث: الأولى فقء عين الرومان، والثانية بتر يده، والثالثة اقتلاع قدمه.

ضحكت فدفرتني بثوب الخجل، وقلت: إنما للرومان عيون، واعني بها الأميين من شعبنا، والجهلاء، والرجعيين، والطائفين، فكيف نفقاها وهي كثيرة؟ وللرومان أياد، وهي الفارسي، والكهنة والأحبار، المتربصين في مكة، فكيف نبترها وهي العديدة؟ وللرومان أقدام متقدمة في بلاد الشرق كله، فكيف نقتلعها وهي المتعددة؟

ابتسم، فأيقنت، وقال: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة. وأعدت عليه السؤال، فقال: النصر مؤيد من السماء، وأشار إلى رأسه.

وأعدت ثالثة، ابتسم وتولى.

وغاب عني فترة، حسبتها دهرا، فأرسلت إليه أسأله عقلي الذي سلب. وجاء يرد عليّ ما سلب، وكنت قد اقتنعت وأمنت.

ثم تزوج بي كمجتمع قبل أن نتزوج كرجل وامرأة.

<sup>1</sup> عبد الله: والد التائر

## الكعبة:

«ثلماء»<sup>(1)</sup> رسول عيسى إلى الأعرابية»

خاطبني عيسى قال: شوكة القيصر حادة، وجذورها في الأرض متشعبة، ولا تقلع الشوكة إلا بئرا، بئرا من أطرافها. يا ثلماء أنت رسولي إلى الإعرابية، فاهرب وحكم منجلك، واحكم بين الناس بكتابي هذا بالعدل. سألته: وما هو كتابك يا أبي؟

قال: اكتب يا ثلماء واحفظ. وكتبت بالسريرية، "أنا الله ذو بكه، خلقتها يوم خلقت السماوات والأرض، وصورت الشمس والقمر، وحفظتها بسبعة أملاك حفاء، لا تزول حتى يزول أخشباها، مبارك لأهلها في الماء واللبن".

ثم قال: اسهر على الأمانة وبلغ، وإذا لم تدرك يباس الشوكة وموتها فاحرص أن يكون لك تلامذة، وتلامذة لتلاميذك، وتلاميذ تلامذتك ليكونوا معلمين لتلامذة من بعدهم، وهكذا حتى تقوم بكه كقيامتي يوم أقوم.

أدركت مكة والوقت عصرا، فخشيت أن يدر كني الظلام، وسعيت في الناس مكرزا، وصنعتهم تلاميذ، ولقنتهم ما لقنتني المعلم، ثم أوتقتهم كتابي مطمئنا، ودخلت في ليل مكة أبيا، رافضا الرجوع إلى فلسطين.

بقي كتاب المسيا في تداول من تلميذ لآخر حتى أدرك النائر فأيقظ مكة من سباتها العظيم. أصبحت مكة أم القرى، وكعبتها أصبحت دار قرار، وللأمم غدت هيئة وحتى تبقي على الدهر، حرص النائر على أن يكون بناؤها مناصفة بين أبناء الإعرابية، ومساهمة من أخشاب لبنان، وموافقة من القيصر، ومباركة من الشاه. يومها لو كان للقيصر بصيرة، ما كان ليأذن ببنائها، وفي الحقيقة قد حاول، إنما انبعثها كالقضاء والقدر. وبذلك صدق المعلم: الحجر الذي رذله البناء أصبح رأسا للزاوية.

حين أدركها المصطفى كانت مركز تجمع القبائل الإعرابية، يؤمها الناس لا ليجمعوا على مصالحهم، إنما ليجمعوا على مصلحة روما. روما التي يجذبها الدينار. والناس تجذبها الطقوس المزيفة، والعادات البالية، والتقاليد التالدة.

كانت الكعبة أوكارا للكهان والأخبار، وعرضة للفجار والكفار، يحكمها الحمس، ويسوسها اللقي<sup>(1)</sup>.

غضب أحمد وتساءل. أن تكون الكعبة مجلسا للأمم، وجب أن يحكمها العدل لا الظلم، ويسوسها الحق لا الباطل، ويصونها العقل لا الجهل. وسأل نفسه: وهل هي مجلس للقريشيين، أم مجلس للقبائل والأمم، أم مجلس للعالمين؟ وأجاب: هي مجلس للأمم والقبائل يدخلونها ليتعارفوا، ويأتيها العالمين من أجل السلام الذي يريدون.

وثارت ثائرة النائر وتزويج، ودخلها عنوة وجهارا في وضح النهار، والناس في الحمس تطوف، وقتل الحية، «رئيس الكهنة وسيد الأخبار» وطرد أولادها الأفاعي من الكعبة. ثم مال إلى الأصنام فحطمها، وإلى الأوثان فهدمها. عندما انتهى، التقت إلى الناس وأشار إلى ثيابهم بأن ترتديهم فارتدوها، ثم أوما إليهم أن اقبلوا علي فأقبلوا، فوقف خطيبا وقال: أيها الناس لقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا. لقد كتب عليكم الثورة كما كتبت على الأحرار من قبلكم.

وهكذا تطهرت مكة، وهكذا بدأت جحافل اليباس تزحف إلى روما. ذاك اليوم كان لاهبا، كل من شاهده قال: اليباس لم يلتهم الروم وحسب، إنما التهم الفرس أيضا.

(1) ورد هكذا في سيرة ابن هشام، وربما هو برثلموس. إذ أن الكلمة تتألف من معنيين: بر، وتعني ابن. ثلما: اسم علم. فيكون اللفظ ابن ثلما، وحذف اللفظ الأول فبقي ثلما أو ثلماء، أما حرفي الواو والسين فهما من احرف الاحترام والتعجيد.

(1) الحمس واللقى: نظامان كانا يسودان الكعبة ما قبل الاسلام، الحمس: بمعنى جباية مالية، واللقى: بمعنى رمي الثياب عند الطواف حول الكعبة.

## الفارسي:

### «خرجت مثلاً دخلت»

خرجت من إيران واعدأ أبى دهقان قريته، والذي وعد الشاه، والشاه وعد الشان شاه، أن لا رجوع إليه إلا والنير الفارسي محكم يلمع حيث يلمع مثله الروماني. منيت بالفشل من يوم خرجت من جى، وذلك ليصدق تعليم حكيم عندهم ويطلقون عليه اسم عيسى. ليس كل من قال: يا الله، يا الله دخل ملكوت السماوات. منيت بالفشل لأنني خرجت من "جى" إلى الشام بالحيلة القديمة، حسبها الشاه جديدة، إنما بالنسبة لأهل الشام فهي بالية رخيصة.

وتقيد الحيلة بموجزها: أنا سلمان الفارسي، الرافض دين الآباء والأجداد، الساعي إلى دين جديد، وقد وجد ضالته في دمشق. وسلمان هذا أباح لوالده رغبته، فغضب الوالد وسجنه في الظلومات مقيداً بالحديد نصرة للآباء والأجداد، وتأديبا لسلمان وشفاء له من الشياطين اللابسة عقله، والساكنة روحه. إنما وبقدرة قادر، سنحت له الفرصة واتصل بشاميين تجار، جاؤوا إيران للعمل والتجارة، وهرب معهم إلى بلاد الشام.

في الشام ساكن أسقفها، وصلى صلاته، وصام صيامه واخلص له إخلاص النار للجسد. فوثق به الأسقف ووثق القمر للشمس والنهار لليل، وأكتشف سلمان كنز الكنيسة: سبع قلال من ذهب وورق. وفكر سلمان: أفشي أمر الأسقف إلى الناس، الناس تسطو على الذهب. وانت تسلط على رقابهم، وتعود إلى والدك وافي الوعد. وانتظر فرصة مواتية، وجاء خميس الأسرار. واسر للناس ما ضمير. غضب الناس وقتلوا الأسقف بسبب الإهمال وعدم الدراية، وأقصوني أنا سليمان.

والتحق سلمان بأسقف آخر، وكان هذا الأخير حريصا حرص العقل من الحلم، أو اليقظة من الغفلة. وفكر سلمان وخلص إلى الالتحاق بآخر. ومن أسقف إلى أسقف حتى وجد نفسه في نهاية المطاف في الموصل لقد لفظه السوريون لفظ البحر للزبد.

في الموصل تساءل سلمان: أنت جئت لتكون في الشام، محور العرب وعاصمتهم، ومركز العالم، وليس لتكون في الأطراف في بلاد الموصل... ما العمل يا سلمان؟ وفكر وفكر، وصرخ: لقد وجدتتها. تنكر يا سلمان بجلد عبد وعد إلى الشام.

تنكر وقصد إلى سوق الرق، ودل على نفسه. فما من مشتر، وما التفت إليه تاجر، إذ ما من تاجر غشيم، أو يعمل بدون إذن تجارة. أخيراً التقى أحدهم، فعرض عليه سلمان أن يشتريه. حدجه التاجر بنظرة وقال: لا تنفع لتكون عبداً، فالعبيد جواهر، وأنت بخس رخيص. ورجاه سلمان ببقرات وغنيمات، فوافق التاجر، وبذلك أصبح عبداً للكلب<sup>(1)</sup>. ثم أن التاجر باعه من يهود، ويهود باعه إلى يهود، فاصبح سلمان في المدينة.

في المدينة اكتشف لونه غلام، وأخبر سره للثائر، وانتهى سلمان بين يديه. وعندما التقاه قال الثائر مخاطباً: نحن أحرار من أمة حرة، يا أصفهاني! أتبقى عبداً أم تعود حراً إلى أصفهان؟ وأيدّ سلمان عبوديته على حساب قوميته. فقال له الثائر: صدقت.

وكلفه غرس بستان من نخيل ثلاثماية غرسه، فغرسه؟ ثم غرّمه وزناً من الذهب، وأجاب. ثم عاد وذكّره: نحن أحرار من أمة حرة، فاذهب سلمان أنت حر. ونفعت الذكرى.

(1) تاجر رق من بني كلب.

ورقة، ابن جحش، عثمان وزيد

تحدث زيد:

"حركة الإصلاح الأولى

لم تبدأ معنا..."

لقد بدأت مع حركة الأحلاف الأولى.

والحقيقة ترجع جذورها إلى أول مضطهد ناوأ الروماني بقلبه، وإلى أول مظلوم شهر حلمه بوجه الفارسي، وإلى أول ضعيف وضع عينه في عين اليهود وفقاً... وكان المقاوم الأول. تكوّنت الحركة مع أول نبضة ظهرت مشرقة على ابن جدعان الذي أسس وأنداد له حلف الفضول<sup>2</sup>، وبارك النائر ذاك الحلف ملبياً الدعوة إليه. وتولدت الحركة مع صرخة عبد المطلب، نذر فيها ذبح عبد الله ابنه، والد النائر... وكان المقاوم الثاني.

وعندما أصبح القلب صدى، صار العبيد سكان الصوت، فأعترى النائر من ابن جدعان ومن أمثاله، وتسلم دفة السفينة، وكان الشراع وكانت الرياح، ووجهها حيث أراد، وكيف تولى، وأنى ابتغى، ومشى ومشينا... وكان المقاوم الثالث.

سألني ورقة مرة قال: لو انتهى عبد الله شهيداً، لقام من لحده وتزوج من أمنة وجاء النائر. وانتفض عثمان رافضاً قولة ورقة ومؤيداً: على رسلك يا ورقة. لو استشهد عبد الله لتزوجت الريح وتزوجت الرمال، ولجاء النائر.

أما ابن جحش فقد هبّ واقفاً، كأنها وقفة المعذبين في الأرض جميعاً وقال: لو لم يكن النائر هو نفسه لكان هو، هو نفسه، وسكت، وسكت معه الرعد.

وتقرّنا كل ينهل من ثدي، ويضرب بسيف، ولم ندر أننا ننهل من ثدي واحد، ونضرب بسيف واحد إلا حين قام النائر وسطنا، فحلّقنا حوله حلق النور حول الشمس، ومشينا معا صفاً واحداً باتجاه الظلام. كلما خطونا خطوة اقتلعناه، وكان الليل يعوي مسعوراً، ويفر من أمامنا، وكان النور يبتسم ويحل مكانه. كنا نرى ذلك على الوجوه التكلّى، ونسمعه من أفواه العذارى، ونسمعه من ضحكات الأطفال.

قال بعضهم: بشّر بمجيئه بحيرى. وقال غيرهم: بل تنبأ بثورته الأحرار والكهان والعرافون. وقال آخرون: لقد عرفت قدمه أحباش عارجة من بلاد الحبشة والحقيقة الكل كان ينتظره: الضعيف الوثني، والمظلوم المسيحي، والمضطهد الصابئ... كلهم، كلهم، حتى الروماني واليهودي قد أحسا بكم أنفاسه، فتجمدا في المكان وانتظرا وثبه انتظار الطريدة وثبة السبع.

أما أكثرهم انتظاراً، فقد كنا نحن السوريين العرب، والعرب النائرون، لقد ولدنا لتكونا توأماً حضارة: دمشق كنعان، ومكة العرب، إذ حبتهما الطبيعة بنظامها وتحنانها، فما تذوّبه الغيوم من القمم تعود الصحراء وترحله مع بساط العاصفة ويتكلس جبالا، وصخوراً، وتلالاً.

انتقل النائر طائفاً من حلف إلى حلف، ولم يثبت في حلف واحد. لذلك عندما تقجر بركاناً ثورياً. ودب نسغا في العروق، شعر كل حلف أنها هي ثورته هو.

عندما راحت خديجة تسأل ورقة سؤال النائر ورغبته بها ورغبته به، هلل ورقة وكبر وقال: مبارك هذا الزواج، إن ما اشترعه التاريخ لا تمحوه الريح. مبارك هذا الزواج، لقد تزوجت الناس كلها من المسيحية كلها... غداً، وغد أمره قريب، ستغرب شمسك روما. روما من صلبته في امسك ظلماً وبهتاناً، ها هو يقوم من بين الأموات! قد قام ودفع الصخرة. ها هو يمزق

<sup>2</sup> قال النائر: "لقد شاهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً لو دعيت له في الاسلام لأجبت. تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها، وألا يُعزّ ظالم مظلوماً". سيرة ابن هشام، الجزء الأول، صفحة 122.

الاقباط، أتريه...؟ ها هو صوت يكرز أسمعينه...؟ ها هي وقع أقدامه تقترب، روما...  
روما... اهربي... لقد جاء يصلبك اليوم حقاً وعدلاً.  
مبارك هذا الزواج.  
قدوس... قدوس... قدوس.

## البشارة:

### "شرارة الثورة الأولى"

#### كلنا ثوار إلا انه هو المخلص

تأخرنا نحن المسيحيين زهاء ستمائة سنة لفهم كلام السيد المعلم. "أعطوا ما لله، الله وما لقيصر، لقيصر". فما هو الله ليس العبادة والأيمان بوجوده وترداد يا الله... يا الله... إنما المحبة. وما هو للقيصر ليس الدينار بل السيف.  
إذا كنت لا تقدر أن ترمي حجراً في البئر من حيث شربت، فأنت أيضاً لا تقدر أن تقول للشرير ابن الأفاعي: شكراً. وكذلك، لا تستطيع أن تهين ابن الإنسان بقولك: ملعون أنت، لمجرد كونه إنساناً.

قبل أن تتلألاً كواكب السماء، كنا نحن الحواريين، تلاميذ العطاء، يركع كل منا أمام كوكب يراقب وينتظر قدوم المخلص، كنا ننصب على السماء انصباب الماء، ولا نحرف النظر قيد أنملة، خائفين، حذرين أن انحرف وظهر، حُرْمًا اللحظة الأبدية. لم يكن ليخطر حتى في أطراف البال أن المخلص سيخرج من وسط الناس ومن الناس، وأنه إنسان وابن إنسان، يجوع ويعطش، يتعذب ويتألم، يرفض العبودية ويثور، يُهْزَم ويُجرح، ويعشق الحرية ويتوق.

عندما أيقن قيصر روما أن إيماننا جبال راسخات، وأنا نقاوم لطماته بإدارة الخد الآخر، وعداءه بالصلاة، وبغضائه بالمغفرة، تعنت وتكبر، وراح يمشي في الأرض مرحاً، صلفاً، جلفاً، جائراً وظالماً. وبلغ به الاستهتار حداً أجبرنا معه وأد بناتنا حيات، فداء للآلهة، والحقيقة ليس فداء للآلهة، إنما هذه كانت سياسته في استعمار النفوس، والتي تقتضي بانقاص عددنا، وتناقص عدتنا، ووهن قوانا، وذهاب ريحنا. بهذا المنهج فقط ينشر بربريته والتي اسمها خطأ: إمبراطورية، ويصون وحشية كناها خطأ حضارة. وكنا لا نند البنات وحسب بل كنا نركع للوثن الذي رسم، ونصوم للصنم الذي نحت، ونترجى الحجر الذي تخيل. وتخيرنا في تمتات، وتزلمنا في أقذاح، ثم دفعنا إلى السحر، فنفعنا في قصب، وضربنا في رمل.

أجل كنا نقاوم صفعاته بتوجيه الخد الآخر، ولم نكن لنذكر أن الصفحة ترد بالصفحة، والحجر بالحجر، والحديد بالحديد.

لقد جاء وعلّمنا ثائراً مقاوماً: لا تصعروا الخد للناس إذ لا يدفع الشر إلا الشر، ولا تصلوا إلى مبغضكم، إذ لا يرفع البغضاء إلا الرفض، ولا تحبوا أعداءكم، إذ لا يبعد الأعداء إلا المقاومة. إن أولى حكمته كانت: أعدوا للرومان ما استطعتم من رباط الخيل. وافتتح مدرسة لصناعة السيوف، وكان هو المعلم الأكبر، وكان التلاميذ كثرأ، فأسمعهم يتلون بأفئدتهم على أفئدتكم. اعقل ولا تنس.

## يوحنا:

### "علمنا الشقاق... فشاقتوا"

أنا يوحنا أبعدكم عن التأثير أقربكم إلى المعلم، إذا أنا أصدقكم فيما أفصح وأبوح. أنا لا أكذبكم، بل أصدقكم، فأنتم صادقون وأنا أصدقكم. لقد قام المعلم في وسطنا وعلّمنا بالروح فقال:  
«من أبغضني فقد أبغض الرب، ولولا أنني صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلي، ما كانت لهم خطيئة. ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزوني، وأيضاً يعزّون الرب، ولكن لا بدّ من أن تتم الكلمة التي في الناموس: أنهم أبغضوني مجاناً، فلو قد جاء المنحمن<sup>(1)</sup> هذا الذي يرسله

(1) لفظ سرياني: يعني المحمود أو الحامد، أو الحمد... وكلها بمعنى الشكر والتمجيد.



إليكم من عند الرب، وروح القدس، هذا الذي من عند الرب خرج، فهو شهيد عليّ وانتم أيضاً، لأنكم قديماً كنتم معي في هذا، قلت لكم: لكيما لا تشكوا»

نعم، انه ابن الناموس، وابن الإنسان، وهو هو الثائر. ولو لم يكن هو ما كان ليعلمنا: ما أتيت لألقي سلاماً على الأرض، بل لألقي سيفاً، والسيوف قد أصبح بيده. وما أتيت لألقي سلاماً إنما لأضرم ناراً، ونار لا تتطفئ، والنار قد أحسستها بنبرتها، فاتبعوا ناره تخرجون من الظلمات إلى النور.

علمنا ابن الإنسان الشقاق، فشايقوا، وطرد الأفاعي من الهيكل، اطردها واهدموه، وعلمنا أن الخبز لا يرمى إلى الكلاب فلا ترموه.

### حليمة:

#### "حيث اثار تغير وتبدل"

قالوا هناك مرضعة أخرى، أنا لا أعرفها، ولا أعرف ان أخرى أرضعته، كل الذي أفيدكم به أنني أنا التي أرضعته. لا أحبه لأنه أبني، ولأنه مضغ حلمتي، وتغذى دمي، بل أحببته لأنه مشى ناراً صوب الظلام، ووقف زوبعة، وتربع قسطاساً.

لم أرضعه وحسب، ولم يصب خيره فقط حيناً، إنما أصاب التراب العربي كله، فحيث وطأت قدمه اعشوشبت الأرض واخضوضرت، وحيث وقع نظره، تكلم وتعلم، وحيث أشار تغير وتبدل. لن أحدثكم عن الرضاة والخير، إنما سأحدثكم عن رؤيتي وشعوري: لقد أوقفني لقائي به أمام الملائكة وجهاً لوجه. لهذا فأنا أعرف الصدق ولا أعرف نقيضه، وإن ربتهم فاسألوا الخمس ابني، الأطفال لا يميزون بين عمرو وعمر. واسألوا أباه، زوجي، إن كنتم صادقين. جاءني أخوه، ابني، يسعى ويشدد قال:

"ذاك أخي القرشي، قد أخذه رجالان عليهما ثياب بيض، فأضجعا، فشقا بطنه فهما يسوطانه".

خرجت إليه فترمته قائلة: أه بني، وصدرا! فأخبرني، ودمعت عيني. لحظة، لا تصدقوا، اسألوا نفراً من الحيشة ينبئونكم النبأ العظيم. الحبشيون أنبأني بما كنت أعلم: أن هذا غلام سيكون له شأن، نحن نعرف أمره. غلام سيمتشق سيفاً، وسيضرم ناراً وسيغير وجه التاريخ.

### بحيرى<sup>3</sup>:

#### سأقص عليكم كيف أصبحت مسيحياً.

ولماذا لا يكون ذا شأن، لقد أجابني حين سألته الطعام يا غلام: ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، ولم يقل لي يا معلم، أو ينظر إلي مثلاً نظرت إليه وقلت له يا غلام ونظرت.

<sup>3</sup> بحيرى: هو حبر من يهود تيماء - عن سيرة الزهري

أنه كان من عبد القيس. اسمه سرجس - عن المسعودي

عن سيرة ابن هشام. الجزء الاول، صفحة 165 دار الجيل، بيروت. قدم لها طه عبد الرؤوف سعد.

بحيرى: بحيرا الراهب. النصف الثاني من القرن 6 أقام في جزيرة العرب. ابتنى له صومعة. استضاف تجار قرش في بصرى الشام. وفي الركب ابو طالب بن عبد المطلب بصحبة ابن اخيه محمد. فلما تفرس (الراهب) فيه (محمد) قال لعمه: أنه كائن لابن اخيك هذا شأن عظيم ثم حذره عليه من اليهود.

المنجد. دار المشرق، بيروت. المطبعة الكاثوليكية. الصفحة 119 الطبعة 23 - سنة 1975

جذبني جوابه لأسأله ثانية ألسنت جائعا؟ ألم تعطش؟ فقال: سأطعمكم من خبز لا تجوعون بعده أبدا، وسأسقيكم من ماء لا تعطشون من بعده أبداً.

كنت مسيحياً؟ نعم كنت، وكنت أكرز: تجسد... تألم... وقام...

أنا مسيحي، وأذكر جيداً تاريخ دخولي إلى الكنيسة ومتى وكيف تعمدت وتناولت ومتى؟

أن أكثر الحكم التي كنت أردها في مواعظي كانت: ليس كل من قال يا الله، يا الله يدخل ملكوت السماوات. وكنت أردها، وحين يسألونني: وكيف ندخل يا أبي؟ أجيب: بالمحبة، أحبوا الآخر، سامحوا مبغضيك، باركوا أعداءكم، وصلوا إلى لاغنيكم. أجل، كنت أجيب هكذا، فهل من رجل أكثر مني معرفة في إنجيل الله؟

وكنت أتمسك بالنص تمسك الكلمة بالحرف، وما كنت لأدري أن النص ليس حروفاً متحاشرة، إنما كتاب أبيض ناصع، حروفه النفس، وكلماته الروح، وروحه الحدث.

وكنت أحرص على الكنيسة مرتفعة شاهقة، متينة قوية. أن لي أن اعلم أن الصدور كنائس، والرفض شموخ، والثورة ريح.

كنت مسيحياً، وكنت أردد كلام السيد بحذافيره، وما فتئت كذلك حتى لقيته، فعلمت أن النظام في الفوضى، والقوة في الضعف، والحرية في القيد، والواجب في الظلم.

وعلمني أن المعرفة جيدة، إنما المعرفة للمعرفة غير كافية لعبور أجواز السماء، أقرنها بالسيف.

وأن العلم مفيد، إنما العلم للعلم ليس جواز مرور لولوج عالم الإنسان، فجسد العلم بالممارسة. أستطيع أن أتناسى حواراتي كلها إلا كلمته الأخيرة... وعندما هبّ مودعاً وسألني: يا أبو المسيحية، هل تريد أن تكون مسيحياً؟ واغرورقت عينايا إيجاباً. فقال: أضرم ناراً، أحمل سيفاً واتبعني. اقرن العلم بالمعرفة تصل، واقرنهما بالعمل تخلص، لا تأكل من صحن الله، ولا تشرب من كأسه، وإن زعمت فأدع الله ليأكل من قصعتك ويشرب من كأسك.

أنا بحيرى، الراهب الذي اهتدى بعد ضلال، هكذا أصبحت مسيحياً بعد عمي. وكل من أراد المسيحية ويكون... ليصبح أولاً ثائراً، ويمشي وراءه.

## أنفار يهود:

ولو لم يكن هو لأجبرناه ان يكون هو.

نعلم انه هو. ولو لم يكن هو لأجبرناه أن يكون هو، هو ذلك. أن الشحيح بدأ زحفه باتجاه عيوننا، والشح باتجاه جيوب الرومان بدأ الزحف.

كان أبو لهب سيدنا ورئيسنا، يغضب ويصب جام غضبه فوق رؤوسنا إذا ما أتى المساء ولم نأته بوشاية تعكر صفو الناس، وتملاً جيوبه.

علمنا مرة: لفقوا اتهامات تكسبوا، بثوا إشاعات تربحوا. لفقنا وما كسبنا، وبثنا وما ربحنا.

واعتكف أبو لهب، وبعد اعتكافه في غار نفسه، خرج إلينا بفكرة ملأت إهراءاتنا قمحاً، وضررفنا لبناً. ومفاد الفكرة أن هذه الأمة بحاجة إلى نذير، فابعثوا نذيرها، والقوم بحاجة إلى رسول، فأرسلوا رسوله، والناس بحاجة إلى زعيم، فبلغوا زعيمها.

سألناه: ومن هو النذير، الرسول والزعيم؟

أجاب ابن أخي محمد.

وسألناه، ولماذا محمد؟

قال: إنه محمد، وأنه ابن أخي. وبذلك نخفيه عن أعين الرومان، وإنه ضعيف. وبذلك نضبطه، وأنه عالم. وبعلمه نجذب الناس، وبعلمه نكسب.

إنما وفي الختام انقلب السحر على الساحر... وكان الثائر.

كان غلاماً حين بدأ المقاومة، وكنا نحن نأكل من عيوننا، ونشرب من آذاننا. وما فتئنا حتى وضع مخرزاً في أعيننا فأعشىنا، وسكب في أذننا حديداً فتوهمنا.

اجتمعنا مضميرين قتله غلاماً. وكلفنا "زرتار" و"تمام" و"دريس" لينوبوا عنا ويقتلوه.

إنما أبو طالب، فارس قریش وضابط ثورتها، كان لنا بالمرصاد.

وحاربنا أبو طالب، وذكرناه أن كتابنا يذكره ويذكر صفاته، فذكرنا أننا يهود وأنا ما من نبي إلا وطلبناه وصلبناه، وما من رسول إلا وقتلناه، وما من نذير إلا وكذبناه. قلنا له: إذا كان يعلم الكتاب فنحن نعلم، ونعلم أننا نعلم، ونعمل بما نعلم.

حوى الكتاب كل شيء، وما من كبيرة أو صغيرة إلا وأحصاها. إنما الذي لم نعلمه وغاب عنا هو أن البركان عندما ينفجر ثائراً، فلا يستطيع على كتمه سبيلٌ وأن الزلزال حين يمور غاضباً، لا تقدر على لجمه وسيلةً وأن الطوفان حين يمشي هائجاً، لا تستحيل على كبحه حيلة.

ولقد كان الثائر، وهو البركان والزلازل والطوفان كان.

لقد كان الثائر وغير مجرى التاريخ.

#### نسطورا 4:

##### "هدم سجونكم... حطم قيودكم"

لقد أمسى الفكر المسيحي مدرستين: واحدة نسطورية، وواحدة يعقوبية. وأصبحنا نحن المسيحيين فرقا وبدعاً بعد أن أمسينا جدليين رومانين. وبذلنا الوقت، والفكر مبتذل رخيص، حول طبيعة المعلم السيد: إلهيه هي أم إلهية بشرية؟ وكانت فارس توسوس في صدورنا نحن النساطرة، وكما كانت روما توسوس في صدور اليعاقبة. وكان فكر المحبة يمضي بصمت مثلما كنا نمضي.

سألته انصفني، لم يجبني بل حدّق في الأرض ولاذ بالصمت. فأعدت عليه السؤال، فتناول عوداً وراح يخط خطوطاً رمزية متوازية، متساوية ومتباعدة. وحسبت أن الصوت لم يصل فأعدته، ليهب واقفاً، منتفضاً ثائراً وقال: ألم أتاكم بها بيضاء خالصة؟

ألم يجع لتأكلوا؟ أو أنكم لم تشبعوا ولما تشبعون، ولن تشبعوا؟

سهر لتناموا، وتعب لترتاحوا. ولا أراكم إلا سكارى من كثرة النوم، ومرضى من كثرة البطالة.

أراكم مختلفين عليه، والأولى لكم أن تتحدوا، وهو الذي أراكم صفا واحدا كالبنيان المرصوص.

لقد تألم من أجل خطاياكم الكثيرة، واستشهد لتتحرروا، فلماذا لا أراكم إلا عبيداً، وقد استهوتكم عناكب السجون، وتعشقتكم القيود.

كنتم ضالين، وبحث عنكم وحرّركم، وأعادتكم إلى نفوسكم. ولكن ما أن تحرّرتم حتى ندمتم. وعدتم إلى عبوديتكم التي تستهونون، ولتستعبدكم أهواؤكم، وتستعمركم أناانيتكم.

لقد هدم سجونكم، إنما تحت الردم، كنتم في سجونكم تلوذون، وحطم قيودكم، إنما داخل نفوسكم بالقيود تحتفظون.

بأبي أنت وأمي. طبيعة واحدة أو طبيعتان، سيان لا يتبدل شيء، عبيد وسنبقى عبيداً للروماني. ثلاث طبائع مع هدم السجون، وتقطيع القيود سيان، أسرى ودائماً أسرى للعقل. أربع طبائع... وعانقوا الحياة، اللامتأهية من الطبائع... واستشهدوا من أجل أمر عظيم يساوي وجودكم. طبيعة واحد... واصنعوا الفجر الذي ترغبون، وترغبه العصافير، وتريدته الفراشات، وتبغيه الأزهار.

44 نسطورا: ورد في سيرة ابن هشام: فنزل رسول الله في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان، فاطلع الراهب إلى ميسرة (غلام لخديجة يرافق محمد في تجارة خديجة إلى الشام) فقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ قال له ميسرة: رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي قط. وورد في الهامش: وهذا الراهب ذكروا أنه اسمه نسطورا وليس هو بحيرا المتقدم ذكره.

سيرة ابن هشام، الجزء الأول، صفحة 172

نلفت نظر القارئ الكريم إلى الخطأ أو الهفوة التي ارتكبتها ابن هشام، فبينما يؤكد ابن هشام على أن النبي التقى نسطورا، فإذا كان هذا الأخير قد عاش بين (381 – 451) وأن النبي قد ظهر نحو (570م) ومات نحو (632م) فكيف يلتقيان؟ من هنا ضرورة إعادة النظر في سيرة ابن هشام وتصويبها.

كونوا البزاة واغرزوا المناكير في الصدور.  
كونوا الفراشة ومزقوا الشرانق، وطيروا إلى الحرية وابتعدوا.  
لقد حمل السوط، والسوط نار، ووقف في زحمة المؤمنين وصرخ بأعلى الصوت: إلى  
الخارج يا أولاد الأفاعي. وطردتم، فلماذا رجعتكم...؟ يا لوقاحتكم!  
يومها لم افهم كلمة واحدة من كلمات الثائر. أما الآن، وبعد ان طرد الرومان، وتطهرت  
الأرض، وتحررت الكنيسة... قد فهمت كل كلمة، كل نبرة وكل نظرة. وحين رأيته يحمل معولا  
ورفشا ويدخل الكعبة والشمس متكبدة، شرع بهدم الأصنام، ومن ثم دفن أوثانها. أخيرا، وعندما  
انتهى، وقف فوق ركام أكبرها وصرخ أيها الناس، الحرية في نفوسكم... والعبودية في نفوسكم.  
ساعتئذ أدركت أنني مسيحي، وأنه الثائر.

## ورقة بن نوفل:

### "الحكمة واحدة"

الحكمة واحدة فلما أن تحملك على الصبر، وإما أن تحملك على المسير.

اختر تتجو.

والفكر واحد،

من تحصن به فاز، ولا يوجد فكر خارج الفكر، فكر إلى جانب الفكر ممكن، أما خارجه  
فمستحيل. الفكر إنسان وان تعددت ألوانه.

الإنسان واحد والفكر واحد،

ونحن الحواريون، تلاميذ المحبة، اخترنا الصبر، أما الثائر فقد اختار المسير، والصبر في  
المسير، لذلك وصل، وبوصوله لم ينج وحده، إنما نجا بنجاته الناس، كل الناس أجمعين. ومرد ذلك  
إلى الخطوة الأولى، لقد كانت خطوة الأمة.

والصبر صبران: أما صبر للصبر، وهو أقسى أنواعه، وأما صبر للوثوب.

إن أكثر الذين أدتهم روما فقد كنا نحن المحبين، أما أكثر الذين اضطهدتهم فارس فقد كنا  
ايضاً هم نحن أنفسنا.

وصبرنا ننتظر المسيا القادم من السماء ويقودنا من الجحيم إلى النعيم.

قالت خديجة: ورقة، ابن عمي، أدركني قبل أن تفقدني.

وانصرتاه! ومما أدرك خديجة ابنة العم؟

واختصرت مفصحة: كل ليل تضيق الأرض وتطبق السماء، ويجتمع المضطهدون

والصابرون والثائر، ويتداولون في أمرهم وأمر عبيد الأرض، ويتناقشون في أمر الرومان، ومتى

يعلنونها ثورة تدق الأفاق، وتغير وجه التاريخ. إني خائفة، ولست أعلم! هل خوفي عليه أم على الثورة؟

قلت لها: خديجة ابشري، انه لزعيم هذه الأمة، فأثبتني وليثبت. وثبتت وكانت أول الثائرات،

وأخت الثائرات، وأم الثائرات، ورفيقة الثائرات.

أذكر، التقيته صباحا يطوف الكعبة، قلت له بعد أن قبلت يافوخه: لقد جاءك الناموس

الأكبر... فقال: لقد جاء نصر الله والفتح. جاوبت وفي الحلق غصة: لقد ذهب الصبر، وجاء

الجهاد، هذه كفي، ولأنصرك نصرا عظيما!

زيد بن حارثة:

"ابتداء تنزيل النصر"

المجتمع بركان... ساعة الصفر...

تبتغون الحرية، قاتلوا في سبيلها.

عندما تحسس الثائر منا الأقدام، انعكف على الحديد، لا ليتعبده وثناً، إنما ليصنعه سيوفا ونبالاً ودروعاً. وعندما شعر فينا رغبة الموت، جاور حراء ليس طلباً للتبرر، إنما ليضع سموتاً تختصر الطريق وترشد الثوار، فيلوذوا مختفين عن أعين روما اليهود. كنا أربعة، امرأة وفتى ورجلين، وكان هو خامسنا حين أيقظنا في الأول من رمضان من سباتنا العظيم.

أجل كنا أربعة حين استيقظنا فجر صباح ذاك اليوم. وننسى؟ ومن ينسى؟ لا ينسى صوت قرقة السلاح وأصوات رجال تستغيث، وقد دعرنا حين تنأى إلى المسامع سقوط حامية حراء مجاناً بين يديه راضية مرضية.

وضج الناس يتناقلون أخبار تلك الواقعة شاخصين سكارى وما هم بسكارى. قال الناس: إنه لشيء عجاب فردٌ يقارع حامية في عقر حصنها وينتصر. وقالوا: كان يقترب الثائر من الجندي فيقف الأخير مروعا، أو يخزّ صريعاً، أو يفر سريعاً.

وانتشر الخبر، فأمت الأمم والقبائل تنتمي إلى فكره قبل أن تنتمي إلى حزبه، وتقاتل تحت جناحيه، وتستشهد عند لوائه.

الجميع علم أنه هو، حتى الروماني، فأقبل يفاوضه على الأمانة، فردّ بسكون العاصفة: ارحل. ووجم الروماني صامتا، وما كان ليحرك ساكنا...

وهبت العاصفة!

واعتذر الضعفاء إلى روما. لم تردّ روما لأنه لا حوار بين الرئبال والصعاليك، وأخرى اعتذرت مرجعة السبب إلى الخجل، وطائفة اعتذرت؛ وهي الوضيعة، قائلة: روما لا ترد على الثائر، فهو الضعيف.

أما نحن الأربعة الأوائل فقد جهرنا: لقد قذف في قلوبهم الرعب، وحبب إليهم الموت، وطيب على قلوبهم الردى. وإلا كيف نفسر اقتراب الجندي من الموت هاشا باشا، ولا يصرخ وجعا، أو يعرض ندما؟

أجل، لقد حبب إلى روما الموت، مثلما حبب إلينا الحياة. فقد كان الروماني يفر طلباً للحياة ويموت، وكنا نحن نثبت طلباً للموت، ونستشهد ونحيا.

شهق مرة بين الناس، رافعا يميناه سيفاً وفي يمينه سيف وقال: من أراد الحياة فهذه الحياة، ومن أراد الحياة فهذا الحياة، وأشار إلى السيف، وترجل ليمتطي حصان السباق.

قبل حامية حراء كنا خمسة، بعدها تضاعف عدداً تضاعف الطوفان. ألم ترهم يدخلون في صفوفنا أفواجا، أفواجا؟

وسألوه الناس: أن علمنا يا معلم! فعلمها أولاً صناعة السيوف، ثم علمها الصراع، وقال: إن للصراع وقتاً محدداً، مارسوه في وقته. كنا نعلم أن الصباح هو وقت الصراع، إنما ليطمئن قلوبنا، وسألناه: ومتى موعده؟ فقال: الصباح. وماج صوته وتخلخل الأثير، وما فتى صوته يموج، والأثير يتخلخل، وما زلنا نسمع صوته.

مضى زمن ونحن نصطلي الصباح مرتين، ولم نوسّع نطاقه إلا بعد أن تكاثرت النحل. وخرج الأمر عن نطاقنا وتحرر من طاعته، فعمد حينئذ إلى تنظيمه رحمة بالمجاهدين، وحقنا للدماء. وزاد على الصباح أربعة، فأصبحت المواعيد خمسا، وزاد على مرتبه خمسة عشرة، فأصبحت سبع عشرة. وعندما لمس الثائر في الناس رغبة الجهاد. وتحسس عند الرومان عبث الشلل، مال إلى الاقتضاء، حكمة منه، وذلك ليعجل باقتلاعها مرة واحدة، فلا تتألم ولا تتوجع.

تذمر الناس وسألوه: تخاف على الروماني الوجد والألم، ووجعنا وألمنا؟ قال: الشفاء بشفاء، وليس الشفاء بالمرض، والحرية بحرية، وليست الحرية بالعبودية. نحن إن أتينا إلى أمة نأتيها خيرا وحقا وعدلا.  
إن أمم الكون أوطان لكم، فأتوا الأوطان من وطنكم، وإن شعوب الأرض اخوة لكم، فإن أقذيتم عينكم فأقذوهم.

**ثائر:**

**كيف نعلم انه هو؟**

انه هو، فلو اختصرت معجزاته على الثورة لرجحت الثورية ليكون نبي هذه الأمة، ونذير هذا القوم، ورسول تلك القبائل، وثائر جميع الناس.  
قال بعضهم: ليس الثائر هو، إنما هو بوذا، وقد ولد من أبوين صينيين، وعاش بيننا، ومات وحرقناه، ثم انبعث ثانية، وسينبعث طالما هو الثائر. ونجيب البعض هذا: أجل انه هو، هو.  
وقال آخرون: بل هو المستنير، لمسناه صراطا وانتهجناه دربا واستترناه طريقا. ونجيبهم: أجل، أجل انه هو.  
وقال غيرهم: انه الواحد، إذا تكلم أصبح اثنين، وإذا عمل أصبح ثلاثة، ونصدقهم ونقول لهم: أجل هو انه هو.  
الكل كان ينتظره.  
الأرض تنتظره انتظارها الغيث لا لتشرب بل لتحبل، فالأرض هي الرحم، والغيث هو البعل. وهو البعل.  
والعصافير تنتظره انتظارها الريش، لا لتطير بل لتحرر. فالعصافير هي الحرية، والريش هو الجناح، وهو الجناح.  
والخيول تنتظره انتظارها الخضر، لا لتعدو إنما لتثور. فالخيول هي الثورة، وهو الثورة.  
يتساءل البعض ساخرا: إذا كان هذا الكم الهائل كان يعرف انه هو، فهل بقيت له قيمة؟ وإذا كان العرافون برمتها يتنبأون بقدومه، فما الجديد الذي جاء به مبشرا ونذيرا وثائرا؟ وإذا كان الكل يعلم انه هو الخلاص، وهو لا يعلم من هو، فما هي قيمة الوحي والتنزيل، والإسراء والمعراج؟  
ويا سادتي البعض: وهنا، في هذه الأسئلة وفي غيرها يكمن سر عظمته، انه هو لأنه رجل في أمة وأمة في رجل. أن الأمة التي لا تتبأ بغدها لا غد لها، والأمة التي لا تعرف مستقبلها، أمة فانية لا حياة لها.  
نحن أردناها حرية، والحرية بحاجة إلى قائد وهو القائد، لقد تجرأ وقال: أنا هو، ومشى، ومشينا... وأفل الليل، وأشرق الصباح.  
إذا أجزتم لنا مكافأته، فلماذا تلومون السماء على اختيارها؟  
إذا سمحتم لنا أن نمشي معه، فلماذا تتعجبون للخيول الجامحة؟  
وإذا سمحتم لنا أن نشكره، فلماذا تحسدون العصافير إن صدحت شاكرة؟  
نحن أردناه زعيما، والسماء أرادته نبيا، والعصافير أرادته قائدا، والخيول أرادته لواء، وهو أراد الثائر، وانتصرت إرادته فكان النبي القائد اللواء الزعيم الثائر.  
صنعناه حرية، وصنعتة الحرية صراطا.  
انتظرناه كلمة، فبعثه المجتمع كتابا.  
أردناه خضرا، فأرسلته الأمة ثائرا.

أبو بكر:

"تكون خليفتي فيهم"<sup>5</sup>

قبل أن ألقاه تعرفت إليه من كلام خديجة، فحيث جلست يفيض فوها حديثاً عنه. لقد عاشر الأمين جميع فئات الناس، وعلى مختلف دينارهم، وتباين عقولهم. عاشرهم وخبرهم، فرأى ببصيرته البعيدة أن هؤلاء ليسوا ناساً إنما هم طير، فحيث جناح المنقار جنحوا، وحيث رمى النظر كانوا. إن هؤلاء شعب له مزاياه الخاصة، وإن هؤلاء ليسوا قبائل وعشائر بل مجتمعاً، إن توحد لغير وجه التاريخ.

عندما جاءني مبشراً لم يحدثني عن أحلامه، إنما حدثني عن مصالحي قائلاً: إن مصالحك تكمن في مصالح الناس فاتبعها، وإن صيتك من صيتها فاته، وإن غدك من غدها فاقبله. وكلما كانت فئات الناس قليلة كلما كانت مصالحك أوفر.

وسألته: وإن كانت الناس فئة واحدة؟ قال: تكون خليفتي فيهم. ودخلت تحت جناحيه. كان للتأثر قدرة المخاطبة، مخاطبة كل فرد بلغته. وهنا يكمن سحره. ما تحدث إلى امرئ إلا واقتنع واستجاب.

أجمعت قريش على أذيته. وجمعوا له كل سفيه، وكل كاذب، وكل قاتل وكل عاقل. واجمع لها، يدفع الريح من حيث أتت، فرد على السفیه بالحلم، وعلى الكاذب بالصبر، وعلى القاتل بالعفو، وعلى العاقل بالدعوة. سألته: أن أمرك لعجب، تقاوم حامية وتعجز أمام فرد؟ قال: أو تستوي الحسنة والسيئة؟ قلت نافياً: وكيف؟ قال جازماً: ادفع بالتي هي أحسن تجد الذي يقاتلك كأنه ولي حميم.

قال شيوخ العرب: شيخ انضوى تحت لوائه، انه لأمر عظيم! كان لم يقابلهم بعد، وعندما قابلهم وتحدث إليهم انضوا تحت لوائه.

عندما ارتفعت يد روما فوق أيدينا، لجأت معه إلى حرّاء، في الغار تملكني الجذع: أموالي، ابكاري أولادي ومجالسي. قال مطمئناً: يا شيخ لا تجزع، سأنفذ بك منفذاً عظيماً. انظر ما زلت في نظره شيخاً، فكيف لا أطمئن وأسير في ركابه حتى النهاية؟

وعندما ارتفعت أيدي الضعفاء فوق أيدينا قال: من أنصاري إلى الشهادة، ولبينا جميعاً النداء. اذكر، وجذعت ثانية، يوم الهجرة. في الحقيقة لم أجدع، إنما دخلت في الريبة، ودخل معنا الصحابة. دخلنا لأننا بدأنا الخشية على ابنته، وليس عليه. يومها وقف كزوبعة وقد دارت على ذاتها وقال: إن هذه الأمة بحاجة إلى شهيد، وأنا شهيدها.

أبو طالب:

«الأفعى تقتل من رأسها»

اشتد ساعده، وكثرت منازعاته، فأجمع له الرومان وأعدوا وتوعدوا، وفتحوا عيونهم، عامدين إلى قصيري النظر يغرونهم بالمال والجاه والسيادة، ووقف الناس لبعضهم قبيلًا، فمن قال: المال، المال... كان يهودياً في حزب اليهود، وبيع رخيصة لمن يدفع أكثر. ومن قال: الحرية، الحرية... كان ثائراً في حزب الثائر وشري نفيساً.

ولما أحس أن حزب روما يناهز حزبه عدة وعدداً، أعلن حربه أولاً على العرب من أبناء قومه وعشيرته. وسألته: ظهرت مبدأ لا تستوي الحسنة والسيئة، مبدأك؟

<sup>5</sup> يعترض علينا البعض بقوله: أن محمداً لم يعد أباً بكر بخلافة. فنقول: ونحن نجزم ذلك. هذا، والتاريخ لا يفيد غير ذلك. عليه، إن كان نبياً، إذأ، فهو يتنبأ بالمستقبل. هل يعقل أنه لم يعلم أن أباً بكر سيخلفه ثم عمر ثم عثمان ثم علي، فإذا كان لا يعلم!؟ إذأ، فهو لا يعلم بالمستقبل، وبالتالي، فهو ليس نبياً.

قال عمتاه: متى انتصرنا على يهود الداخل، ننتصر على يهود الخارج. عمتاه، الأفعى تقتل من رأسها، ورأسها أبناء قومك المرضى المرأين، يعالج الضرر بالقلع، والسم بالنار، والتفحم بالبتر. الأشياء بأسمائها، فلا نطلق على القاتل صفة البريء، وإلا قتلنا الناس كلهم، ولا نكني البريء بأبي القاتل، وإلا قتلنا الناس كلهم. الناس بأسمائهم، والأمة بفكرها، والدولة بنبوءتها. العرب أمة مريضة، ونحن بلسمها، ودولة حالمة، ونحن فجرها، وشخصية مجهولة، ونحن هويتها. دينها عيب، ونحن شرفها، وآلهتها خرافة، ونحن عزها، وقومها عبيد، ونحن حريتها. وجاءتني قريش وفوداً وفوداً، تشكو وتفاوض أبو طالب: هذا ابننا أنهز فتى في قريش وأجملهم، فخذ، لك عقله ولك نصره، واتخذه ولدأ، فهو لك وسلم لنا ابن أخيك هذا، الذي قد خالف دينك ودين آبائك، وفرق جماعة قومك، وسقه أحلامهم، فنقتله، فإنما هو رجل برجل. لبئس قريش، ثم لبئس ما تساومني عليه، "أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه؟"

واحد بواحد، موافق، وواحد باثنين وأنا ثانيه، وهذه كفي، وواحد بثلاثة والكعبة ثالثتنا ولكم كلمتي.

إنما واحد بثائر؟

إنكم لا تساومون على الثائر وحسب، إنما تساومون على الثورة، وقتل الثورة قتل للناس كلهم

انتم تأخذون ابني لتقتلوه ومن قتل نفساً فقد قتل شعباً، وأنا آخذ ابنكم لأغذيه لكم، ومن أحيا نفساً، فقد أحيا شعباً. ابنكم بعبودية، وابني بحرية... فاختاروا.

### عتبة بن ربيعة:

«قلوبنا في أكنه»

ساستنا روما على سيادة مكة، فإما نسود على مكة ونسود على أهلها. وإما نزيله ونتبوأ. وما كنا لندري إن سيادتنا تحت تاج القيصر، وإن سيادته تحت الحق يسود. لقد أعمتنا السلطة، فتعامينا عن مصلحة الأعرابية ومصلحتها في منقذ يخرجها من الظلمات إلى النور، وليس في حاكم يدير أزماتها، ولا يعالج مشاكلها. إن مصلحة الإعرابية في مصلحة الشعب، ومصلحته في اتحاده، وليس في فرد تسوسه أهواؤه، وتقوده ملذاته.

إن مصلحة الناس في حكيم يسهر، وليس في حكم فرد يرضع ثدي الإعرابية ويأكله. وتكالبنا نحن على الأمة نهشها جماعات منقسمة، متفرقة وهائجة. واجتمع لها فرد في مجتمع ومجتمع في أمة.

ما اجتمعنا نحن أحزاب الأعرابية مرة لنتوحد إلا وتضاربت الآراء وتباينت المصالح، وانتصرت الأنانيات. وخرجنا شرادم محبطة، مهدودة العزيمة مشلولة الأمل. وما اجتمعوا به ليثووه ويردوه، إلا وخرجوا متحدين، سواعدهم من ساعده، وفكرهم من فكره. يظن البعض، وهو كثر، أن الثائر ليس إلا نبياً، وليس من هم له سوى الله، وأنه موجود، وعلى الناس أن يتقربوا إليه بالصلاة والصوم والذبائح، وبذلك حولوا الله إلى صنم، والناس إلى عبيد، والفكر إلى طقوس وعبادة...

ويخمن آخرون، أنه أعشى، وأن الإنسان ضعيف، فتوعده بلاهوت، وأنه خائف، فتخوفه بجبروت، وأنه لذي، فوعده بملكوت، وبذلك حولوا الله إلى سيد، والإنسان إلى عبد.

وشكك المغرضون وتقولوا: إنما جاء الناس فوجدتهم جهلة يغرغرون في الجهل، وأنه أمي<sup>6</sup> قراءة وأقرأه جبريل، ولم يقرأ أحداً سواه. وبذلك رأوا أن الله رجل وهو المستتير تلميذ لله، وأن الناس حيوانات وهو راع لهم. إن عقصتهم الريح، عنفصوا من حوله وعووا.

<sup>6</sup> نحن نرى أن جذر أمي يرجع إلى أمة بمعنى وطن، وجمع أمة: أمم. للوقع الخفيف على الاذن جاء في الكتاب النبي الامي حتى لا يقال: الاممي. وليس من أمي: بمعنى جاهل وهي في الاصل تطلق على البعير.



وجدف المجدفون بقولهم انه ساحر ونفتٌ وما نفتٌ، وعقدٌ وما عقد. كيف ما نفتٌ وما عقد، وساحر؟ لقد سحرنا بلسانه...  
وسوس الموسوسون إنما هو شاعر. وجنٌ ما التيس، وقرية وما أوى. وكيف ما التيس وما أوى وشاعر؟ لقد بهرنا بنور قلبه.  
وتكهن العرافون بعرفانهم وقالوا: إنما هو كاهن وخلجة وما اختلج، وسجعة وما سجع. وكيف ما اختلج وما سجع وكاهن؟ لقد سلبنا بصدق روحه.  
وأنكروا عليه كل معجزة، وجردوه من كل نتيجة.  
وهل للثائر معجزة، او خطة؟  
ما من معجزة؟ لقد غير وجه التاريخ ... ألا تكفي معجزة؟  
لقد انتصر بالضعفاء ... ألا تكفي من خطة؟  
لو لم يكن له إنجاز سوى أنه هدم الهيكل، لرجح أن يكون الثائر.  
كانت تلك خطة الرومان لينالوا من الثائر ويستبدوا، يقتلوه ويخنقوا ثورته. أما اليهود فقد وضعوا خطة وانتدبوا لها أبا الحكم.

### أبو جهل<sup>(1)</sup>

"ولم يدر... ان الثورة موجدة"

وعدت، ووعدني دين: أن محمداً قد أبى إلا أن يرى ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أعلامنا، وشتم آلهتنا، "وإني أعاهدكم على نفسي بحجر نضخت به رأسه".  
حين سألناه: وهل وفي أبو جهل وعده؟ ... قال: ومن وفي بعهد وقتله، سلوا عمر، ألم يحاول ثلاثة مرة وتلوموني؟

أجبناه: إنما عمر انته ثائراً.

قال: لقد امهل القدر عمر؟

لم يدر أبو جهل أن الثورة ليست عرضاً لتنتهي وتقنى، وأنها ليست أفعى لتطرد وتموت بسحق رأسها، وإنما ليست صنوبرة لتبيس بقص تاجها، ولا هي بنار لتخمد بترمد شجرها، ولا هي بنبض لتسكت بسكته قلبيه؟

لم يدر أبو جهل ولن يدر أن مثل الثورة كمثّل آدم وجد من تراب ووجدت.  
ما فقه أبو جهل ولن يفقه أن الثائر خالد لا يفنى، كل يوم يموت وينبعث، ثم يموت لينبعث فينيقا. صوته نور، وأجنحته نار.

غداً ستولد الأمة الإمبراطورية. وبعد غدٍ ستموت. ثم ستولد فانتظروا.

لقد اقترب موعد المخلص... من كان عنده رماداً نجاً.

لقد اقترب الوعد المنتظر... فمن اعدّ سلاحاً فرض السلام الذي يرى... تعالوا مجتمعاً، متحدّاً، شعباً... ترون المخلص المنتظر.

هذه خطة أبو جهل، أما خطة النضر بن الحارث، فاسمعها نتلوها على مسامعك واضحك.

### النضر:

«وبماذا الثائر أحسن حديثاً مني؟»

أن سجع سجعت، وان تلا تلوت. يقص أساطيره بلسان رحمان اليمامة، وأقصها بلسان أسفندار فارس.

إن تاجر، باع واشترى، وأنا أتاخر وأبيع وأشتري. أتى دمشق وجاور رهبان الكنائس، وأنا هاجرت وقدمت إلى الحيرة، وجادلت كهان هياكلها.

تحيطونه بهالة وتهملونني؟

هو اقتحم الريح المشتتة وجمعها، وأنا اقتحمت أسياذ قريش وجمعتهم. وما زرعه حُصِد وغُلّ، وما زرعه تبدد وذر.

(1) ورد ذكره في القرآن أبو لهب. وهو نفسه ابو الحكم (المؤلف)

تهابوه وتتجاهلونني؟ هل لأنه كتب بالسيف؟  
لقد اقلق مضاجع قريش وسقّه أحلامها، وعاب فكرها، وسب آلهتها. وقد هددت مضاجعها  
لتحلم، ومدحت أحلامها لتفرح، ودغدغت فكرها لتشرح، ونزهت آلهتها لتطمئن، فلماذا هو شرف  
مكة وهو موجود؟ ولماذا أنا يتأكلني الغيظ، ويلوكني الإهمال، إنني عدم غير موجود؟  
لقد أغضب روما، وبتر يدها، وفقاً عينها، وأنا أرضيت روما، وحفظت يدها، وصنت عينها...  
وركعت وتزلفت، فلماذا صافحته روما واحتقرتني؟

أيا مكة أن أمرك لعجب!

أهواء قريش عتت تهب عليه، وأهوائي... فما زدناه إلا كراً و فرأ وإقحاماً.  
قلت لقريش: أنا أكفيكم غضبه، وجنّته أفوضى ثورته بالمال، وأشتري حكمته بتعته الخمر.  
وعدت ثانية أبادله قريش بالسلطة، فبادلني باليأس، وعدت ثالثة أقايسه بالرأي، وردني خال  
الوفاض، أجر أفراس الخيبة.

كنا نخاف الطامة الكبرى فوقعنا ودون سابق انذار. جاهر وسمع الناس وتقربوا منه. وعندما  
جاهرنا، انفضوا من حولنا وتحلقوا حوله يزقمهم بقمه، ويقويهم بجناحه.

قذفناه بسموم الإشاعة، فردّها بالنظر، ربح وخسرنا.

ونعتناه بقذّي الكذب، فردّه بالعمل، حصّد وبُرنا.

ورجمناه بقرف الحجر، ودفعه بالمحبة. فاز وسحقنا.

لقد كان يتقن جميع ضروب الأسلحة، صناعة وصراعاً... فكيف لا نهزم وينتصر؟

أم سلمى:

«إن يبسنا يبست»

عندما اشتد جور قريش، قلنا له: الريح مهما عتت لا تحمل فوق طاقتها من الرمال.  
والصحراء مهما غضبت لا تحرق إلا الضعفاء صغار النفوس. والسماء مهما أجحفت لا تتغلّق  
على الثوار. أيها الزعيم مرنا، فقد طاب النضال. ردّ وفي صوته مستقبل: إلى اليمن. اذهبوا  
أحراراً، فالحرية شجرة تغرس في الغربية وتمتد إلى الوطن. ومن أراد ظل الشجرة يأتي ظلها ولا  
يأتي جذعها.

توكلوا، فاليمن حراء لكم مثلما حراء يمناً لنا ولهم.

اعتزموا باكرأ، فالتراب اشتاق إلى الأديم، والوطن اشتاق إلى الدماء، والأمة اشتاقت إلى  
الحرية.

وسألناه ولماذا نهاجر وهذا عددنا يفوق قريشا، وهذا ريحنا أنواء تدفع ريح القبائل، وهذا  
علمنا فوق ريح القوم يموج؟

قال وفي صوته غد: نحن لا نصنع قريشا نحن نصنع العالم، ولا ندفع القبائل إنما ندفع  
الشعوب، ولا نرفع علماً للقوم، إنما نرفع علماً للأمة.

هاجروا، ففي هجرتكم رياضة الأجحة، وأنتم طيور الأمم. كل تراب لكم وطن وكل أرض  
لكم أساس.

هاجروا، فالعقاب عشه حيث ينتهي النظر، وانتم عقبان القوم، أعشاشكم الغرب، ومسرحكم  
الشرق.

هاجروا، فالخيول حرة. وهل رأيتم حصانا مربوطا إلى معلف؟ أنتم خيول الدولة، حلبتكم  
الأرض، وصهيلكم السماء.

انشدوا، اصخبوا في الإنشاد، فالسيوف لكم أوتار والرماح لكم أبواق.

هاجروا فالطيور لا يتكاثر إلا في الهجرة.

الماء بحر، وعندما يكون قطرة اقترّب وتلمّسه. أما عندما يكون يما فابتعد واتقي لتحيط

به. وهكذا، القضايا الكبرى بحار أهرها وهاجر لتحيطها وتديرها.

لا، بل عندما تكون القطرة قطرة وتتدرج من خد ورقة إلى أخرى وتتاقص، رافقها برفق،

فالشجرة في نمو. أما عندما تكون القطرة سيلا، فأحقنه وإلا اقتلعك واقتلع الشجرة.

وهكذا ثورتنا قطرة قي اطراد. قال الثائر: إلى الحبشة. وعلمنا أن السيف أن بقي عشيق الغمد صدأ.

وهاجر نصف قادة الثورة، فإذا هم أمام تتين متعدد الرؤوس، أكبرها قضية المسيحيين في الحبشة، وقضية الفكر الجديد في مكة.

قال النجاشي سيد الحبشة، وهو حليف الأحرار أن قضت روما علينا، نضبت الجذور في دمشق، وجفت الأغصان في مكة وماتت الشجرة!

قلت: إن يبسننا يبست.

بعث سادة مكة رسولين اثنين بهدايا إلى النجاشي تبادله القادة بهدايا أو يطردهم إلى التيه، يتيهون بين الرمال والأنواء.

وجذعنا، فقال الثائر وفي صوته ثورة: لا تجزعوا فان النجاشي منكم وأنتم منه.

والتقى الأطراف الثلاثة ليخرجوا بحلفين وهدايا. الهدايا عادت من حيث أتت، والحلفين تعاهدا على الدم.

وابتدأ الدم أولا في الحبشة وانتهى في مكة.

وانتصر الدم على السيف.

ووشوا إلى الثائر، وانتظروه غضبا. أن المهاجرين انتصروا للنجاشي، وقاتلوا وقتلوا.

فقال: أحرار عانقوا أحرارا.

### ثورة عمر:

«حاملو الأوزار كثير، أما حاملو الوطن فقليل»

وألبت روما الحبشيين على النجاشي، ملكهم، بسبب معاهدته مع الثائر، فثاروا عليه بحرب أهلية ضروس. فما زادته ألا إصرارا على ما تعاهد.

أطفأ النار وأخمد الحرب ومات. فنعاه الثائر وأبَّنه... وبقي يوم موته ذكرى على الدهر يذكر.

فإذا كان النجاشي، فلماذا لا يكون عمر؟

وجار الحاكم وظلم. وظلمنا مانعين الماعون عن الناس، فصبروا، وقتلناهم، فسامحوا،

وابتترناهم، فلبوا.

فإذا كانت الناس، فلماذا لا يكون عمر؟

وأم النساء، وأبو عتيق، وأخو الأطفال، آه... لقد تأخرت، تأخرت أيها الفاروق.

وركبت قريش وأركبتنا في ركابها. وأعمتنا المطامع. ولم نكن لندري أن ما من إشكال يعالج

بالكي، وأن حلول الأمور ليست في القتل.

وضربت سيفي وقصدت أقتله في عقر داره. كان وكانوا أربعين رجلا، وقام يستقبلني استقبال

الفاحين وقاموا: على الرحب عمر، ما جئت مبتغيا، أن حاجتك عندنا.

وكتمت قصدي وانسحبت، ليس لكثرتهم انما لسؤاله.

وحزمت ثانية، ورأيت أن طلبه وحيدا منعزلا، سهل المنال. ووجدته كالشمس يخرج من

الكعبة ويدخل في الأقصى، ويتقصد نورا ويتلألأ. حزمت واقتحمت لأهزم مغلوبا على أمري،

كانت تحيطه في خشوعه ثلاثة سيوف: القدس سيف، والكعبة سيف، وحسامي الذي تمسمر في

غمده سيف، وسيف آخر... عقدة حاجبيه.

كانت تهابني العرب لشدة بطشي، وكنت أهابه لشدة وجده.

وثالثة أخرى بعيدا عن معقليه، جماعته وسيوفه. ترصدته حتى التقيته منفردا في مكة في

زقاق من أزقتها، قلت في قرارة نفسي: أباغته من دبر وأحمل للعرب خلاصهم، فباغتني نهرا:

أتيك مساء عمر!

وجاء، وجاءني بصفحة من كتابه طه وقال: اقرأ قلت: وما أنا بقارئ. قال: أقراني أنا

جبرائيل وأنا أقرئك. وقرأت حتى رأيت نفسي، كنت هو هو في الثلاثة.

وأعلنت ثورتي معه لا عليه، أمام المسجد والناس محتشدة، فالتحمت عليّ تقتلني، وقتلتها

حتى طلحت، ولما طلحت أقسمت، ودمي هباء للثورة القادمة، فارتدوا الناس مولين الادبار،

فارين... فأعلنت أن الكعبة منبر للناس، فأمرها أولا الطير، ثم الحجر، ومن ثم الثوار.

سألته: وكيف حمل الناس ظلم الحاكم، وكيف تحملوا وزرنا؟ قال وفي صوته بلاد: حمل البلاد أشقى من حمل الظلم، يقدر الإنسان أن يعيش بدون خبز، لكنه لا يقدر أن يعيش بدون ذاكرة. قلق الوطن أعظم قلقا من القلق ذاته، والمرء يستطيع حمل قلقه إنما لا يستطيع على الوطن حملا. حاملو الأوزار كثير، إنما حاملو الوطن قليل.

عمر... "الخروج عن الوطن عقوبة".  
عندما أعلنت ثورتي، وبعد أن جاهرت في انتمائي للشهادتين، بلغ التأثير إلى عقد اجتماع الفصل. كان المجتمعون كثر، جميع فرسان الإعرابية كانوا قد سبقوني إذ كنت آخر المقبلين. في البداية حزنت، ثم وعندما سمعته يتكلم: إنكم مجتمعون لأجل أمر عظيم يساوي وجودكم، وجود الأمة، اغتبطت وابتسمت في سريرتي وقلت: "لولا حب الوطن لخرب بلد السوء".  
في الاجتماع وقف متكلمًا، فقال وصوته قرار: لقد جاء الحق وزهق الباطل... إن روما كانت زهوقًا.

الآن، ولدت محنكم، وبدأت همومكم. واعلموا إن الشجرة الأكثر حجرا تلك هي الأكثر ثمرا. عاهدوني أعاهدكم... إن لا نوم وقدم أجنبية تلوث ترابنا. وعاهدناه وعاهدنا. وغربت شمس ذاك اليوم، ويا غد إن شمسك لقريب.

### ثائر من الصحراء:

#### "وأؤمن أن خلف الظلام صباح"

يا ريح مكة احملني إلى رمالك، ففي الرمال تغور بلاد وتغرق حضارة. مكة قبله تأسست في الصحراء والأساس حق، والجدران خير، والسقف جمال. مكة هल्ली، فقد جاءك الثائر وشرع في البناء. كان يأخذ الأقصى قبله وينتقل عنها قبله، فكيف لا أؤمن بمن جاء وبما جاء.

أرنو إليه وأؤمن أن الخروج من العبودية وشيك، وإن الحرية ستخرج خروج النهار من الليل.

أطلع إليه وأؤمن إن خلف الظلام صباحا، وخلف الظلم هناء، وإن العدل سينبثق من التراب انبثاق الشجرة من البذرة.

أنجذب إليه وأؤمن أن وراء الشوك رياضًا، ريحها لكل أنف طيب، ولكل عين جمال، ولكل يائس جنة. وأن الحياة ستنبعث من العدم انبعث الروح من المادة.

أتولى إليه وأؤمن أن بعد الهوجاء سكونا، وبعد الإعصار هدوءا. وإن الحرية ستنفجر من الجماد تقجر البيان من الصمت.

اسمعوا، اسمعوه يبشر في الصمت، وفي الصمت آذان تصغي. اسمعوا، يكاد الإصغاء يحجب عنكم المنال.

سيروا في ركابه وإلا حطمتكم القدم الهمجية، وداستكم خطى الثائرين.

لبوا المنادي إن ناداكم. ولا يسمع النداء إلا الأحياء الناهضون من أقبية الدساتير ودهاليز القوانين.

روما، روما...

هو ذا سيف اعقله إن قدرت، ولن تعقله.

وهو ذا قلم أجميه إن استطعت، ولن تلجميه.

ومن عقل سيفًا تدمي،

ومن لحم قلما تعشى.

قريش، قریش...

انه يناديك... من أقبل نجا، ومن تولى نجا، وليس هناء المقبلين كهناء المتولين.

من الأقاصي يتهادى صوته نذيرا: إن تخففتكم تصلوا...

التوراة ندم، الزبور ندم، المزامير ندم... ألم آتكم بها بيضاء؟

افتحوا أفئدتكم وأقبلوا... فالمكان رحب، والزمان عصيب.

اعرقوا في جهادكم، واتعبوا... ولا يعرق إلا العقول المنفطرة على العلوم، الناشدة النور.

تكبدوا في ترحالكم واعطشوا واطحلوا... ولا يتكبد إلا ذوو النفوس المشدبة، والأرواح المهذبة.

## محمد النبي الثائر الفصل الثاني

سادة الطائف

عداس النصراني:

«لقد اخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي»

قال عداس: تأجبت نار الحرب، وحمي وطيسها، واحتترقت مكة. روما نحت صوب الحصار الاقتصادي، فهي قد خسرت الحرب الباردة، الحوار السياسي والمجادلة، فلا تريد أن تخسر الحرب الساخنة. وعمد الثائر إلى المدن يمسخها بناره، ويلهبها بانتصاراته، ويقبئها على روما. أوعزت روما إلى كلابها ومنعت الخبز عن الأطفال، والماء عن الرجال، والحليب عن النساء. وأدى النبي الأمانة: الصوت إلى الأمراء، والكلمة إلى الملوك، والرسالة إلى الأمم. أشارت روما إلى اتباعها، أن انتشروا في الأرض، واعبثوا وافسدوا. وأوعز المصطفى إلى الناس أن ارضعوا الحكمة، وتفقهوا في فنون الحرب، وتدريبوا على الصراع. وحذرهم من الفظاظة. فما تقلدها امرؤ إلا وانفض من حوله الناس، وابتعد عنه الحق، وحاربه الباطل. شدّت روما يدها، وبرزت أنيابها، فقال: اصبروا، أعدكم بالنصر. وإن النصر حليف الصابرين.

وجاء الطائف، وترك مكة في مهب الريح، وقبل أن يتركها وعدها بالخلاص. وسعى في البلاد يبحث عن عمق للثورة، حليف يؤازر به حركته، ويعضد ثورته، ويفتح لمكة طريقاً يدر الخبز عليها، والسيف على الرمال.

في الطائف دخل على سادتها، وخيرهم بين العبودية وبين الحرية. العبودية مجاناً، أما الحرية فثمنها المال والدماء. وهو يعدهم الحرية وعليهم أن يعدوه بالمال والدماء. ووزنت السادة بين الرخيص والثمين، بين الانتماء إلى الثورة، وبين الولاء إلى روما، ورجحت كفة روما لتهزم السادة في معركة التحرير، واسودت وجوه أعداء الأمة.

لقد دخل إلى قصورنا ليردّ علينا كرامتنا، وليشتري نضالنا بالشرف، رفضنا وخرج إلى الناس، وقال: ألم تشرق عليكم شمس الحرية بعد؟ ألم يحطم إله الحرية قيدكم؟ أما كفاكم رقادكم الطويل من تأثير المخدر الخبيث الذي يبيته في عروقكم العرافون وسدنة المعابد؟ أما اكتفيت من

سخرة الأغنياء من سادتكم؟ سادتكم والقديسون يستعبدون روحكم، هذا ما عندي، فما هو الذي عندكم؟ وانتفضت الناس وخرجت من حولنا وتبعته. طرده من القصور، أجل، ولكن لم يدروا أنهم كانوا يطردون انفسهم، ويخلعون سيادتهم وهم غير مدركين.

كنت غلاماً لعتبة بن ربيعة حين أتى إلى عريشة ابن ربيعة يستبرد فيئها ويرتاح. وامرني سيدي أن اقطف عنباً أقدمه بين يديه ليأكل وينصرف. وعندما جئته على وجس، سمّرني في مكاني، إذ سمعته يقول: "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. الهي إلى من تكلمي؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟" الهي أسألك بلادي من الرومان. أكل وشكر ومضى. لحقت به أسأله أن يعيش في الطائف ذات الهواء العليل، والمرعى الجليل. ورجوته أن يظاهر الصحراء ذات القر اللاذع، والحر اللادغ، فقال: أستطيع أن أعيش في الطائف وأتنعّم، وأتأقلم، إنما هل تستطيع أنت أن تحيا في الصحراء وتتحد؟ الطائف وطني، ومكة وطني، وكيف لا اشتاق إلى رملة كنت جنين ركامها، ورضيع غمامها. لمكة عليّ دين، ومثلها الشام والقدس وبغداد... لم افهم كلمة مما قال. ولكنني كنت في ضرع الليل انهض على أنين موجه، ولم أدرك مصدره إلا حين تقوض عرش روما.

ابن فراس:

«لو أني أخذت هذا الفتى من قريش، لأكلت به العرب»

حقاً هو الثائر، وحقاً أنه قادم من الظلومات فجراً، ويحمل في جعبته قسطاً وعدلاً، وفي وجهه بشاشة.

سيصل، وحين يحط قدمه سيتوقف الزمان، وينتهي التاريخ. يقيناً كان يعلم أن روما شوكة، وأن الأمة جرحت، التهبت وأنتنت، إذاً وجب قلعه قبل أن ترمي الوطن جثة هادمة، تفوح رائحته، ويعلّ الروح. لقد اقسم واتخذ قراره، روما ستهزم، أجل ستهزم. وهذه الأمة المنقسمة على ذاتها ستتتصر. وما نبذته الأمم إلا حرصاً عليه وخوفاً على الثورة. وقد ابتعدت عنه القبائل فصانته وهي لا تدري، أحياناً أن الكره مفيد، تماماً مثل الحب، وأحياناً مضر. وعتت روما وتجبرت، مرحت في الأرض وظلمت، وما كلّ هو وما يؤس، إنما زاده ذلك إصراراً وقوة. وحيداً كان ينهض في هزيع الليل الأخير بأثقال تعجز عنها شعوب. ليلاً ونهاراً كان يحمل سراجيه ويمضي يكرز في القبائل، فريداً كان يدق ناقوس الحرية، بنفسه كان ينفخ في الصور ويحذر من الخطر الداهم.

إن أكثر كلماته كانت: إنما أمتكم هذه أمة واحدة، والثورة حزبكم فاتقوا. أحبكم أخي عيسى، وسألكم أن تحملوا صليبيكم وتتبعوه، ونبذتم عيسى. إنما عيسى لم ينبذكم واستشهد من أجلكم. وأنا أسألكم أن تحملوا مع الصليب سيفاً وتتصروا أخي وتتصروا للأمة.

اتحدوا في سبيل أمتكم وامشوا في الزمان، فانتم عرب أهل المروعة، وما وجدتم أمما وقبائل إلا لتتعارفوا، تعارفوا واتحدوا تفوزون.

وكذبت القبائل ولم يكذبها، ولم يغضب. وردّ على كذبها بالمغفرة. وسأعمل ليُغفر ذنبكم، ما تقدم منه وما تأخر، اعذرکم، لأنکم لا تدرون ما تفعلون.

أنكرته قريش قائلة: إنه لشيء عجب، أيجعل الأحزاب حزبا واحدا؟ ورد لقريش منكرها، ودفع بالحسنى تجنيها.

لا تهدي من أحببت فإن النير يهدي من يشاء.

وقاتلته كندة متعصبة لحزب الآباء والأجداد. وردّ عصبيتها بالتضحية: لا أولادكم ولا أموالكم تقربكم زلفى من النصر.

وسخرت كلب، وردّ على كلب سخريتها: ليس لثائر قيمة في قومه.

وأهانته حنيفة وأجابها: غداً يقول خائن الوطن يا ليتني كنت تراباً.

وقدّم إلى قبيلة عامر، قبيلتي أنا، صاحب مجلة لقمان. وجادلته وحاورته وأقنعني. وقلت لقومي بعد أن سفهوه وطرده لو أنني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب.

لقد مال إلى الحكمة، وردّ كلمة (لا) (بالأ) وبذلك كان يحتلب من الرفض يقيناً، ويقطف من الرياء اصراراً، ويستخلص من الضعف قوة.

أبدأ، تراه في آخر الليل قاعداً تحت ظلال نخلة يستند جذعها ويقول: إن في هذه الأمة بركاناً خامداً، وواجبي أن اعرف كيف أثيره.

إن في هذه الأمة زلزالاً لو ماد، لغير وجه التاريخ.

سعد بن عباد:

«الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وانتم مني، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم»

نحن الأنصار أبناء الشرق، وقد حسبت روما أننا عيونها بين الناس، نجول بينهم موسوسين مفسدين. قالت: هو ذا خبزكم من التجسس للنير الروماني. ولم تحقرنا وحسب، بل وسوست في آذان بطاركنا قائلة: أنتم لستم من الشرق، والشرق ليس منكم. أنتم لستم عرباً، والعرب أعداء لكم. أنتم بقايا أقوام غربية، غرباء، جاءت الشرق بقيادة الاسكندر المقدوني.

وخسأت روما، فنحن من الشرق، ونحن عرباً، أبناء الأرض ولسنا غرباء، ونحن لا نعرف الخيانة، الوطن ضميرنا والثورة وجداننا.

وقدّمت روما ذهباً للذي يأتيها بخبر الثائر.

وسعينا خلفه كالذئب خلف الطريدة، وفاجأنا بلقائه، لم يتحد بُعدنا عن جنود القيصر، وعرض علينا أن نكون عيوننا إلى روما. وسألناه وما هو مكسبنا، فروما تقايض عيوننا بالذهب، قال: تدخلون في الثورة تقاتلون. تَقْتُلُونَ وتُقْتَلُونَ، وتصبح الثورة حركتكم تسوسونها كيفما تشاءون، وتوجهونها كيفما تبغون. وتتكلمون باسمي، أتكلم باسمكم.

وهل نقايض العيون بالموت؟ أو نبذل الذهب بالثورة؟

وسحرنا عرضه، وكان العرض كلاماً بكلام... في البدء لم نع أنه كان يذكرنا بكتابتنا،

"في البدء كانت الكلمة".

ضحكنا ساخرين حتى الثمالة، وما أن انتهينا حتى كان أكثرنا يحمل الثورة عقيدة كحمل

اسمه. ليس لأنه أقنعنا بجذله وعرضه، إنما لأنه جاهر بوجدانه، وبجهره كسدت بضاعتنا،

وبارت تجارتنا، وبذلك غدت أعمال الجاسوسية عند القيصر خاسرة، إذ لم يعد يدفع ذهباً

بدل عيوننا. ورضينا بوعده.

لقد أتقن الثائر اللعب مع القيصر، فلعب مع الشاه وبذلك ثارت حفيظته، وعندما ثارت ارتد السحر على الساحر.

قبل أن يأذن ببدء الحرب جئته في العقبة الأولى وسألته: أننا نحن الأنصار قد بايعناك دمننا ومالنا، فما هي مكاسبنا يا أخا عيسى؟

فقال: أبايكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم. ووقف البراء بن معرور وأخذ بيده وقال: "نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا<sup>(1)</sup>، فبايعنا يا رسول الله، فنحن أبناء حرب، وأهل الحلقة ورثاها كابرأ عن كابر" واعترض أبو الهيثم بن التيهان قائلاً: "إن بيننا وبين الرجال حباً لا<sup>(2)</sup>، وإننا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟"

وكانت البسمة أقوى من الكلام، وكان العهد أبلغ من الوعد، وكان الميثاق: الدم، الدم، والهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتكم، وأسالم من سالمتم. وهذا عهدي عليكم. وبايعناه ليغضب ابن هشام<sup>7</sup>. وبايعناه بالفم الواحد المألن، فقال: سموا نقباءكم إلى القيادة والثورة والدولة.

نعترف... ولاؤنا لم يرجح كفته وحسب، حتى ولو لم نعهده فإنه سيعاهدنا عندما ينتهي للنصر، فهو يعتبرنا الخروف الضال من أبناء أمته، وأننا أخوة له. سواء أرضينا أم لم نرض. أجل نحن أخوته، أليس هو، هو عيسى؟

الجميع كان متأكداً من نصره، لأنه كان يريد، ويعلم ما يريد، ويسعى في سبيل ما يريد. ولأننا نريد ما نريد.

الكثيرون تحبوا بتقولهم من أن أحبار الأنصار كانوا قد تنبأوا بقدومه، وأنه النبي الموعود... لقد خسئ الكثيرون وصدق. ولو كانوا حقاً تنبأوا، لتنبأوا بقيام دولة عربية تقوم على أنقاض دولة القيصر، وتتربع على عرش العالم ولألف سنة من الزمن؟

عندما عيرنا المشركون: وماذا كسبتم من عهدكم له؟ إن تجارتكم خاسرة، كلام بكلام، فانتظروا العواصف في بيادر مواسمكم. ورددنا كلامهم بلسانه: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء. ونحن على قومنا كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم. وأنا كفيل على قومي... وكفيلكم وكفيل هذه الأمة إلى النصر.

## العباس بن عباد:

«إن شئت لنملن على أهل منى غداً بأسيا فناء»؟

بعد أن انكسرت شوكة روما في حرب الكفاح المسلح، لجأت إلى المراوغة والمداهنة. وراهننت على الوقت حتى تخدم نار الثورة. وأملت أن تربح بالحرب الباردة ما خسرت في الحرب الساخنة. وهادنته لتتحى نحو الحصار الاقتصادي وهادنها ليؤلب القبائل عليها، يؤلبها ويوحدها. والثائر، الذي أتقن لعبة الحراب، خاضها وقطف ثمارها، أتقن أيضاً لعبة السلام والاقتصاد وقطف نصراً.

في الحرب انتزع من روما نصريين اثنين: الأول أخذ ميثاق القبائل، فلا تحارب لا معه ولا عليه. والثاني تعاهد مع الأنصار وأنشأ مجلس النقباء.

(1) كناية عن المرأة.

(2) إن بيننا وبين اليهود.

<sup>7</sup>ابن هشام: صاحب السيرة النبوية المعروفة بسيرة ابن هشام



كنا نحن الأنصار متعطشين للحرية. وكانت كلما اشتعلت لنا نار أطفأتها روما بالوعود المعسولة حيناً، وبالوعيد حيناً آخر. وكنا نخشى وعيدها، فتميل ميلاً حسناً معللين النفس الفوز بوعده.

وحتى لا يذهب مجلس النقباء أدراج الرياح، كاشفتهم بالغد الذي ينتظرهم: يا معشر الأنصار، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ «الثائر» قالوا نعم، إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال، وقتل الأشراف، فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة؛ قالوا: فإننا نأخذ على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفيّنا؟ قال: الجنة، قالوا: وما الجنة؟ قال: الحرية، قالوا: أبسط يدك، فبسط يده وبايعوه.

ورأينا الحرية قاب قوسين أو أدنى، وسارعت إلى الناس بالصوت المألن: والله، والذي بعثك بالحق، إن شئت لنملن على أهل "منى" غداً بأسيا فإنا؟

وردّ عليّ صوتي بالحسنى: شجرة الحرية لم تورف بعد، وشمسها لم تبرز ولم نؤمر بذلك، الآن ارجعوا إلى رحالكم.

وكمدنا، وكأئنا الثائر قرأ كمدنا، فقال: ما جئت إلا وعداً ونصراً، إنما الحرب دهر في اللحظة. الحرب ناقة لم تبلغ سن العشار، فمن أراد حلب الناقة عليه أن يدخل في العشار أولاً.

## شيخ من لبنان:

### حدثهم، حدثني، أحدثك

يسموننا الهجرة، وأسميها حركة في المكان، وهل تبديل مواقع الصراع هجرة؟ وهل الحركة في أرجاء الوطن هجرة؟ وإن أرادوا بها كناية، فليكن ما أرادوا، ليكن من باب الإعجاز وللدلالة على ظفر المستعمر وظلمه. الظلم يحول الوطن إلى دساكر ومعسكرات، والفقر يحول الوطن إلى غربة، والعبودية تحول المجتمع إلى أمم وقبائل وعشائر. وقد قال أخي في الثورة، تلميذ الإسلام: "الفقر في الوطن غربة" وأنا أخذ بمقولة أخي.

هو ذا وطني، وحيث هبت ريحي أسست ومكنت الأساس. مكنوا الأساس، فالبنيان القادم مرتفع شاهق.

إذا كان انتقالي بين مدن الجزيرة هجرة! فكيف يُعرّفون رحلتي إلى الشام؟ هل هي غربة؟ عندما اشتد الحصار الروماني، أشرت إلى الثوار المكيين أن انتقلوا إلى المدينة، في المدينة لكم اخوة أنصار ثوار. وهاجروا إلى المدينة وكما هاجروا في أنحاء الوطن، يتوزعون في مسالبه ومسالكه. كأن هاجروا إلى اليمن، أو إلى الطائف، أو إلى الخليج العربي، أو إلى عمق الصحراء... وزع الثوار في أرجاء الوطن، قبل أن يلودوا إلى بلاد الشام، ففي بلاد الشام أبناء عم لهم. من دمشق الشام ستكون أول خطوة لهم باتجاه دولة عظمى، وفي بغداد الشام ستكون آخر خطوة.

وعنت روما، وتناولت اليد الرومانية، فاندلعت نار الثورة، أولاً، في دمشق الشام، وتلاها بغداد العراق، عاصمتي سوريا، ثم، وحيث كانت عساكر القيصر، اندلعت نار، ونار لم تتطفئ.

أيها المهاجرون، انتشروا في الأرض تكسبون، واحرصوا على الخيط الروماني، فما روما إلا دمية أنتم أناملها.

هجرتي إلى المدينة كانت كهجرة أي زعيم ثوري، أراد القيصر ثورته، وأراد أجراء القصر رأسه.

كنت متعطشا إلى الحرية ظمأ، فحيث مكنت قدمي، ترعت الكأس الرومانية حتى الثمالة. كنت أترعها ولكن ما كنت ارتوي، ولن ارتوي حتى تتوارى صورة روما من أمام عيوني. وهل يرتوي الشارب في نومه؟

قطعت مسافة في المدينة، وخطوت رحلة في المستقبل. كان يوم، واشرق آخر. نهضت كالملدوغ وأشرت إلى أصحابي: هيا إلى مكة، إن صراع الخارج يبقى للخارج، إن زرعكم في مكة قد نما واشتد عوده، هيا إلى الداخل لا تموت الأفعى إلا من رأسها. وعدنا إلى مكة، فالمسافة بينها وبين اليرموك قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى. اشتاق إلى "اليرموك" كحناني إلى "كان"، وستشتاقون إلى يوم موعود كحنانكم إلى اليرموك.

سألوني، أمس مساء، وفي العقبة الثانية، وحين شهرنا سيوفنا مقاتلين، سوقنا إلى اليوم الموعود. وصباحاً باكراً نهضنا على صوته ينادي للحرب، فما عدا ما بدا؟ تعلموا أن توافقوا مجرى الرياح، واستفيدوا من مواقع الشمس، وبهذا برهنت لهم أن ما من انفصام بين علم الحرب وأي علم آخر.

النظام: النظام قوة. ووزعنا نحن المهاجرين والأنصار والأمم إلى أخويات كل أخوية لها نظامها وواجباتها.

في البدء كانت أخوية الشهداء، وواجبها مقارعة روما بالسيف. ثم كانت أخوية الفدائيين الأحرار، وواجبها تضليل المشركين واليهود عيون روما. وأخوية المصارعين، وكانت بزعامته، وواجبها الصراع على جميع الجبهات، فمن الصراع الفكري إلى الصراع الزراعي، ومن الصراع الصناعي إلى الصراع التجاري. كانت الأخوية تعمل وتمتد.

وكان زعيماً، وكان ثائراً. كان زعيماً، لأنه كان آخر المتكلمين، وأول العاملين، وكان قائداً، لأنه كان أول الثائرين، وآخر الأكلين.

اخوتي، أبناؤنا ذوو اجنحة فينيق، فهم إذاً بحاجة إلى دولة عملاقة. والدولة العملاقة لا تولد ولادة طبيعية، إنها بحاجة إلى عملية قيصرية لتولد. ولدها من رحم المجهول، ولدٌ مشرقياً أسمر. ولدها ودفعها إلى شقيقتها الكبرى القدس لتربيها وترعاها وتتشأها.

أبنائي، ستكون دولتكم عظيمة، وستباهون بها الامم، وستتخذون من دمشق محوراً لأمجادها، لأن أطرافها ستكون في طرفي الأرض. وهي عظيمة لأنها من أبوين عظيمين، فوالدها نبي من سلالة نبوية ابتدأت مع عيسى واختتمت معي، وأمها آشور، عظيمة لأنها نسخة عن الحضارة القديمة.

لم نع كلمة مما قال، وبقينا تائهين في الزمان حتى ولدت دولتنا، وكان هو قد انتقل إلى العلا، وانتقلت روما إلى العدم.

وبان الفرقان، وتيسر البيان، فهو قد ولد يتيماً وهي أيضاً. ولادته كان قد رعاها جده، ودولته ترعاها جدتها سوريا.

إنها دولة عظيمة، مثله تماماً، هو تواصل بالبسمة، وهي قامت بالمحبة. ونحن أبناء أرومته لسنا هواة حرب، أو غاويي سلاح، ولا نبحت عن أسواق جديدة لنروج الموت. نحن هواة سلام، أسواقنا عقول بكر، خام نزرعها محبة ونحصدها. لقد ناداني أخي عيسى وليبيت النداء، فاسمعوني ينكشف لكم الماضي، ويختصر المستقبل.

عبد الله بن زيد:

### المشاركة في العمل فنّ

العمل الكبير جنينٌ يتكون من نطفتين: الإرادة والممارسة. ينمو في الليل، ويتزعرع مغموراً، حتى يتربع عظيماً، ويترجل جلالاً. والثورة سر من أسرار الحرية المقدسة، ولدت في الصحراء، وحبّت في الحبشة، وتربعت في الشام.

عندما بدأت أوراق الثورة تظهر للقيصر، وتتكشف للشاه، اقتضت الحكمة أرضاً جديدة نمارس عليها الصراع. وتوافدنا إلى المدينة ثواراً يواكبون ثواراً.

أول القادة المهاجرين كان: عمر بن الخطاب: و"عثمان بن عفان"، أما القائدين الآخرين: فالشيخ رافقه، والفتى نام في فراشه.

هاجر "عمر" على رأس أول جماعة. لا ليقودها وحسب، إنما ليكاتب الأمراء والشيوخ، ويستقطبهم إلى جانب الثورة. وآخرهم الثائر، كان يشرف على سلامة المهاجرين، فقد بعثنا إرسالاً.

أواخر المهاجرين ثلاثة: الثائر أول الثلاثة، وعين المهاجرين، وثاني الثلاثة كان "أبو بكر" وخبز المهاجرين، وثالث الثلاثة "علي" ملاك الثورة وحارسها، وقد نام في فراش المصطفى ليؤخر الطرادات الرومانية ويعيقها من ملاحقة المتأخرين من المهاجرين.

علمنا أن لا نؤمن إلا لمن اتبع ثورتنا، وحذرنا من الحكومات، كان لا يثق بأمر أو ملك، فالحكومات مثل اليهود يقبرها الدينار، وعلمنا أنكم تعرفون اليهودي من رائحته، وتعرفون الحاكم من ثرثرته.

قبل أن نتولى دروب الهجرة زدنا بحكمة تكفينا همّ الطريق، فقال: احكموا بالرحمة، وإياكم والشك، فإن شككتم أسألو النصارى تقلحون.

النصارى أخوة لكم، وأنتم أخوة لهم. عيونهم تفيض محبة، وأنتم للمحبة نهر، على ضفافكم تجري الحياة، وتعمّر المدن، وتنتشر الحضارة.

المهاجر أخو الأنصاري، يتقاسمان البيت والرغيف والجهاد. والكل أمة واحدة لها هويتها، ولها حريتها، ولها كرامتها وثورتها. ولها رسالة تحملها إلى العالم محبة وسلاماً.

النصارى كانوا أكثرنا شراسة في قتال روما، وأشدنا مراساً وصبراً. وعندما سألنا عن علتهم في ذلك قالوا: هذه الثورة ذهبت بمعلمها الأول صلباً، فلا نريد أن يذهب معلمها الثاني إلا نصراً، ومن يدري إذا ذهب شهيداً، فهل تقوم لنا قائمة؟

ووهبنا العقل آلة، وأرشدنا إلى استعماله. بإشارة منه صنعت نشيد ثورتنا، وحين جئته أبشره واستقتي رأيه قال: اعرضه عليّ، وعرضته:

«الله أكبر، الله أكبر

الله أكبر، الله أكبر

اشهد أن لا إله إلا الله

اشهد أن لا إله إلا الله

اشهد أن محمداً رسول الله  
اشهد أن محمداً رسول الله  
حي على الصلاة  
حي على الصلاة  
حي على الفلاح  
حي على الفلاح  
الله أكبر، الله أكبر  
لا إله إلا الله»

استحسنه، وهذا دينه وعادته، لقد كان يستحسن الجمال أينما وجده، وكان يؤيده في اخوانه، يؤكده ويعتقه.

وسألني رأي، هل نعرفه بالآذان وليس بالنشيد. يسألني؟ وخجلت! وكان الآذان فاتحة الحرب، وفاتحة السلام، وفاتحة عصر جديد.

ثم استأذني. وهل يؤذنه "بلال"، فبلال أمدى صوتاً، وأشجى لحناً، وأصفي ترتيلاً؟  
الثائر، كان فارساً صنديداً، وكان يصون لياقته البدنية رياضة في أعماق الطبيعة العذراء.  
أبداً، كان يردد على مسامعنا: اقبلوا إلى الصحراء، إن هواء البر ينظف الدماء، ويظهر الأرواح، فاذهبوا وتوضوا في الصحراء.

صارع الكثير من الفرسان وصرعهم، لا ليفوز عليهم، ولا ليحققوا عليه، إنما ليجذبهم إلى ثورتنا، يشاركوننا همومها، ويصنعون قرارها. وليس ليأسرهم بأوامره ونواهيه، أو يرهقهم بشروطه، إنما ليشاركهم سيوفهم، ويناصفهم أفكارهم.  
أحب أن أحدثك أكثر، إنما علمنا أن الحياة تكمن في فن المشاركة في العمل، لذلك سأترك المنبر لغيري، ولغيري أن يتم ما قد بدأناه.  
هذا، ولا أعرف إن كنت قد بلغت ما انتدبت إليه.

**علي بن أبي طالب:**

**لن أتحدث عنه، فشهادتي مجروحة.**

اختتمت المهاجرين، فقد تكلفت الودائع والأمانات إلى أهلها. الناس وثقت بحركتنا، فجاءت بذهبها وفضتها وأموالها تستودعها في خزائننا، خوفاً من روما.

حين بدأت إرسال المهاجرين تتجه صوب المدينة، أرشدنا الثائر قال: "أبو بكر" كفيل المال، و"عمر" كفيل الكتب، وأنت كفيل الودائع، أعدّها وألحق بركبنا في المدينة.

سهرت على الودائع، واتخذت من بيته عاصمة، وتاهت روما، فلم تدر أين نحن؟ وفرح القيصر بخروجنا من مكة مراناً على موتنا في الصحراء، ونام مطمئناً وواعد نفسه بالخلاص، وقال: إن الذي عجزت عنه روما، ستتجزه الرمال. وارجع الأسباب إلى تقوله. إذا كانت النبتة لا تنمو في تربة غير تربتها، ولا تينع في إقليم غير إقليمها، فكيف تنمو وتينع في الصحراء؟ وهذا محمد الذي عجز دسائسنا، وأعياء رجال قريش، سيموت في الصحراء تائهاً ظامئاً، وسيضيع قاتله، وسيتناثر الإسلام هباءً منثوراً.

لحقت بالمدينة بهدي السيوف ووهجها. كانت سيوف الثورة تجذب الناس مثلما يجذب التراب بذور الحياة.

وتوافد المنتمون إلى الثورة أفواجا أفواجا، وجاء يوم النصر، وجاء يوم النصر.  
أرادتها الأنصار حرباً فاصلة، وأرادها مناوشات لا هي بالسرية، ولا هي بالمعلنة، ورفضتهما روما، لقد شعرت بدنو أجلها.

وقف الثائر خطيباً: \*غلبت الروم، في أدنى الأرض\* وتزعزع الصرح الإمبراطوري في أقاصي الأرض.

أرشدنا إلى طريق النصر الأقصر قائلاً: هبوا الصحراء ظهوركم، وهبوا روما وجوهكم... وهبوا هبة رجل واحد، لا تميلوا ولا تواعدوا أو تتوعدوا... وإنه لنصر قريب.

وتناقلت الاخويات حجارة روما تأكلها ومثلما ينقل النمل حبوب الحنطة ويأكلها. تداعت الابراج، وتهدمت الحصون، وانهارت القلاع كأنها العصف المأكول.

حين لمست روما شراسة الأنصار في القتال ارتعدت فرائصها وقالت: هؤلاء هم المظلمون، الخدود الصاغرة؟ ونطقها الحق وجاهرت تقصح عن سرها وتموت: وهل تتأرون لمعلمكم؟ أتريدون أن نصلبكم؟ لا الفلسطينيين ولا الكنعانيون صلبوا عيسى. روما صلبته واليهود. لقد تأكدنا موته على الصليب، فكيف يقوم اليوم في الصحراء؟

لم يترك القيصر وسيلة إلا واستعملها ليدحر بسالة النصارى الشجعان، حتى الصليب رفعه بوجه الاخوة الفدائيين، وكان الفدائيون النصارى يردون رياء القيصر: إنه حق يراد به باطل.

حق يراد به باطل، إنه لقول حق، تعلمته وحفظته وعملت به.

قاتلت الأمم تحت راية الثائر، قاتلت واستبسلت لأن كل أمة كانت تراه على صورتها. فقد رآه الأنصار على صورة عيسى، ورآه الفلسطينيون على صورة دليلة، ورآه الفينيقيون على صورة أليسا، ورآه الآشوريون على صورة نبوخذ نصر. الكل رآه على صورته، فكان يتوق إلى الحرية ويصارع.

أرعبت أمم الأرض جميعها، حتى فارس الإمبراطورية الند لروما خشيته، فوقفت خلف أصابعها ترقب بحذر صافنة هائمة.

وصارع عرب الجزيرة وعرب الشام روما، متكافلين متعاضدين. الجزيرة والشام قاتلتا منفردتين، حتى مصر الأمة الأكبر وقفت تتفرج وتتنظر مشدوهة، لم تدخل الحرب، فهي كانت مكتوفة، مقيدة الأيدي، فقد سبعتها روما طويلاً. ولم تنهض من سباتها إلا بعد انهيار الأبراج الرومانية، واندحار آخر جندي روماني من بلاد الشرق.

هوت روما، وهوى عوف العملاق الشرير عدو كنعان وعدو العرب اللدود.

وتوافد سفراؤنا في كل الاتجاهات. أولاً إلى مصر يحملون لها الاطمئنان، وثانياً إلى الأمم يحملون المحبة، ويحملون الحرية.

إلى الشام لم نبعث سفراء، فقد سعينا جميعنا إلى القدس، وأمها عمر. وخرج الحواريون يستقبلون وفادته مهللين مكبرين، وبذلك صدقت مقولة عيسى، مقولة عودة الخروف الضال.

وكان يوم، وحلّ آخر. وتوالت الانتصارات تزحف صوب الثائر، ومثلها كانت الهزائم تزحف صوب القيصر.

فرح العرب، وانشرحت صدورهم، إلا صديري، فقد ألقى فيه حزازة، إذ لم يمهل الموت النبي ويشهد معنا اليرموك.

عندما أمّ العرب اليرموك محاربين، أمها المتقدمون من الصحابة والمتأخرين. وحين شاهدنا نحن المتقدمين فكر "خالد" العسكري وبسالته قلنا: أن هذه النبتة من تلك الشجرة، وكنا نقصد "حنا بعل". وتتبانأ بدولة إسلامية تمتد في الزمان إلى مئات السنين.

حين جئت الخليفة "عمر" أبارك له اليرموك قال: أبشر يا فتى فقد أصبح العالم بيتاً عربياً نرعاها كما نرغب. العالم قد أصبح خاتماً يدور مع الخليفة كيف دار، وسنملأه عدلاً وحرية. العالم عائلة واحدة ونحن رعاتها.

لتنقوم إمبراطورية على أنقاض إمبراطورية روما، المترامية الأطراف، هي بحاجة إلى مساحات شاسعة، لذلك حررنا الوطن، فتألق من "أنطاكيا" الشمال وحتى "نجد" الجنوب، ومن "أحواز" الشرق وحتى "سيناء" الغرب، هذا أولاً. وثانياً، ورثنا الممالك الرومانية. فقد كانت أمم الأرض حين نأتيها ترتمي في حضن "دمشق" مرعوبة خائفة. وورثناها لنحرثها بالمحبة، ونسوسها بالقسط.

وهكذا كان للثوار ما راموا، وما خططوا وما تنبؤا!  
وورث الحق كله الباطل كله.

### كعب بن الاسود:

اليهود أعداء الحرية، وأعداء الناس  
العرب طيبون،  
طيبيون...

يجهلوننا العرب جهلاً كلياً فهم ينسبوننا إلى مصر مرة، ومرة إلى فلسطين، وتارة ينسبوننا إلى العربية، وأخرى إلى المجهول، وفي كل ذلك أن العرب طيبون، طيبون لأنهم لا يدرون ما يفعلون، فإن كنت تسمع، اسمع أعرفك من هم اليهود؟  
عندما يتحدث عنا ابن هشام في سيرته النبوية، فهو يتحدث بلغة يهود، مثل: قال يهود، فعل يهود، انكس يهود... أي يعرفنا دون "ال" التعريف. وماذا يعني هذا؟

يعني أن ليس جميع اليهود أشراراً. بعض اليهود أجل، وهم أكثرنا، أكثرنا أشراراً، عين العقل، أما أن يكون اليهود أشراراً بالمطلق، فذاك غير مقبول! وهذا التعريف لأبن هشام يتباين وتعريف أخرى مثلاً: يقول الأنصار، النصاري، المهاجرون... وبرأي، فأن ابن هشام قد انصفنا ولم يظلمنا، في حين أنه ظلم النصاري أو الأنصار ولم ينصفهم.

اعترف. لا يوجد شعب اسمه يهود، لأنه لا توجد أرض اسمها يهودا، مثل الشعب الفرنسي نسبة لبلاد فرنسا، وألمان نسبة لبلاد ألمانيا، والسوري نسبة لبلاد سوريا... وهكذا.

ونعترف. نحن لسنا مجتمعاً، فالعلم يقتضي أن لكل مجتمع عاداته وصفاته وثقافته ومزاياه وما يميزه عن أي مجتمع آخر. ونحن مجموعة من الصفات والعادات والثقافات اكتسبناها من المجتمعات التي إحتكينا بها وعشنا على أطرافها، وأقول، انتبه للفظ العيش، نحن نعيش ولا نحيا، فالحياة تقتضي التفاعل ونحن لا نتفاعل، وتقتضي الوفاء ونحن لا نفي بوعد، وتقتضي الفداء ونحن لا نضحى. نحن كالماء، دون لون، ودون رائحة، ودون طعم. ولنا استعداد لنكتسب كل لون، وكل رائحة، وكل طعم.

ومن نحن؟

فإذا كنا نحن لسنا شعباً، ولا مجتمعاً، ولسنا حضارة، فمن نحن؟

نحن دين، ودين ليس بمعنى فكر أخلاقي، إنساني، فالدين نتاج فكر المجتمع، فإذا لم نكن يوماً مجتمعاً فكيف نكون ديناً. دين بمعنى حزب نفعي، يبحث عن الربح السريع. دين نفعي بمعنى أكبر قدر من المنفعة، لأقل عدد ممكن من الأشخاص، وبأسهل الطرق وارخص الوسائل. أنت تفكر، الآن، إن اقصر الطرق هو الطريق المستقيم. لا، إن أقصرها برأينا هي الطرق الملتوية.

ودين ليس بمعنى ثقافة، ولو كان كذلك لانتشر ديننا في أوساط المثقفين من كل مجتمع من كل أمة. لعلمك، المثقفون أعداؤنا، والعلمانيون يرهبوننا، والدينيون يرهبوننا. ديننا، تربته الجاهلية، وبيئته الأمية، واتباعه العميان. إن هاجس الأعمى بلوغ جزيرة الأمان، كيف؟ ليس مهماً، المهم أن

يبلغ، ومصلحتنا قيادته، وقيادتنا هي الأمثل والأفضل، لأنها أكثر ربحاً، فنحن نقوده لا لنبلغ جزيرة الأمان، إنما لنربح. ثم نحن لا نعرف جزيرة الأمان فكيف نصل؟ وكيف نرفض، فقد أعطونا بدل البلوغ ذهباً!

وفاز ديننا، واستلب عقول البسطاء من الناس من كل مجتمع من كل أمة. ومرد ذلك لسببين: الأول الناس أنفسهم، والثاني لقد قرئنا ديننا بأسبقية الوجود. إن فكر الأقدمية في الزمان قدمتنا على كل نبي يأتي بعدنا، فإن وافقنا، كسبنا، وإلا حاربناه بالإشاعة. انظر، حتى عيسى بن مريم عندما جاهر بأنه ليس من نسل داوود، وأن مثله كمثل آدم من تراب، أصر العميان على ربط نسله بنسل "داود"، لقد رفض العميان صدقه، وقبلوا كذبنا!

بثورتك أحلفك، ما الفائدة من السلالة؟ وما المكسب بورود اسم النبي الثائر أو غيره في التوراة؟ فلو كان حقاً لم يرد، هل يبطل أن يكون الثائر ثائراً، وينشد للحرية؟

كنا نهزأ من الناس بتقولنا أن الثائر وَرَدَ عندنا في التوراة وهو من وعدنا به أحبارنا، صدق الناس، فهل نكذب الناس ونصدق الثائر ونكذب أنفسنا؟ وفرحت الناس حتى السكر. وعندما تسكر نسرقها، وما أيسر سرقة من سرقة الجاهل الأعشى، أعشى البصر، الأعشى البصيرة.

تراني أخطبك بصراحة، ولا أخشى مصلحة، أو أهاب غضب زملائي في المنفعة، أو أبناء شعبك. أبناء شعبك أميون لا يقرأون، وإن قرأوا لا يفقهون.

هنا اعترضت محدثي وقلت: أراهنك بمئة دينار إن أنت تكلمت معرفاً الماسونية! فقال: خسرت، هاتِ المئة.

أعطيتها فقال: الماسونية هي اليهودية، واليهودية هي الماسونية، اسمان لمسمى واحد. اليهود هم الماسون... كل أمة فيها دين يهود من نفسها، ومن ذاتها، فإن أتيت الصين وجدتنا هناك بوذيي. وإن جئت الهند رأيتنا أمامك مستتيرين، وإن ذهبت إلى روسيا لمستنا هناك ملحدين، وإن رحت إلى فرنسا، وجدتنا وجوديي أصحاب الأموال، وإن قدمت إلى بريطانيا، عاينت أننا هناك حزب المحافظين... وهكذا.

اليهود هم هؤلاء نحن:

الإقطاعيون الجشعون، والرأسماليون الفجعون.

الطائفيون الجاهلون، والعائلات الحالمون.

اليهود هم نحن:

البخلاء الذين أسرَّهم الدينار، فأسرَّهم وعلموا الناس البخل.

الجبّاء الذين جذبتهم الأوسمة، فتبعوها واشتروا الناس بقليل من الفضة.

الغوغائيون الذين انتموا إلى الفوضى، ولم يعد بمقدورهم الخروج منها.

اليهود هم نحن:

خفافيش الليل، الناعبين في العروش، الناعون الأحياء، والمانعون الماعون.

أفاعي الظلام، ننفث السم وننادي: بلسما، بلسما...

اليهود، وما من أمة سليمة معافاة، لأنه، وأنت خير العارفين، دود الجبن منه وفيه، وهكذا نحن دود الأمم وقرضة الأوطان.

اليهود هم نحن عرب في بلاد العرب، وسوريون في بلاد سوريا، وصينيون في بلاد الصين، وأميريكيون في بلاد أميركا، وفرنسيون في فرنسا... وهكذا.

ونحن لم نأت بلاد العرب من روما، أو من بلاد اليونان، أو من أية أمة جاءت العرب غازية، بل نحن عرب، وسيدنا أبو لهب. ولو كان أبو لهب ثائراً مع الثوار، لوجدنا مائة أبي لهب مثل أبي لهب يسودنا ويتقدمنا.

اليهود طفيليات تعيش على الجذوع، وتفتك بالحياة. عملنا الجاسوسية، وصوتنا النعي.  
اليهود عيون روما بكذا دينار، فأن أعطانا الثائر ديناراً واحداً لأصبح المجموع كذا  
دينار ودينار، ولأصبحنا عيونه وعيون روما، إنما الثائر لم يبادل عيوننا بدينار، فهل نكون  
عيونه، ونخون الخيانة، مبدأنا في الحياة؟

اليهودي ثاني اثنين لثالث، وكانت إرادة الثالث توريث البكر، ورفض البكر الميراث،  
وهب الآخر محتجاً رافضاً، وحين ورث الآخر، أنتفض الأول على الوارث والوريث.

اليهود نقيض الموضوع، نقيض ليس بمعنى المنطق "الهيغلي"، البرهنة على الموضوع  
وعلى نقيضه من أجل نتيجة جديدة وموضوع جديد، إنما نقيض بمعنى المخالفة. خالف تعرف، فإذا  
كان الموضوع إيجابياً، كنا نحن سلبه، وإذا كان سلباً، فنحن أيضاً سلبه.

اليهود عدد لا يجمع ولا يطرح ولا يضرب ولا يقسم، دائماً في النتيجة يوجد كسر.

اليهود حرف، وحرف لا يكتب ولا يلفظ ولا يقرأ.

اليهود لفظ يقرأ بكل الاتجاهات، من اليمين إلى اليسار، ومن اليسار إلى اليمين، ومن أسفل  
إلى أعلى، ومن أعلى إلى أسفل. وله طواعية الحذف والزيادة والنقصان، النقد والنقض، التورية  
والكناية، التشبيه والمجاز، إنما لا معنى لها.

اليهود يهوه... يهوا... هوا... حد لا معنى له ولا طعم ولا شكل أو رائحة.

باختصار.

اليهود هيولى، ولها استعداد لأن تكون نقيض أي شيء موجود، لتدمره، وتفتيه، وتسلبه.  
وتنفست الصعداء أريد الإجابة فقال مقاطعاً: قبل أن تتطرق وتقول رأيك، فأنت إذاً موضوع،  
وعندي استعداد لأكون نقيضك، لأنفيك وأسلبك. وأقول: استعداد، إنما ليس كما تفكر، فلا يغرنك  
المنطق.

وغداً، إن جاءك اليهود بشكل جديد، واسم مباين، فلا تسلني متعجباً! وكيف ذلك؟ فلن أجيبك،  
لقد مللت الحوار.

ووقفت متحدياً أسأله: أفهم من حديثك أن شجرتك الخيانة، وثمرتك الجاسوسية، فهل عندك  
سجل يؤكد ذلك ويشهد عليه التاريخ؟

فقال: مائة دينار

قلت هذه هي.

وتلقفها كما تتلقف الأم ابنها الضال، أو كما تتلقف الأرض المطر وقال:

سابقاً، في القديم، كنا عيون الفرعون على المصريين، وعندما استيقظ المصريون أصبحنا  
عيونهم على فلسطين، في فلسطين، غدونا عيون القيصر على الكنعانيين، ورافقنا "عيسى" حتى  
صلبناه. الآن نحن عيون القيصر على الثائر، فهل تقوم قائمة الثائر أم تقوم قومتنا ونقتل "محمداً"؟  
غايتنا الآن، أن لا يقوى الثائر ولا يزول القيصر، إذ في خزائن القيصر دنائير كثيرة، ويبدو أنه  
سيزول، ويبدو أننا قد دخلنا في عصر الانتظار، وبينما نحن ننتظر الثائر لينهض ويقوم، سنبقى  
عيون القيصر.

تصور، ولا أقول تيقن، إذ أن عملنا فوق اليقين، في الأمس القريب كنا نحن يهود "الخزرج"  
حلفاء بني "قينقاع" اليهود، وكان بني "قريظة" اليهود حلفاء بني "الأوس" اليهود، وعندما اندلعت  
الحرب بين بني "قينقاع" وبني "الأوس"، خرجنا نحن نعا ضد "الأوس" على "قينقاع"، وخرجت  
"قريظة" على الأوس تعاضد "قينقاع"... انظر كيف تبدلت الأدوار وتغيرت القوى وحاول الثائر  
أن يصلح بيننا البين، ففشل. لقد حاول، لكننا خرجنا عن طاعته على بعضنا نقتل بعضنا، ولم يبق  
منا إلا رجل واحد، فدار على الثوار أن يقتلوني، وعندما أعياه السؤال انتحر.



وهكذا كانت الدماء اغزر واسفك.  
هذه بمائة، فإن زدتي، أزيدك.  
وسألته ديناراً، فقال: ولماذا؟  
قلت: معلومة بدينار تفيد.  
قال: إن أعطيتني آخذ، أما وأن أعطيك فكفر.  
وراوغته حتى احتلت عليه، فقال غاضباً: هذا ديناري خذ.  
أخذته وقلت: صدقت.

## عاذر بن أبي عاذر:

لا تؤمن "بعيسى بن مريم"، ولا بمن آمن معه.

اليهود ليسوا أصحاب مشروع، نحن أدوات مشاريع، إذا لسنا رواد دولة، أو دعاة أمة.  
وبالتالي ليس لنا رسالة نحملها للناس، وحتى تور اتنا لو لم نذيلها بالإنجيل لضاعت واندثرت. ماذا  
نحن؟ نحن ضلال يقودنا ضلال، نحن ضلال لكل دولة قائمة، أو ستقوم. لهذا تخوفنا من التأثير أن  
يقترّب من روما الدولة الوحيدة في الأرض ويحظى بعطفها، وينعم بدنائيرها. وحاربناه، عداوة  
مصلحة، ولم نكن لنذري غايته ونعي مرماه.  
قبل التأثير، كان ينافسنا على أبواب القيصر، النصارى. وعندما كنا نسألهم ساخرين: عملكم  
للقيصر. كانوا يجيبون بل من لطمك على خدك اليمين، فحول له الآخر. وكنا نصفعهم، وكنا  
نضحك. وكانوا يرددون بعد كل صفقة: غداً يقوم من بين الأموات.  
عندما ظهر نجم التأثير، لم نعد نقدر على الضحك، فكيف نقوى على صفعهم؟ لقد بث فيهم  
قوة.

أكثر وأكثر، اقترب النصارى من القيصر، وبرزوا الصليب المربع وصليب "عيسى"  
مستطيل. أنكرنا نحن صليب "عيسى" مؤيدين صليب روما، ليس حساباً للقيصر إنما مبدأنا في  
السياسة، ونحن لا نخون مبدأنا، ولا نعترف بالآخر، لا وجود للآخر. وكفرنا بنبوّة عيسى. ثم كفرنا  
بالأب. وأنكرنا الاقانيم، رافضين فكرة التجسيد. فإذا كان لم يأت، فكيف نصلبه؟ هل نصلب السلب؟  
وما هؤلاء النصارى إلا عميان ضالون، فطروا على الوهم، وأمسوا على الوهم.  
إنها كلمة حق، نحن لا تؤمن بنبوّة "عيسى"، ولا نصدق الذين آمنوا به. الذين آمنوا بالصليب  
أعداء لنا، والمسيحيون ليسوا إلا حيوانات لنا تُعلف لنذبحها في عيد الشكر.  
إن "عيسى" الذي بشر بالمحبة منذ ستمئة سنة، ليس إلا ساحراً دجالاً، وما التأثير سوى ساحر  
دجال أخي ساحر. وما هؤلاء الحواريون في ثيابهم البيضاء سوى ذئاب في جلود حملان.  
طلبناهم للحوار بحضور التأثير وكلنا يقين أننا سنسفههم، وسنسفه التأثير. لا بل صادفهم هناك  
في مسجده. وهاجمناهم: من أنتم؟ أنتم لا شيء! وسخرنا من "عيسى"، وكفرنا بالإنجيل. وردّ  
النصارى بالتّي هي احسن: بل أنتم لا شيء، وجددوا "بموسى" ورفضوا التوراة. تصور، وجددوا  
ورفضوا هؤلاء الذين كنا نلطمهم فيديرون، ونصلبهم فيصلون، ونقلتهم فيعفون. لقد كان التأثير  
يقاقل على جميع الجبهات.

عصفت ريحنا، فخرجنا من هدوئنا وبان جوهر طبعنا. وبذلك كانت هزيمتنا الأولى، ودرنا  
على التأثير بأنيابنا ننهش وننفث، نتجنى وننكر، ونقول: ما انزل كتاب بعد "موسى"، وما من بشير  
أو نذير. وردّ التأثير، قاطعاً الشك باليقين: الثورة، والثورة أقول: لو كان "موسى" حياً، كان تبغني.  
توخينا أن تدور الدائرة بينه وبين النصارى حين سألناه: وما الذي ولاك عن قبلك الأولى  
القدس؟

ولم تدر، فقد سأل إنها الثورة، إنه السيف، الأولى للمحبة، والثانية للسيف الذي يصون المحبة. ثم سأل ومن هم أعداء المؤمنين؟ وأجاب النصارى بغم واحد: اليهود والذين أشركوا. ثم سأل ثانية: ومن هم أكثرهم مودة وردّ الثائرون: النصارى، ذلك أن فيهم رهباناً، وأنهم لا يستكبرون.

ودمعت عيونهم، وفطرت قلوبهم. ومشوا يحملون الصليب على ظهورهم، والسيف على صدورهم.

وطاشت سهامنا... وهل ينال من كانت له السماء دريئة؟

### عمرو بن مالك:

«نحن اليهود قوم بهت، أهل غدر وكذب ونفاق»

اليهود، قوم بهت، أهل غدر ونفاق، ومع ذلك نحن حوذيو المسيحيين العميان ومن معهم من الثوار العميان. انهم قطعان بشرية شاردة، تريد من يوجهها ويديرها.

عارضت محدثي سائلاً، حوذيون؟ ولماذا لا تكونوا قادة؟

قادة؟ هذا لفظ فارغ لا معنى له ولا مضمون. نحن نقود؟ نحن نحكم، وحكمنا من خلف الستار. النجاح لنا، أما الفشل فلسنا مسؤولين عنه. لنا الأوسمة، وللقادة اللعنة.

إذا كان زرعنا النميمة، وحصادنا الإشاعة، فكيف نتبوا؟ وكيف نقود؟

مسكين ذلك الثائر، ومساكين أولئك الثوار. أكثر من وعدٍ واعدناهم، وواعدونا، فنخلف ويصدقون. ثم إن سألناهم الوعد، يأتون مستبشرين خيراً. طيبون هؤلاء العرب، أجل طيبون.

يظنون أن في قلوبنا رحمة، والسبب أن لنا كتاباً. لم يعلموا، ولن يتعلموا أن مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً. يظنون، إنما ضللنا روما، وأعمانا الدينار، يظنون. وإن بعض الظن إثم.

تواعدنا والثائر أن نأكل مناصفة كنوز كسرى، ونشرب كنوز القيصر. صدق وعده وأخلفنا، فإذا كنا نقدر أكل النصف، فلماذا نشاركه؟ وأكل مريضاً، وشرب هنيئاً. وما أكلنا، وما شربنا.

منعته أن يجتاز بستانني وهو عامد إلى "أحد"، وهددته إن اجتاز، تراباً رميت وجهه. وابتدرني أصحابه بسيوفهم فزجرهم قائلاً: هذا الأعمى أعمى البصر، أعمى البصيرة، وما على الأعمى حرج، ولا على الجاهل حرج، حرجكم على الوعي. عقوا... كمدت حتى انتهت "أحد"، وبانتهائها تضاعف كمدى.

كان يستقطب المسجد حكيماً، يشفي الجسد، ويبرئ الروح. وكنا نؤمّه لنسترق السمع، وننقل الحديث. وكان كلما وفدنا هبّ يستقبلنا ببسمة متسامحة رحبة. وما فتئ حتى ضاق الثائرون بنا ذرعاً، وعي صبره، فأمر بطردنا. واحتججنا: أطرردنا من بيت الحق؟ فقال: علم أخي "عيسى" أن الخبز لا يرمى للكلاب، والخمرة لا توضع أمام الخنازير. أخي "عيسى" معلم وعنه انتقلت الحكمة إلى الناس، أن اطرردوا الأفاعي وأولادها من الهيكل. "يسوع" حكيم، وحكمته مثل للعالمين، أن لا تعاشروا كشاشي الحمام، معشري المواسم، مربى الدينار. هدى "عيسى" و"عيسى" ثائر، أن نحطم الأصنام، ونهدم المعبد فوق أولاد "شمشون". وأنتم اليهود أفاعي وأولاد أفاعي إلى خارج المعبد، إلى خارج حرم المعبد، إلى خارج الحدود. وأنا الثائر أخو ثائر، وابن ثائر من مسجد الثائرين، بيت الحرية، ومقل الاحرار، اطرردكم.

سألناه: لماذا لا تغل سيفك في رقاب اليهود؟ لماذا أحلت رقابنا لسيوفنا؟

قال: السيف للأحرار والأحرار للسيف، وأنتم عبيد، أنجاس مناكيد.

العبيد للعصا، والعصا للعبيد.

ونحن أحرار أجويد.

**أبو حارثة:**

«النصارى عشاق الحرية»

إنه النبي الثائر الذي وعدنا.

وكنا ننتظر...

قبل الغوص إلى أغوار بحر العرب، حيث الأمواج عاتية تسرق البحار، وحيث الهدوء ساكن يغش الربان، وحيث المبادئ لآلى، أحب أن أهبك حكمة تكفيك على الدهر.

احذر كتب السيرة برمتها، وخصوصاً سيرة ابن هشام عيناها، إنها السم في الدسم، إنها الصوت الذي يقود إلى التهلكة. احذرها، فالمبصرون لا يقرؤون، عميان يقودهم أعمى.

انقسم مجتمع الجزيرة على نفسه إلى خمسة أحزاب، اثنان تحاجي ثلاثة، وكل حزب بما لديهم فرحون.

الثائر، ومن معه ونحن النصارى رحماء بيننا، سماؤنا في وجوهنا، أشداء على الرومانيين، أقوياء على اليهود.

روما، ومن معها من اليهود، وهؤلاء هم الاشرار.

لقد كانت مجتمعات خمس. وذلك ليصدق فيها قول المعلم: وإنه هو، هو الوعد الآتي مخلصاً.

وأقول نحن النصارى، وأجزم على نحن، فنحن محور أساسي وأصيل من محاور الثورة، وربما كنا في بعض الأحيان رأس الحربة، وحد السيف.

وحاربنا روما جسعاً. ولم نحاربها انتقاماً للذي قضى على الصليب بفم القيصر، ويد اليهود، فنحن إذًا، أحباب الحرية، وعشاق الكرامة والجشع، إذًا جشع شريف، فقيمة الجشع باقترانه. وما الذي زرع وبذوره الألم، وحرث ومحراثه الصليب، وحصد وحصاده الخلاص، سوى حبيب من أحباء الحرية، وعاشق من عشاق الشرف!

إذا خيرتمونا بين الإنسان والمبادئ، فإننا نفصح جهاراً: الإنسان أولاً، ثم الإنسان ثانياً، ثم الإنسان ثالثاً.

يظن البعض أن الثائر حاورنا وقهرنا، فلماذا لا يظن البعض هذا أننا حاورناه وغلبناه؟ ومهما يكن من ظن، فإن الظانين على ضلال مبين. أجل حاورنا، وحاورناه، إنما لا ليقهرنا، أو نفهروه ومثلما تجنح العقول المريضة، إنما لننتصر، لقد انتصرنا به، وانتصر بنا، وكان النصر للأمة.

أول ثقل أنزلناه عن كاهل المعلم، وأرجعناه من حيث أتى، كان صلاتنا بإمامته وفي مسجد الثائر. وغضب اليهود يتآمرون ويوسوسون في صدور الناس. كيف تقومون وراءه ولكم رسولكم؟ كيف تصلون في المسجد ولديك الكنيسة؟ كيف يأتكم عربي جاء من الصحراء، وأنتم أصحاب فكر، كنائسكم الصخر، وإمامكم معلم، سرياني اللسان، سوري من الخضراء؟ وينسون، أو يتناسون أن بين الجزيرة والشام طريق يمر عبر الموت؟ ينسون أن بين القدس ومكة إسراء ومعراج؟

كانت روما الجلال، وكانت القاضي. وساس القيصر ووضع سماً على قضبان القفص. لكن القيصر لم يدرك، أو أنه لا يريد أن يدرك أنه هو كان العصفور، وكان هو القفص، وكان هو القط. لقد حسبنا عصافير خلف قضبان مسمنة، لا أجنحة لنا ولا مخالب. اخطأ القيصر وما فتى، لم يتعلم أن عصافير الحرية تطير دون أجنحة.

عندما جاء وأعلمنا أنه هو "المنحمن" الثائر الذي وعدنا به المعلم وقفنا نسأله: إشارتك، علامتك؟

قال: ألم تؤمنوا بعد؟

قلنا: آمنا، إنما ليطمئن قلبنا!

قال: إشارتي رجل يفتي بينكم في أشياء اختلفتم عليها.

قلنا: آمنا، آمين، آمين. ابعت معنا رجلاً من أصحابك يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها على أموالنا، فإنكم عندنا رضا.

لقد تنبأ حاجتنا، فكتابنا رفيع سام، يخلو من أحكام مدنية. كتابنا صيغ بالروح، والإنسان أحياناً بحاجة إلى الحرف.

وأرسل "أبو عبدة الجراح" قاضياً لنا وحكيماً. وحكم بيننا بالعدل، وساس بالحكمة. كثيرون غيره طمعوا بالمنصب، وخصوصاً "ابن الخطاب"، ولكن كان ينتظره أمر عظيم، كانت تنتظره الأمة، فهل يرسله؟

وكان هذا هو الثقل الثاني الذي رفعناه ورددناه من حيث أتى؟

أما الثقل الثالث فقد كان ثقيلاً ثقل الجبال، لا بل هو الجبال. إنما ما أهون الجبال على الثائر، ما أهون أن يقول للجبل: أنتقل، يكفي أن يقول انتقل حتى ينتقل، أو ارجع حتى يرجع. والثقل الثالث هو وسوسة روما في صدور الضعفاء ليكونوا زعماء. وكنا نحن الحواريين نرجئ مملكة الضعفاء ليوم يبعثون.

ثلاث عشرة سنة قليلة، أجل! إنما كافية لتنمو شجرة الحرية، ويشتد عودها. ثلاث عشرة سنة من العمل الصامت كانت حجة علينا حتى نتيقن أنه هو الثائر، وأنه الوعد بالنصر. وكانت الحجة الأخرى توحيد الأحزاب، فحين يسأله سائل، كان يرده إلى الثائرين ويقول: اسألوهم، فنحن وحدة فكر وروح.

عندما اندهشت روما مسحورة: انه لشيء عجب، يجعل الأحزاب حزباً واحداً؟ زغردت الحوارية، وهتف الحواريون، وكان حصادنا النصر. وارتعدت روما وكان حصادها الهزيمة. لقد اتقن الثائر صناعة الأمة مثلاً اتقن صناعة النصر. وعلمنا صنعه واختصره في أمور ثلاث:

السرية، وبها بتر دابر الشعراء، وخصى قوافل الخطباء.

التوحيد، ومعه وحد الناس قائلاً: أيها الناس، إنما هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا الثائر فاتبعوني.

العزل، ومشى، ومشينا صوب أبراج روما ندكها برجاً برجاً، وحصونها نهدمها حصناً حصناً، وعروشها ندوسها عرشاً، عرشاً.

ونحن في مسيرة التحرير كنا نحب أن نجيبه عندما ينادينا بصوت "عيسى": أيها الحواريون من أنصاري إلى العزة؟ وكنا نرد اشهد أننا نحن الثائرون.

وسقط الكثيرون في حقل النصر شهداء، ونبت وأيعن شطأه...

سألته يا "أبا حارثة": اعطني اسماً واحداً أرد به على الناس.

وانتفض "أبو حارثة" يرد السؤال بسؤال: وهل ذكر التاريخ حرباً وقعت بين الثائر الأول وروما؟

إن ذكر فهالك سجل الخالدين. سجلك بحربي؟

وذهبت عيناه صوب الجنوب، فلحقت عينيه، فرأيت معلمي "عيسى" يتربع وسط حقل من

شقائق النعمان الأحمر، وتحفّ به الملائكة، وبين يديه سجل الخالدين ويقرأ.

عبدة بن الحارث:

«بدر أكبر»

أربع غزوات وأربع سرايا، ثم بدر.

ثلاث محطات توقف أمامها الزمان خاشعاً، وغيّرت وجه التاريخ.  
الأولى الحرب الخاطفة، أو حرب الغزوات، والثانية الحرب الفاصلة، أو حرب السرايا،  
والأخيرة الحرب القاضية، أو حرب النصر، ويسمّيها رجال الدولة: حرب نقل عاصمة القرار.  
اسمع، سأوصلك أنا إلى أبواب المحطة الثالثة، وهناك سأتركك لأهلها، لا أدري بالبيت إلا  
أهله، هذا والدرب إليها طويل وشاق إنما شيق، ففيه تاريخ، وفيه كرامة، وفيه عروبة.  
أهلها يبلغونك عنها... اقتضت الأمانة.

من هم أثرياء الجزيرة؟ وما هو غضب هذه الأمة؟ وما هذه الولايات إلا من التجار الأثرياء!  
التجار قضوا على قرطاجة وهامهم يعبثون في جسم الأمة.

هذا والتجار لو أنهم يعرفون أن الثورة رابحة لوظفوا أموالهم، وللحقيقة إنهم يعلمون، إنما  
التجار جشعون يفتشون عن الربح السريع. أبداً أحزاب التجار نفعيون يتطلعون إلى الربح السريع،  
ولا يتطلعون نحو استقرار المال ودوامه. لقد باحوا مرة، وسرهم فضحهم: إذا كانت الحرب رابحة  
فلتدر أموالاً إلى جيوبنا وإلى بيت مال الثوار؟ اذهب أنت وثورتك وقاتل ومت من أجل الحرية  
حبيبتك، فإذا كانت هي حبيبتك فهل نموت نحن لها؟

وإذا تولى الزمان عن وجه أمة، أو عز إلى تجارها ففسدوا، وعاثوا فساداً. وكما تعلم أن الثورة  
زمنها مديد، بعيد وعنيد، والأثرياء لجوجون لا يرحمون، فإن امتد زمنها أكثر أرتفع نعيهم، واقفلوا  
صناديقهم، واقفلوا الثورة.

**وفكر الثائر، هل يذهب صراع ثلاثة عشرة سنة هباءً منثوراً؟**

وكاد أن ينحني، وكادت جباهنا أن تلامس الأرض، وكادت الأرض أن تدمع... وكان  
الخلاص، صوت جاءه من الغيم هادياً ومبشراً، أن صعد الثورة، ضاعف الحرب تكسب. إن أعظم  
جبهات الدفاع الهجوم.

وتوجه الثائر ألينا مستشيراً وسائلاً: هل يجهز الثورة أعداؤها؟ هل يجهز القيصر الثوار؟ هل  
يطعم التجار أفواهنا؟ ما رأيكم بغزو قوافل التجار بين "الشام" و"أم القرى"؟  
واقفنا وامتلات الخزائن ذهباً، والبيوت فضة، وتألفت أكتاف الثائرين أقداحاً ورماحاً.  
ومن امتلك القداح والدروع صنع النصر الذي يريد.

وشعر الثائر بنشوة النصر، وشعرنا بشعوره، فأحسنا بالثورة.

إن غزوة "ودان" قد أعطتنا دفقاً من القوة. وحتى لا تذهب "ودان" أدراج الرياح، أشار إلينا  
أن نخطوا صوب الغد، وسألناه كيف؟ فقال: اصنعوا السرايا، نواة جيش الغد. وكانت سرية "عبيدة  
بن الحارث" سريتي، السرية الأولى، ثم سرية "حمزة بن عبد المطلب".  
ونمتا وأزهرتا، إذ أنتجتا غزوتين غزوة "بواط"، وغزوة "العشيرة".  
وبواط، والعشيرة أنجبت سرية "سعد".

وأنثرت سرية سعد فكانت غزوة "سفوان".

وأنجبت "سفوان" سرية كبيرة وكانت بريادة "عبد الله بن جحش".

وهكذا، الغزوة تزهر سرية، والسرية تثمر وتنجب غزوة حتى كان للثوار جيشاً، فتطلع  
الثوار صوب الحرب الفاصلة.

كان القيصر يتوجه بسوطه صوب "القدس"، يراقب حذراً، ويصلب مطمئناً. وكانت العيون  
الضعيفة تلاحقه كظله. وهذا ما ساعده على استعباد السوريين، واستعمار العرب زهاء سبعمئة  
سنة. وليصادر الثائر منه القرار، ويصنع النصر، قرر إرباكه. وماذا يربك القيصر غير تغيير  
وجهة التاريخ، فأعلن نقل "القدس" إلى بلاد العرب، فكانت "أم القرى، مكة".

جاهداً، حاول القيصر متابعة حركة الثوار، وما ان استقرت عيونه في مكة حتى تعشى، فانقضَّ عليه الثائرون بقبضة رجل واحد، وكتب النصر الذي أرادوا.  
منذ حرب "زاما" وممنوع علينا نحن الشرقيين افتراش التراب. والتراب يهدنا شوقاً، وحنيناً . الآن، نفترشه على عواهننا عزاً وافتخاراً... وكان أكثرنا عشقاً للتراب "عليّ بن أبي طالب"، فأطلق عليه الثائر : "أبا تراب".  
واحتج الثوار، إذا كان هو أبا تراب، فمن نحن؟  
فقال: أبناؤه.

### حمزة بن عبد المطلب:

«نقل القبله»

الإمبراطورية تقرض من أطرافها قرصاً، والدولة تُحت من رأسها حتاً. والثائر إما أن يكون معولاً وينعب في الأطراف، وإما أن يكون ريحاً وتلجأ، ويجرف القمم، ويجعلها كعصف مأكول. واختار الأطراف.

قبل أن يأتي، كانت الثورة في بلاد "الشام" خجولة وكانت "القدس" لولبها وحركتها ومركزها. خجولة، وهي في خجلها شبيهة شقيقتها "مكة". عندما وصل، وصل معه النصر كله. وقد رأيناه عظيماً ولم يرشدنا راهب أو قس إليه وتأكدنا أنه هو، وعرفناه من زمجرة صوته وحنانه، من شموخ وقفته وتواضعه، من لظى عينيه وبصيرته. وتيقنا أنه هو، فقد سارع إلى توحيد الثورتين في ثورة واحدة، فكانت ثورة المسلمين، وإلى جمع العاصمتين في عاصمة واحدة، فكانت "مكة".

وانتقل الجنوب كل الجنوب إلى الشرق كله.

قبل أن يأتي، حسبنا أنه لن يأتي، فقد تأخر كثيراً، ومع ذلك انتظرناه، فهل نسمح أن تبقى الاقماط في المغارة؟

قبل أن يأتي، كانت المعجزة بحاجة إلى جذع نخلة واحدة ليولد ويتكلم في المهد، وعندما وصل بدأت إعجاز النخل بفم واحد تعزف لحن الحرية الخالد. وابتدأ اللحن صاخباً برفقة المعاول والمطارق والأقلام. وكبرت المعجزة فأصبحت بحاجة إلى غاب نخل لتولد وتتطق كلمة الفصل. في البدء، ولدت المعجزة كلمة من ثغر طفل. الآن، المعجزة كلمة في ثغر امرأة عذراء. عذراء إنما هي أم، والأم هي الأمة.

في البدء حملت الأم ابنها وهنا على وهن. وحين سألوها أشارت إليه. وبقدومه، فالحامل طفل، والمحمول أم. إذاً هي بحاجة إلى سواعد للحمل بها، وإلى مناكب لتوليدها، وإلى عظماء لتكليمها وتتكلم.

نحن متأكدون أنها بحاجة إلى سواعد للحمل، فهي ليست المرة الأولى التي يولد في الشرق أمة. فقد ولد ألف أمة قبل هذه الأمة.

الأمة الأخيرة قضت في "زاما"، بعد أن ولدت في "صور"، وشبت في "دمشق"، ونضجت في "كان".

الأمة الأخيرة كانت شجرة وارفة عظيمة، شرقية وغربية. جذورها تغور في الزمن عميقاً، وأغصانها وارفة تشهق في الأرض.

للأمة الأخيرة صباح ومساء. وكان صباح، وكان مساء. وهبت أنواء روما وقصفتها إلى الحضيض في زاما. ألم أقل لك أن الأمة تقرض من أطرافها؟  
والآن، صباح الأمة بيزغ بطيئاً، رويداً، رويداً، إذاً ستعمر طويلاً.

وعنت روما في الأرض، وعبت روما، روما كفى عتواً! صرخ الثائر، هكذا، وهبت الريح تحمل الغيم المبارك.  
غيم مثقل بأثماره، وسدد الثائر وجهه، وأمطره فوق الرمل والجذب، وسرى النسخ في الجذور الكامنة، فأورفت وهي الميتة الرميم.  
الآن، أسألك أنت رفيقي القارئ: هل هي ميتة أم حيّة؟  
ميتة، إنما سترد إليها الحياة.  
ومتى ذلك الوعد؟  
غداً، عندما يصل الثائر. وإني أراه آتياً في أعماق دهاليز الظلام، حصاناً أبيض، ربي مطهم، يعتليه رجل أسمر.  
يده سيف، وعينه بركان ثائر.  
غداً، عندما يصل الثائر، سنقاتل، وسنصنع الامة.

تكلم أسلم:

«بدر أكبر»

هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها.

كنا اثنان، "عريض" وثانيه أنا اسلم، نجلب الماء حين أسرنا.  
لقد تحررنا من الأسر مرتين، الأولى عندما أسرنا "ابن أبي طالب"، وسلخنا أحراراً عن أصحابنا. والثانية، حين حررنا الثائر من جاهليتنا، ولو بقينا لكنا من أفلاذ مكة.  
تعرفنا إليه عاشقاً لمكة، لم يعشق امرأة مثله، ولم يعشق قبله أحد مثله. كان يعشقها، وكان يحلم أن يسير برقتها إلى مرتبة النصر. عارض أخوالها، ورفضوه ختناً لمكة، فتأخر زواجه، لقد تزوج بها بعد وفاته. لم يلغ، إنما تأخر.  
كان يقول مكة تاريخ. تاريخ علقم، وليس لقمة سائغة لينتهي، يتغير إنما لا ينتهي. مكة تتغير بالعشق، وتظهر بالدم.

وخاف المكيون، مكيون يخشون الموت، ومكيون يخشون إهمال الموت لهم؟ وفاز الذين يخشون إهمال الموت.

ردّ، ولم يمهلهم ليكملوا السؤال، ومن يحرر مكة؟ دمننا نحن الشهداء؟ أم... لا بل الدم الفاسد. أجل، ليس الدم الفاسد! دماؤنا نحن تصنع النصر.

كان يبحث عن النصر في كمّ قليل من الرحماء، ومثلما بحث من قبل عن طرقات السماء. وقد تناهت إليه السماء في زمن ايسر بكثير من زمان الأرض. فالنصر بعيد، بعيد، والمنتهى إليه طويل وعر، محفوف بالمخاطر، مجانب الصعاب.

لم يدخل في التجربة مطلقاً، ولم يغامر إلى التهلكة أبداً. إن اعترضه عارض، دخله نظرياً وعلى الوجوه بحثاً، نقاشاً، نقضاً ونقداً. وحين يتأكد من النتائج يدخله عملياً، فكيف يفشل؟ وكيف دخل بدرأ؟ لقد دخل في "بدر" كما دخل من قبل في المجتمع.

"عريض" و"اسلم" لم يكونا يراوغان حين سُئلا عن عدة وعدد جيش أصحابنا مبغضي السلام. ولماذا نراوغ؟ فلو كنا نعلم، ليسرنا على الجميع الحرية.

لم نكن نراوغ، وظن بعض الثائرين أننا كذلك، فأوسعونا ضرباً. غضب ورفع عنا، ونهر أصحابه، وابتسم لنا وسألنا: أصدقكما القول، لا تعرفان إنما كم، وكيف جهازية الجندي؟ وكيف، وما عدد ذبائحكم اليومية؟ ما هو عدد حملكم على الماء؟ وأجبنا: يوم تسعة خراف ويوم عشرة. ثم ضرب التسعة بمائة وقال عدد الرجال تسع مائة، تسع مائة هذا جيشك يا قريش.

والثقت إلى أصحابه وقال: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها.

اليوم نحر، وغداً عيد.

سعد بن معاذ:

«حراس عريش الريادة»

كنا في شوق إلى الحرية، إنما لا زعيم لنا، وكان هو الشوق، إنما لا أمة له. وبذلك قد أصبح لنا ضالة، وأصبحنا نحن ضالته. حين أدرك بدرأ، استشار الثوار، وعُقد الرأي علينا نحن الأنصار وبعض الثائرين الأوائل افتتاح الحرب، وإمالة اللثام عن سر خصوم الحرية. يومها، لم تأت روما إلى "بدر"، وكادتها حرباً أهلية. العرب يأكل بعضهم بعضاً وتنتهي أرضهم لأضرارها لقمة سائغة، لينة، طرية. وكاد الثائر روما، أرادها حرباً خاطفة، وينتهي التاج الإمبراطوري للعرب. كانت إرادة الثائر أن يكون هو رأس الحرب. وكانت إرادتنا نحن الأنصار أن يكون هو قبضتها، فإذا خسرنا الحرب كان للقادمين الآتين زعيمهم. إذا فقدنا زعيم هذه الأمة، فهل ننتظر ألف سنة أخرى ليأتي زعيم ويحررنا؟ لا قدرة لنا على الصبر.

الثائرون دون زعيم، كزعيم دون أمة سيان، أمة مغلوبة على أمرها لا حول لها ولا... وكيف ندفعه إلى قلب الوغى، ونحن لم نخرج من مأساة الثورة الأولى بعد؟ نحن لم ننس المعلم وثورته، وكيف انتهت شهادة على الصليب، فهل نحن من الحماقة لنرتكبها مرتين؟ هل نقدمه رخيصاً، ونتيه ستمئة سنة أخرى في العبودية؟ هل لنا قدرة على حمل أثقالنا وأثقال أجيالنا الآتية؟ وأشرنا إليه عريشاً يقيه سهام عدونا وعدو الحرية، وعاهدناه أن نكون لصدوره صدوراً، ولحياته دروعاً، ولوجهه سيوفاً... ووافق إنما على مضض. لم يبدأ الحرب، أمل أن يعود الظالمون عن ضلالتهم، وأن يتوب الآثمون، وأن يهتدوا عن غيهم.

وناداهم إلى الحرية بكلمة نصوح غيور، ونادوه إلى العبودية. فلا حياة لمن تنادي. لقد أسر الموتورون من شعبنا مقاتلتنا، ومقاتلة الأمة، بدل القتال لها، وبدأوها طمعاً بقليل من الفضة.

افتتحها ثلاثة فرسان من خيرة أعداء الأمة. وبرزنا لهم ثلاثة، وكان طمعنا الشهادة، وطموحنا الحرية.

وعتت فرسان قريش رافضة منازعتنا نحن الأنصار النصارى، رفضوا، لأنهم لا يريدون الناس أن يكونوا معنا، أو إنهم رفضوا منازلتنا خوفاً، أو جبناً، أو دهاءاً؟ رفضوا، وطلبوا مبارزة فرسان قرشيين.

وخرجنا من حلبة القتال بشرف. وبرز لهم ثلاثة فرسان قرشيون بدلاً منا، وبذلك أصبحوا طعاماً لسيوفنا.

أن يقاتل القرشيون الثائرون، أو يستشهد الأنصار، سيان، وما هم؟! الأهم الثورة.

الثورة، الثورة، الثورة.

لتحيا. الثورة في كنف الثائر.



عمير بن الحمام:

«إرادة الشهادة، أم إرادة النصر؟»

يوم وقفة "بدر" تعلمنا أننا عشاق حرية، ولسنا عشاق حرب.

تعلمنا أن الحرية تؤخذ بالدماء، وتؤخذ بالحياة أيضاً.

إن اردتم الحرب للحرب، لسفك الدماء، وكسب أرباح رخيصة، فنحن نريدها وقفة شرف، وفوزاً بالحرية، وإضاءة العالم.

يومها، لمسنا كنه الحرب، وعرفنا أن الحرب هي أشرف ما توصل إليه عقل انسان، وانبل ما ابتدع البشر.

كنا نكرهها لأنها تأكل أولادنا، وتأسر أحبابنا، وتشوه عيوننا، الآن أصبحنا على محبتها حالمين، فقد فتح أعيننا على أمر عظيم، لقد فتحها على الحرية.

عشنا في الظلام أمدأ، اليوم دخلنا في النور. أما كيف دخلنا، فلا نعلم؟ فجأة، غمر الكون النور. وكل الذي نعرفه ونريده أننا لا نريد الرجوع إلى الظلام.

الظلام رهيب، كيف يعيش الناس في الظلام؟ كيف يفضلون حياتهم على الحرية؟ لا أعلم! الظلام رهيب، لكن الوهم ارهب. إن الوهم الذي يعيش في داخلنا هو في الحقيقة مصدر الظلام، وليس الظلام وحسب، بل العدم.

الموت قاس، لكن الذل هو الناب، وهو الضرس. والماء مرير، إنما العبودية أمر، العبودية حنظل وملح.

بعد أن تفتحت أفئدتنا على الحرية، أصبحنا نشفق على أولئك الذين يعيشون في الليل، وأمسينا نرثي لهؤلاء الذين يخطبون خطب عشواء، ونسخر من الذين يمشون الهويناء، حذرين على جلودهم أن تخدش، وعلى دمائهم أن تهدر.

يوم وقفة "بدر"، حين وقف فينا خطيباً، حسبناه شمساً أشرقت من خلف قنن جبل بعيد. ولم نره أكثر مما رأينا أنفسنا، ولمسنا ذواتنا، ذواتنا هي ضالتنا للحرب وليس السلاح. إن الذات ساعة الوطيس هي السلاح الأمضى، بمعرفة ذاتك تهتدي وتنتصر، السلاح لا يهدي ولا ينصر.

تكلم وأسهب، تحدث وأطنب، وكان فمه أقل المتكلمين. لقد تحدثت عيناه أكثر مما تحدثت شفاته، وأفصحت روحه أكثر مما أفصحت به عيناه، أما وجدانه فقد كان الأكثر بوحاً. وكنا نحن أكثر تكلماً.

سمعت منه كلمة واحدة وحفظتها. وحين ختم حسبت أن أُنقال السنين قد سقطت مرة واحدة عن كاهلي، لقد قال: والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيُقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر إلا ودخل الجنة.

لاحظ معجزة الحرب التي صنع، أن تُقتل لا تُقتل، نحن لا نقتلهم، يقتلوننا، فيهزمون وننتصر.

أجل نحن لسنا هواة دماء، نحن عشاق النصر.

وناديت قائلاً: بخ، بخ، أفما بيني وبين أن ادخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء. وأخذت سيفي وقاتلت، وقاتلت حتى قُتلت.

يوم النصر، لم يفرق أحد من الحاضرين بين كلامي وكلامه، وحسب عشاق الحرية أنه هو، هو خطيب بدر وشهيدها.

ورحلت، إنما قبل الرحيل أريد أن أبوح لكم بما حدثني ابن غزية، أخي في الثورة، وزميلي في الشهادة.

أسرّ ابن "غزية" لي، وأنا أسرّ لكم بما أسرّ قال: اسمع وتفقه. وكيف لا ينتصر الثوار، كيف لا يكون النصر حليفه وحليف الأحرار وقد اعتنق النظام مبدأ وعقيدة؟  
دائماً كان يحرص على النظام، وأبداً يحترمه، وحتى في أصعب الظروف حرجاً، فهو كان يعلم أن النظام اختصار للزمان والمكان، ورائد نحو النصر. لقد احبه، لأن فيه قوة القدر. لم يحرص إلا عليه، ولم يغضب إلا له.

علمنا أن لكل حقل نظامه، والكل ينتظم في نظام الكون الكلي.  
في زمن السلام، كان يعدّ الثوار حول الكعبة، قبلة واحدة، وحركة واحدة في دورات سبع.  
وفي الحرب كان يقود الثوار، لأنه كان يريد أن يعرف كل ثائر، وأين يقف، وكيف يتحرك، ولماذا، ومتى؟

آخر زماني به بدرأ، وكنت قد نتأت من الصف الأمامي حيث أقف. جاءني وضربني بسهم على بطني وقال: استو يا سوار بن غزية.  
انظر انه يعرف اسمي، واسم كنيّتي. انتظمت، حييته، وقلت: أوجعتني وأنت سيد عرش العدل.

قال: فأقْدني وكشف عن بطنه... استقد!  
ليس امرأ، رجاءً، وتقدمت أعانقه وأقبل بطنه.  
فسألني: ما حملك على هذا يا سوار قلت: أردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك.

هوذا من يُحييكَ أن تموت مرتاحاً،  
وهو من عرف السبيل إلى النصر، لأنه عرف النظام.

سهيل بن عمرو:

«سجن الثائرين، بيوتهم»

من يتحدث عن الديمقراطية؟

من يتحدث عن الشورى؟

مع اليونان كانت الديمقراطية، وكانت موجودة بالقوة، أما مع العرب، فقد أصبحت شورى، والشورى موجودة بالفعل، فاسمعوا حكايتي مع الأسر وتيقنوا.  
أسرت في بدر، ونقلت إلى بيت الثائر.

نقلوني ولم يقودوني، لم أقد إلى السجن ذليلاً مهاناً، بل إلى بيت الثائر تَوْأ أخذت شريفاً، كريماً. قرعتي كانت بيته، ولو كانت أي بيت آخر لما تبدل شيء، أو تغير، فقد أخبرني زملائي السجناء، وتأكدت.

حظي أنني فزت ببيته سجنًا للأسر مرتين: الأولى كانت بدرأ، والثانية لأكون أسير احترامه، واحترامهم، وهذه تعزية النسر الأسير.

كنا في بيته، الثائر وأنا، وبضعة من الثائرين نتجاذب أطراف بدر، حين دخلت علينا "سودة بن زمعة" زوج الثائر.

ورأيتي، إن رؤيتي أسيراً، سلبها سكينتها وأعصابها، فقالت تتقصد كرامة: أعطيتكم بأيديكم، ألا متم كراماً؟

وردّ عليها النبي: وللأسير كرامة. سودة

فقالت: للأسير كرامة، أكرمه إذن؟

وأكرمني، لكنني كنت قد لمست الحرية، فإلى أين اتجه، كيف ارجع إلى الأسر؟

أبو عزيز بن عمير:

«استوصوا بالأسرى خيراً»

وأُسرت في بدر، واقتلوا بأبي عزيز إلى المدينة عزيزاً جليلاً. تحف بي سيوف رهط من الأنصار، سيوف إنما غير قاتلة، ولا حتى عدوة، فالأسير عندهم عضو منهم، كرامته من كرامتهم، وعزته من عزتهم.

لا تصدق! اسمع كان هؤلاء الأنصار إذا قدموا غذاءهم وعشاءهم خصوني بالخبز، وأكلوا التمر. وذلك لوصية الثائر. استوصوا بالأسرى خيراً. ما وقعت في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها، فأستحي، فأردها على أحدهم، فيردها عليّ".

يومها بعثت من جديد، لقد تعلمت أن الإنسان يحيا دون الخبز، ليس بالخبز يحيا الشرف.

الخبز يشبع البطون، أجل. لكنه يحرر النفس وهو غذاؤها.

الخبز يغذي الدماء، أجل. لكنه يضيء العيون وهو صراطها.

الخبز يأمر الجسد، فيطير، يطير دون أجنحة.

الخبز حافز الجسد، والجسد حافز الروح، فإذا كانت الروح جوهرأ، فيجب أن يكون وعاءها جوهرأ. إذ أن النفيس موضعه نفيس، كما أن الخسيس موضعه خسيس.

لم يأكلوا خبزأ، لأنهم أرادوا الحرية لروحي.

مكرز بن حفص:

«لا أمثل به، فيمثل بي...»

وجئت مضرب الثائرين لأفتدي "سهيل بن عمرو" بليغ قومنا، وأحرره من الأسر.

كنت امشي الهوينا حذراً، فهمسوا في أذني، أن جدّ فقد تأخرت.

جدّت في السعي، وقصدت بيت الثائر.

إذا كانت الحرب اقتصادية، فإن الأسير يفتدى بالمال.

وإذا كانت الحرب حدودية، فإن الأسير يفتدى بالرمال.

وإذا كانت الحرب سياسية، فإن الأسير يفتدى بالعيال.

أما إذا كانت الحرب روحية، فكرية، فالأسير بماذا يفتدى؟ وهل يبقى للمال قيمة أو للرمال

والعيال؟

قال "ابن الخطاب": دعني انزع ثنيتي "سهيل بن عمرو"، ويدلع لسانه، فلا يقوم عليك خطيباً

في موطن أبدأ.

وخشيت على فم صاحبي، وقلت في نفسي، الأفضل أن يقتلوه، فلا احتمل، أنا، قتله.

وابتسم الزعيم الثائر ليقفز قلبي من صدري ويخطر ألامي على الأرض وقبل أن يتحطم قال:

لا امثل به، فيمثل الله بي ولو كنت نبياً، إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تدمه.

وقفز قلبي وعاد إلى موضعه في صدره ولم يتهشم.

وداولتهم، وداولوني في أمر سهيل. ولما رسونا على فدية قالوا: هات الذي لنا، وخذ الذي لك.

قلت: اجعلوا رجلي مكان رجله، واخلو سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه. فخلوا سبيله وحبسوني.

في الحقيقة كنت احمل فدائه كيساً خبأته في عبي، إنما طمعت في الأسر.

أقل "سهيل" عن أعيننا يجد في إطلاق سراحه، ساعتئذ بحث للثائر بسري، فقال: أرسله إلى

صاحبه، ولا تضل يا "مكرز" بعد أن اهتديت.

قلت: الثائرون أحق به منه.

فقال: ليس ضاللتنا مالاً، نحن الروح والروح ضاللتها الحرية.

نحن الروح، وضالة الروح دولة، أقدامها في الشرق، وأيديها في الغرب، وعيونها على العالم.

غداً، وعندما تؤول روما إلى أياديكم، سوسوها بعيونكم وليس بأكياسكم.  
نحن الروح، وغايتنا الحرية، فكيف نرضى بما هو دونها؟

اسلام عمير:

«أرسله يا "عمر"، أدن يا "عمير"»

قبطي، أضمرها "عمر" وانتهى ثائراً، وأضمرتها وانتهيت.  
في الحجر كنا، "صفوان وأنا "عمير"، لا ثالث لنا سوى نيتي. أنا "عمير" ضممت قتل  
الثائر، وعهد "صفوان" إعانة عائلتي.

وباح صفوان كنانة صدره، فوقفت أنوح وأجيش: ابني أسير يا "صفوان"، ابني يا بدر؟  
وعاهدت نفسي أن لا أعود إلا بقتله، وشحذت سيفي وسممت.  
جئت المدينة، فاستقبلني "عمر" وقدمني إليه اميراً، لا بل قل ملكاً.  
قال وبين حاجبيه دولة: أرسله يا "عمر"، ادن يا "عمير".

اقتربت وحييته انعموا صباحاً.

وردها بأحسن منها: والسلام عليكم.

وسألني: ما جئت قاصداً؟

قلت: ابني أسير يا "محمد".

قال: بل جئت أنت من أجل أسيرك، وجاء سيفك من اجلي.

نكرت، نكرت ثلاثاً، فقام وغمرني: بل جئت وسيفك اليّ.

وغلبتني الحقيقة، وهزمني الحق، واعترفت.

فقال: فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا أسيره.

لو كان السيف اصدق أنباء، لكنت فزت، لكنني فشلت.

السيف ماضٍ مسموم، وساعدي قوي مفنول، إنما الكلمة أمضى، أعمق بلسمًا.

السيف ينتصر في اللحظة، إنما اليراع ينتصر في الزمان.

كلنا ينتصر في الحجر، إنما قليل، وقليل جداً ينتصر في المكان.

أشاعت روما أن سلاح الإنسان السيف، وبشر الثائر أن سلاحه الكتاب. لقد أضمرت السيئة،

وأضمر الحسنة. وكنت ولياً حميماً.

بسطت يدي، وشرح صدره، فرأيت في عينيه محبة، وعلى وجهه قرأت خشوعاً. وانحنيت

تائباً خائفاً.

أبو العاص:

«ختن الثائر»

جاءوا يسخرون ويقولون: أنت تقاثل روما وحدك؟ ونصراً احصدوا

جاءوا يشمتون بصراعه ويسخرون. أنت تقاثل روما، و"أبو العاص" زوج ابنتك "زينب"

يقاثلك؟

فقال: لا تتادي من أحببت فإن الثورة تتادي من تشاء.

وثانية وقعت في الأسر، وجاءت زوجي تقديني من أبيها. لم يغضب، وسأل أصحابه: أعطونه حريته؟ وأعطيت حريتي بعد شوري، وأطلقت يدي، ليس رافة بزيب، إنما رمية في الغيب أصابت مني مقتلاً.

وجاءوا ثلاثة يعيرونه بنا. ألا ليتهم فعلوا من قبل، باكراً، إذ إن عيرهم كان حافزاً لنا لمواكبة الثوار في ثورتنا، وحافزاً له وجلداً.

ذهبت قریش في غيها تقول: إن الثورة، وما أدراك ما الثورة، إنها ابنة الدم. وبذلك ضلّت ضلالاً بعيداً. وقالت الأمم: بل إنها ابنة المال. وتاهت الأمم في الزمان. وقالت الشعوب: إنما هي ابنة الآباء والأجداد، وتعثرت وكبت. أما أنت فماذا تقول؟

فقال: إن تقولكم تأويل، رجم بالغيب، وضرب من تخمين... الثورة ابنتكم، ابنة المجتمع، ارعوها.

إرادتكم أمها، وقراركم أبوها.

جاهدوا في سبيلها، غداً تشكركم الأجيال الآتية.

فمن وهب مالاً للثورة تربع في دمشق، ومن وهب ابناً تربع في روما، ومن وهب ابناً ومالاً، فالتاريخ عرشه وهو ملك.

زمانكم هذا زمن منكر، المسوه. والثورة علاجه، أعطوا الزمان علاجه.

لا تختصروا في العطاء، ولا تميزوا، فكما أن الحرية واحدة لا تتجزأ، هكذا هم الناس وحدة لا يتجزأون. أعطوا مرة واحدة، تأخذون مرة واحدة.

تريدون عدوكم؟ أعطوا عدوكم تجدوه.

أن ثرتم وواكبتم الثوار، وعدتكم بالنصر، وهو قريب، ولا مفر لكم منه! اقتصدوا في الزمان ولا تسرفوا، فقد كتب، انتم خير مجد اخرج للناس.

الثورة سماء، ومن عبر السماء أصبح في المكان وهو خالد.

المكان ذات عرضها السماء والأرض، افتحوا ذاتكم على مصراعيها تنالوا العالم الذي تستحقون.

إن مضيت في الزمان، فطوبى لكم، وإن قعدتم طواكم الزمان.

### المغيرة أبو سفيان:

«كانوا النحلاء، وكنا صناديد، وكانوا الحركة، وكنا خشبا مسندة»

كانوا القليل، وكان يزرع حقلم بذور النصر. وكنا نحن الكثير، وكنا نزرع حقولنا الهزيمة. في بدر ما هو قليل، إلا التقينا القوم، فمنحناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا، ويأسروننا كيف شاءوا، وإيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالاً بيضاً لا يقوم لهم شيء، ولا يرهبهم شيء. عندما انتهت بدر للثائرين وقف "محمد" مباركاً. هي أول الثمر، اصبروا حتى تتضج الشجر، تذوقوا ولا تضرسوا، من شبع ندم.

يقولون، يعيرونكم أنه قليل عددكم، يقولون كلاماً: ردوا كلامهم بالعمل، ووعدهم بنصر قريب.

\* غلبت الروم، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون\*<sup>8</sup> وسيغلبون، وسيغلبون حتى تؤول لكم الأرض، النصر الأخير يصيغه الثائرون.

إنها دولة لا شرقية، ولا غربية. دولة تحكم الأرض بالقسطاس.

<sup>8</sup> ما بين نجمتين: آية قرآنية

اليرموك خالد، اذهبوا مع "خالد"، أين "خالد"؟  
القادسية سعد، اذهبوا مع "سعد"، أين "سعد"؟  
هنيئاً لكم.

بدر أول شمسكم، ارعوا شمسكم، ولا تهملوا، فتعودوا إلى الظلام.  
صباحكم قد بزغ، فصاحبوا صباحكم، وعاشروا ورافقوا.  
إياكم والدرب السهل، سيروا أبدأ صعوداً، واشقوا واعرقوا.  
هي الحرية، وكلما جسدت واحدة تراءت لكم أخرى وترامت.  
روما صلبت الإنسان، وصلبت الحرية، وسامت المحبة، فاثأروا له ولها بتقويض  
إمبراطورية الظلام.  
ابنوا إمبراطورية النور، إمبراطورية النور فوق إمبراطورية الظلام تبنى.  
استعبدت روما الناس، فأعطوا الناس حقهم.  
الحرية واحدة، والناس واحدة، وهي تكفي الكل.  
لا تقتلوا روما، بل ردوها إلى ما وراء الجبال، ردوها واحجروا واعقلوا، تعقلوا.  
اذهبوا سلاماً، انتم رسل السلام.

إعرابي من اليمن:

«نقض التوراة ونقد الإنجيل»

نحن العرب مثل الكنعانيين نخضع لتيارين: العلم والجهل. إذا طغى الجهل، نقضنا الوعي ونقهقرنا  
إلى التوراة. وإلا أقمنا الإنجيل وتطور عندنا النقد.  
نحن العرب، لنا دون غيرنا من الأمم حق رفض التوراة وحرقتها، نقضها وليس نقدها،  
رفضها وليس رفضها.  
إن "موسى" حكيم من عالمنا مثل "عيسى"، والسوريون رفضوا الأول ورددلوه، وقبلوا  
الثاني وأقاموه.  
إذا كانت المشكلة مشكلة إله، والمسألة مسألة كتاب، فليس لأحد أن يهدينا إلى كتابنا، فالمشكلة  
والمسألة هما سوريتان في الصميم، والسوريون أولى بهما، فينقضوا حيث النقض، وينقدوا حيث  
النقد.

أما والمسألة مسألة وطن، والمشكلة مشكلة أمة، فالنائر أولى بهما، فهو خير من نقض ونقد.  
قَدِمَت المدينة، سمعته يتكلم:  
لقد دُمِلَ الجرح، تعالوا نصنع الغد الذي نريد.  
هذه بدر، وهناك مائة بدر بعد بدر.  
امضوا بين السيوف وبين القداح، كما تمضون بين المساء وبين الصباح.  
الحرب الآتية كبيرة، وسعوا حلبتها... اقتلعوا الفاسد من التراب، وابتروا المريض من  
الإنسان.

اغتنوا تثمروا، إياكم وصفر الوجوه.  
إياكم والأمية، فإنها ما دخلت دولة إلا وخربتها!  
إياكم والتشيع فإنه قرصة الأمة!  
إياكم واللهو فإنه صداً للوطن!  
احملوا سيوفكم واتبعوني، ولا تشفقوا أو تلتينوا. من شفق ولان، كبا.

الهلال درع السيف، والهلال والسيف صليب المحبة. المحبة دون سيف زهرة عقيم لا أريج لها ولا ثمر.  
لا تدخلوا في التجربة. من سيمائهم تعرفونهم.  
لا تنظروا لتروا، النهار لا يحتاج إلى دليل.  
لا تنتظروا حتى تدينوهم، المجرم يعرف من رائحته.  
يستطيعون تضليلكم، ويقدرّون إدانة العقل. أما الوجدان فمن يدينه؟ احيّوا الوجدان سور العقل.  
احذروا أقوالي، فهي إثم بها تدانون. يخاطبوك بفمي حتى يثيروا عاطفتكم، إياكم والعاطفة، فإنها جرثومة المعرفة.  
احذروا المدح، هو عقار الغفلة. يمدحونني ليخدروكم، إياكم والأحلام فإنها آفة الوجود.  
لا تعرضوا أقوالكم مجاناً، تكسد. إن سألوكم أعطوهم لقاء ولائهم.  
لا تشهروا سيوفكم عيوناً تضعف. إن قاتلوكم فقاتلوهم لقاء حياتكم.  
كتابكم سر، ومخبأ السر لسانكم، وحصن اللسان الصمت.  
لا تسكتوا على خطأ، هل تريدون أن تكونوا من شيع الشر؟  
هي كلمة.  
خير نضالكم، كلمة حق بوجه سلطان جائر.  
لا تسكتوا، فهل أنتم شياطين؟

### محمد النبي النائر الفصل الثالث

#### نائر من الأردن:

يعتقد المؤمنون أن قيصر روما صلب "عيسى ابن مريم"، صلبه لأنه علّم بالمحبة وغرس مسامير في جسده لأنه نادى بالمحبة لغاية المحبة، ولا لأخرى سواها. وأقول لقد أخطأ المعتقدون المؤمنون.

يجزم بعض العلماء ممن اعتمد العقل إيماناً قبل النقل، أن القيصر أمر بإعدامه لأنه نادى للنداء، مجرد النداء فقط: اطرّدوا أولاد الأفاعي من الهيكل. هذا ولم يؤيد النداء بالسيف. وأقول أيضاً: قد أخطأ العلماء.

ويؤكد قلة قليلة ممن أتى العقل والروح، بل صلبه القيصر لأنه بشر: اخرجوا من بيت أبي... ويزعمون أنه حاول الدخول إلى الهيكل وأعلن كلامه أعلاه للصيارفة مباشرة، وأقول: قد هفا العقلاء.

وأرى معتقداً، جازماً ومؤكداً، إن القيصر قد أمر بإعدامه، ونفذ اليهود حكم إعدامه صلباً، ليس لأنه جاهر بما يؤمن وحسب، وأعلن ثورة قاضية على أعداء الأمة، وأعداء الوطن روما واليهود، ولم يعلنها لهواً ولعباً، بل لأنه حمل سيفاً وأقبل على القيصر قاتلاً وعيناه تقول: ما أتيت لألقي سلاماً على الأرض، بل جئت لألقي سيفاً. ثم أضرم ناراً، وناراً لا تتطفئ.

حمل سيفاً، وأضرم ناراً، وطرّد أولاد الأفاعي من الهيكل، وهذا هو جرمه، وهذا ما قاده إلى الصليب. ومبارك الجرم، ومبارك الإعدام.

إنما خسئ الظالمون، لم يعدم، لقد رفعت السماء موطن الشهداء إلى سدرة العرش وأجلسته عن يمين الخالق. وهناك يجلس من كان مثله سراً من أسرار الخلق.

لقد أثار في المسيحيين حب الشهادة المؤيدة ببريق الشمس، لقد أثار فيهم شوق طرد القيصر، ولهذا منح القيصر من يصلبه رتبة شيخ في مجلس الشيوخ، وصلبوه بما شبه لهم. ولو نجحت الثورة لكان معلماً هو من أمر بصلب القيصر. إنما شاء القضاء، وباعت الثورة بالفشل. وهو على خشبة الصليب، ألقت إلى رفيقيه وقال: سيأتي المحمود، وسينتصر لدمي، وسأعود إلى الأرض مخلصاً وهادياً، وأنتما تصنعان النصر، انتظروني.

وأخو "عيسى" الثائر لملم ثغرات أخيه وتحصن بها، لذلك نجح المقوم باليد، حيث فشل المقوم بالبيان.

فشلت الثورة الأولى لأن السيد أمر برفع السيف وشهره، بينما الأخرى نجحت لأن الآخر حمل السيف ومضى، ولهذا نالت الفوز العظيم.

سقطت ثورة المحبة، لأن المعلم الابن أشار بإضرام النار، بينما نجحت ثورة الثائرين، لأن الثائر هو من أضرم النار، أضرمها من جذوة نفسه المضطربة.

انتهت "احبوا اعداءكم" على الصليب، وانتصر القيصر، وتربع على العرش زهاء ستمئة سنة أخرى من العبودية.

وانتهت "أعدوا ما استطعتم" مكللة بالغار، وهزم القيصر مولياً الأدبار إلى ما وراء الألب، وتربع الثائر على العرش زهاء ستمئة سنة آتية تحكم بالعدل، وتقول بالمحبة.

انتصر الثائرون، لأن الثائر ضرب بالسيف، والمرأة غسلته، والفتى تكلم وضرب. انتصر الثائرون، وماتت روما، لقد ماتت ليس لأنه القدر، بل لأنها إرادة الأمة، قدر الوطن وقضاؤه.

إرادة النبي الثائر، الحرية للعالمين، فمن يخالف الإرادة الثورية ويخلد؟

إرادة الثائر "محم"د، عرش يقوم في الشرق، ويمتد حتى الغرب، فأى زمن يعارض، وأي مكان يرفض؟

إرادة "المنحنما" تفاعل أفقي واحد فوق تفاعل عامودي واحد. بناء روحي فوق بناء مادي. ونشطت قوى الطبيعة برمتها تؤيد الإرادة الثورية وتؤازر.

ويظنون الناس: أن للثائر غاية، أصناماً ويهدمها، وقبلة ويتولاها، لقد أخطئوا الناس بظنهم. ليس للثائر إلا غاية واحدة، إمبراطورية ويهدمها، وإمبراطورية ويتولاها.

**حويصة:**

**«أمر محيصة وحويصة»**

امتلات الأرض فساداً، تألمت النساء، وبكت الرجال.



فاض الجور، حتى حسب الناس أن الظالم إله عنه تصدر الحياة.  
فسدت الأرض وجارت، فقال الثائر طهروا الأرض من رجسها، واحرصوا أن أول الغسل الرأس.

الطوفان صابون النفس، والزلازل ليف الجسد، وهذه النفس وهذا الجسد قد انتنا، وانتم الثوار الطوفان والزلازل، فأتوا على أمتي وعمدوها.  
وكما أن الطوفان واحد والزلازل واحد، هكذا أنتم شعب واحد كأعضاء الجسد. أنتم بحر، تأتون موجاً، وتغادرون.

انتهوا من العملاء الخونة، تنتهي لكم الأرض... "من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه".  
لقد أباح لكم دم اليهود، وانتم هبوه للتراب.  
أحياناً، إذا فقد الماء، فإن علاج القمل القتل.  
حزب أبي لهب قد عسا ظلماً، وعتا جوراً، فارفعوا الظلم وردوه إلى أهله، وردوا العدل لأهله.

قد أكلكم حزب أبي لهب رباً، وأكل الأرض، ومن نما بالربا، بالربا يفسد، يفنى.  
حزب أبي الحكم أقترح على أبنائكم، وعلى نسائكم قامر... على أعناقكم راهنوا، ترحبوا.  
لا ترهبوا القتل، إن قتل أعداء الأمة كالندي، هذا يحيي وهذا... بالندي تنتعش الزهرة، بالدم تنتعش الأمة.

المنجل لا يميز بين العشب الضار وبين سنابل القمح. أنتم مناجل الحصاد، والناس حقل لكم، فاحصدوها ولا تسلوا. غداً البيادر تدرى.  
الحصاد أعمى لا يميز بين نبتة صالحة، وأخرى طالحة. البيادر هي العين، تغربل التراب، وتفصل الزوان، وتطرد القش.  
العربة واحدة، وانتم أبناء العربية، مجتمع واحد أنتم، وكما العربية يجذبها النار، هكذا أنتم تجذبكم نار الحرية.

كونوا كالبنيان المرصوص، لا تدعوا سقفكم لعش، ولا تهملوا أساسكم لجر.  
قبضة أنتم، فامضوا قبضة.  
وُجِدتم لتملأوا الأرض عدلاً وقسطاً، فإملاؤوها، كلمتكم أنتم صانعوها، أنتم المسؤولون عنها.  
يُعرف الوعاء من نضحه، اخرجوا إلى الناس وانضحوا، لا أخجل بزرعكم.  
الأرض تطوى لكم، طوبى لكم، أنتم فخري واعتزازي.  
أخي "محيسة"، قبضته يقتل عميل خائن. سألته: ويلك أخي، «أي عدو الله، أقتلته، أما والله لرب شحم في بطنك من ماله؟»

جاوبني: «والله لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لضربت عنقك»  
سألته: «أو لله، لو أمرك محمد بقتلي، لقتلتني...؟»  
جاوبني مؤكداً لا ترف له عين، وكأنه يخشى أن تغشاه كبوة: «نعم والله، لو أمرني بضرب عنقك لضربت بها»

قلت: «والله إن ديناً بلغ بك هذا... لعجب»

فاشهد أن لا أمة إلا أمتي.

أشهد أن "محمدًا" ثائر هذه الأمة.

إن أمة أبناؤها أمثال أخي محيسة لفجرها قريب.

أم عمارة:

"قمت أباشر القتال، وأذب عنه بالسيف، وأرمي عن القوس".

دنيا، يا دنيا.

خذي الرجال، خذي النساء، خذي الأطفال وخذي، وعقي عن الحرية، عقي عن بلادي.

دنيا، يا دنيا.

خذي الحرية، إنما بلادي ليست ملكاً لنا إنها إرث الأجيال الآتية. دمائي وأبدلها، نفسي

وابعثها، حرיתי واعوضها، إنما بلادي.

بلادي وطني، لك حريتي، لك روحي ووحي.  
 لأنها بلادي اتجهنا جميعاً إلى أحد، نساءً وفتياناً ورجالاً.  
 قبالة أحد وقف يده على السيف، وقلبه في المستقبل وقال: هؤلاء الفتیان هم اسمي غداً، إلى  
 الحصون. ورد الفتیان: اسمك غداً؟ وإن ذهب الوطن ذهبنا؟  
 إذاً، النساء إلى الحصون، فهن أمي، انهن رحم أمتي القادمة.  
 وقالت النساء: وأنجبنا في السلام رجال الحرب، فدعنا ننجب في الحرب رجال السلام.  
 قال: اليوم غلبت مرتين: غلبني الفتیان، وغلبتني النساء.  
 إن أمة تغلب زعيمها فهي أمة حيّة، وهي جديرة بالحياة.  
 أمة، إن أمة قرارها على صدر النساء هي أمة صباحها قريب.  
 أمة، إن أمة كلمتها صنعتها إرادة الفتیان هي أمة خالدة لا تقنى ولا تموت.  
 إن أمة نساؤها جواهر، رجالها أصفياء لهن. هي أمتي نساؤها أصفياء الرجال، وفتيانها  
 أصفياء الصراخ. لا تعرف النوم.  
 يمخر فتیان أمتي عباب الزمان في مراكب تقودها النساء.  
 يوم أحد، اشتد ساعد روما، فقاتلت لأجل خمسمئة سنة أخرى من العبودية. واشتد  
 ساعدنا فقاتلنا هجوماً من أجل الإعتاق، فقد اشتاقت الحرية لأهلها.  
 ودخلنا أحد أقانيم ثلاث، الفتیان أقنوم، والنساء أقنوم، والرجال أقنوم. ثلاثة أقانيم في أقنوم  
 واحد ألا وهو ذو الفقار.  
 وانفصلت الحرب لمصلحة الثوار، وليس لسبب إلا أننا لمسنا أن القوة تكمن في الاتحاد،  
 وليس في العدد، ولا العدة. ولمسنا هزيمة روما، فقد قاتلت أفراداً ووحداً.  
 ولمسنا هزيمة الروم باكراً قبل اشتعال فتيل الحرب، فقد ضاقت الحلبة لكثرة الرومان،  
 فاختنقوا.  
 ورجح النصر لصالحنا، ليس لسبب إلا أننا قاتلنا ذوداً عن التراب، ومن أجل التراب.  
 وتحسنا هزيمتها، فقد قاتلت للتاج وللمال.  
 قاتلنا وحصدنا الغار، هو زرعنا، وكل أمة تحصد ما تزرع.  
 أمت، أمت، أمت... هكذا دخلنا في البقاء.  
 "أمت" مفتاح أحد، كلمة سرنا.  
 أمت بنورها اهتدينا، بصوتها تواصلنا.  
 أمت ابتدأت رقراقة متهادية بيضاء، وتصاعدت ريحاً صاخبة حمراء، وانتهت متموجة  
 رقراقة زرقاء.  
 أمت، من ردّها رددناها بأحسن منها، ومن أهملها لاقى الويل والثبور.  
 وانفلق الثائرون إلى جبهتين: جبهة الفتیان والنساء والرجال، وجبهة الثائر.  
 الثائر كان أكثرنا همة، فقد قاتل حتى سحرنا، فجمدنا في المكان نراقبه يقاتل ونكسب الرهان.  
 قاتل حتى تكلم، تكلم في جبهته ووجهه. تكلم لأنه أراد لنا جميعاً الانتماء إلى الثورة.  
 وأعطانا دمه، فأعطيناه لواعنا.  
 تريد أكثر، أعطي أكثر. وتدافعنا نحو الشهادة، لقد نادنا الطمع، طمع في الحرية.  
 كيف تكلم؟ كيف تلا، كن، فيكون؟  
 اخذ الجيش ب صدره، فشطره شطرين، ميمنة وميسرة. وانقلب على الميسرة بلبلها، ضاعت  
 وتاهت في الميمنة، ثم أنقلب على الميمنة فكانت قد تاهت في الميسرة.  
 قاتل حتى نادى الشاعر<sup>9</sup>:  
 لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي  
 لم يتعب سيفٌ، تعب الموت، وتعبت الرقاب التي كانت تتقدم خاشعة وتطلب المغفرة، وتطلب  
 عمادة ذي الفقار.

<sup>9</sup> الشاعر هو ابن أبي نجيح

ونلت نصيبي من الصراع، سلوا السيف يخبركم، سلوا القوس وسلوا السهام.  
سلوه، فقد وافاني قدرى في "أحد"، فصنعت القضاء الذي أريد. لقد زدت عنه، لقد سبقت  
سيوف روما إليه.

لم أضجر ولم أذمر. جلدي استمده من الاتحاد، والاتحاد يستمد جلده من التأثير.  
اختلف صوتان: صوت اسود. "لقد قتلت النبي"، وصوت ابيض، "لقد انتصر الثائرون".  
وولت فلول قريش تتبعهم فلول روما.  
وسكنت جبهة الحرب لترتفع جبهتان: جبهة نحيب قريش، وجبهة أعراس الحرية. ففي دار  
كل شهيد، عرس.  
عرجت هيئة الاطمئنان تسأل حاجتي، فقد تناهى لها أن مصابي بئر كبير. أبي، أخي  
وزوجي.

قالوا: خيراً «هو كما تحبين»  
قلت: «كل مصيبة بعد جل»

عبد الله بن عقيل:

«فأقاتل فيه، فأقتل مرة أخرى»

يعيروننا عملاء روما لقوله، مائة بدر بعد بدر. لم يعدكم إلا بالحرب، بالعذاب، بالتشرد  
والسجون. هذا وعده وروما وعدتنا بالدنانير، فهل لكم طاقة على الدم والدمع؟ نحن لنا طاقة على  
الكؤوس والمجون. وشتان ما بين وعد الثائر ووعد روما!  
وحلم الثائرين طاقة، وما الطاقة؟ وما الحرب؟ في مخاض الوطن، على الثائر يتوكل  
الثائرون.

وشمتوا: قليل عددكم!

قليل عددنا. ألا يكفيننا أن كل ثائر يوازي مئة رجل؟ ألا يكفيننا فخراً أننا نقاتل إلى جانب  
الحق؟ ألا يكفيننا أننا نقاتل على جبهتين: جبهة الثائر، وجبهة الثائرين؟  
ألا يكفيننا ذو الفقار؟

لنا نحن الأحرار، الأمة، ولهم هم المرضى الدنانير. دنانيرهم سوداء، وامتنا بيضاء.  
نذكرها أبداً بيضاء حتى رفعتها روما على الصليب، فانتشحت شاحبة سوداء فوق جلابيب

حور.

لنا الأمة، وهي بيان للناس، والوطن هدي وموعظة. ولهم روما، وهي ضلال للناس،  
والدنانير غرور واختيال.  
من أراد ثواب الأرض، الأرض تكافئه، ونحن نكافئه والشهداء. ومن أراد ثواب الآخرة  
لتكافئه النجوم والسماء.

أردنا ثواب الأرض. وكان قولنا: اغفر لنا، تد أقدامنا، انصرنا على الروم القوم الجائرين.

وغرر الشامتون من أبناء امتنا الضالين، لأنهم لا يدرون كيف يتجهون.

وطننا أحطنا برحمتك، هبنا من لدنك قوة، أئر درب أبناء قومنا المضللين.

كانت روما تنادي الضالين من قومنا، كانوا مبهورين بعضلات هرقل، لذلك ضلوا، ولذلك  
كان سهل مناداتهم، وأغراهم القيصر: إن أطعتم الذين ثاروا، يردونكم على أعقابكم خاسرين،  
وتتقلبون نادمين، وتخسروا دنانير الإمبراطورية.

وكنا نناديهم: يا أهلنا، يا اخوتنا، آباءنا أنتم وأمناء، تعالوا إلى كلمة سواء بيننا، ولنجعلكم  
العظماء، ولنجعلكم الأسمى.

أبناءؤنا... أنصدقون دنانيركم، ولا تصدقون عقولكم؟

أنصدقون يومكم، ولا تصدقون غدكم؟ أنكذبوننا ونحن دمكم، وتصدقوهم، وأنتم لهم دماء؟

سرنا ونكاشفكم، بيننا ما من خوف؟ شخصيتنا قراكم، ذواتنا إرادتكم؟

والثائر، وما كان للثائر أن يغل، ولم يغل، ولن يغل.

لقد مئت علينا الأرض بئائر، إذ بعثت فينا زعيماً من أنفسنا. فلماذا تكذبوا؟ لماذا تُقتلوا؟ أما انتهيت من مرارة الصلب؟  
ولقد وعدتكم روما، إن تقاعستم، السوط، الويل والثبور، ووعدت إن متم حجبت عنكم الدنانير. ووعدناكم إن اهتديتم العناق. وعدّها الفناء، ووعدنا الحياة الأبدية.  
إن متم حزنت روما، وحزن الوطن، وحزنا.  
وإن متنا فرحنا، وفرح الوطن، وفرحت روما.  
لا تحسبوا أننا نموت جزافاً. نحن نموت لنحيا، نحن نموت في سبيل المجد.  
لا تحسبوا أننا نموت، فالشهداء لا يموتون. لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الأمة أمواتاً، إنهم أحياء في رياض الوطن وارفون.  
لا تحسبنا قبوراً من دوارس، إننا شواهد على الزمان باقين.  
لا تحسبنا شوكة وعوسجاً، اننا نحن أزهار الثلج.  
أصيت أنا "عبد الله" في "أحد" ومت. وفي لحظة الرمق الأخير حضر بين يدي النائر وسألني: ما تحب يا عبد الله أن أفعل لك، هل يسألكم القيصر؟  
قلت: أحب أن يردني التراب حياً، فأقاتل في الوطن وأقتل مرة أخرى.  
قال: لك ما تريد يا ابن عقيل.  
وهكذا تراني ابعث مع شقائق النعمان الأحمر، أموت في تموز لأبعث أخرى في تشرين.  
هل تدوقتم طعم الموت؟  
وكيف تتذوقون؟

كعب بن مالك:

"وعلمنا الضرب أبأونا      وسوف نُعلم أيضاً بنينا  
نشبّ وتهلك أبأونا      وبيننا نربي بنينا فنينا"

عبث كنا نضرب معاول الثورة في سور الظلام القائم بين الفجر وبيننا.  
مستحيل، كنا نشكو الى الليل من ناب الألم المغروز في شريان الأعناق، إذ أننا نسمع من جوف الليل أنينا.  
نمعن النظر في الماضي، فنراه قتلاً وصلباً وسوم العذاب، فنلوذ بالصمت خوفاً على أجسام من سياط القيصر.  
ونحدق العين في التاريخ، فنشاهده نفيّاً وجهلاً ومرضاً، ونتحصن للصمت رهبة على أبناء طرية العود رخصة، وهل من مجتمع دون أبناء؟  
وننعم الحق في الغد، فنقرأ سهل السلوك، لين العريكة، هين المنال، ضعيف الأخذ، إنما نخبت خبت حمى الطفولة. أننا نفتقر إلى طبيب، إلى حكيم، إلى زعيم يتقدم مسيرتنا ويسدد، ويحمل لواعنا. وأبدأ كانت تهب ريح روما وتبدد ريحنا، وتذهب قراءتنا أدراج الرياح.  
حاولنا الوصول إلى الناس والتواصل معهم، وامتنع عنا الناس محتجبين وراء أصابعهم، دافنين رؤوسهم في الرمال. وأبرزنا جاهدين تبيان معارفهم التي يعتقدون ويعبدون، وأنها ليست إلا منكر تقضي إلى منكر، وأنها معروف زمان قد مضى، لا أمل فيها ولا شفاء. وما المعروف الذي نحمله، والذي يسمونه خطأ منكر إلا معروف زمان آت. وكل آت قريب. عبثاً، من ننادي، من نهدي؟

غداً، وحين يصل المخلص، المهدي المنتظر، فإن أول أعماله، أنه سيأتي العظام ويكسوها لحماً، وسيعطي المنكر اسماً. غداً، أرفضوا كلمته إن كنتم تستطيعون؟

وكانت السيول تخدق إلى غير رجعة وتضيع في الرمال. وكانت تتحكم في مصير الناس، أولياء الماء. جاء وحقق السيل وحول الأصفر إلى أخضر، وبث الطاقة في الجماد فمشى، وحول المادة إلى نبات، والنبات إلى علق، والعلة أصبحت روحاً، حورية تشبه الفرات، أو امرأة تشبه الفرات، وتشبه دجلة. وأخذت المرأة قليلاً من دجلة، وقليلاً من فرات وجبلتهما ببضعة من دم فكان مضغة، والمضغة أصبحت رجلاً، ومن صدر الرجل أخذت ضلعاً وصنعت الله. وأخيراً، كافأ الله المرأة فأعطاها العقل شكلاً للنبي تارة، وشكلاً للحكيم تارة أخرى، وشكلاً للثائر مرات.

كانت الأنهار تهدر وتتيه في السراب، وأتى وهدى النهر فانتشرت الحياة، وهبط الوحي متمثلاً بشكل بشري سوي مرة، ومرة أخرى بشكل حمامة بيضاء، وأخرى كان ينتزل تنزيلاً. المرة الأخيرة ارتفع من الأرض إلى السماء.

هباء هو زرع آباءنا. كان آباؤنا يعلموننا فن الضرب. لم يعلموننا فن الثورة. وكانت روما تأتي في موسم الحصاد وتستغل الضرب تتكيلاً وتشريداً ودماءً، وكنا نغرق أحزاباً وشيعاً، كل شيع بما لديهم فرحون.

هوذا حالنا حتى جاء، وحين جاء لم نعرف ماذا ألقى على روما فربضت، فعقلها عطشى وأمامها الماء لا تشرب؟

ولا أذكر ماذا فعل؟ وكيف تكلم؟ فانتظمتنا وحدة في شعب، وشعباً في وطن، ووطناً في أمة. الأمة العظيمة بزااة تدفن حالها حية، حتى إذا جاء مخلصها، أتبعثت من تحت الرماد طائر فينيق وصفقت بأجنحتها النار، وطار إلى اجواز الحرية.

وهكذا كان، كنا نعود إلى الرحم نربي الأجيال الآتية طائراً عربياً بزااة، رأسه في الشرق، وجناحيه في الشمال والجنوب، وذيله في الغرب.

الأمة الفذة خالدة لا تقنى، وهذا حالنا نحن السوريون العرب. وأنا أذكر اليوم الذي علمت فيه ولدي فن الضرب، وأذكر اليوم الذي علمني فيه والدي فن الثورة، وأذكر حين انقلبت إلى الرحم أربي ابني فن الغاية، وأذكر اليوم الذي دفعت الصخرة، ومزقت اقماطي وخرجت من المغارة وتبعته سيفاً وصليباً ونوراً.

الأمة الخالدة لا تموت، سلوا الشجرة التي تحولت إلى بذرة!

**حبيب بن عدي:**

"«روما لا تنتصر، وان انتصرت فعلى العدل...»"

دعتنا روما إلى الحرب في عقر دارنا. ولبينا الدعوة بأحسن ما تكون! انتهت الحرب فدعوناها إلى السلام فرفضته بأحسن ما يكون.

دعونا الثائرين إلى الحرب، فأتوها من أبوابها. ومن يفوز في معركة الموت، يفوز في معركة الحياة. للسلام أدعوكم.

الفلاح الطيب يبذر البذور في الشتاء. والطبيعة عاصية هوجاء، ويذهب ينتظر فصل السكينة والنظام ليسترد ما بذر، وتكافئه الطبيعة أضعافاً مضاعفة. هكذا كونوا أنتم، ابذروا تحت السيوف، تحت ظلال السيوف، تحصدون.

لا تظنوا أن حرب السلام أقل جهاداً وأوفر سهولة، فللحرب باب واحد، للدخول والخروج. أما حرب السلام فلها أبواب، هذا وليس كل باب هو، هو للدخول والخروج.

الحرب بسيطة، أما حرب السلام، فمركبة، أكثر تركيباً وأكثر تعقيداً.

جئنا الحرب نريد سلاماً، وجاءت روما فوق السلام تريد حرباً! هي روما لا تعرف إلا

الصعبة مطية، ولا تجيد ركوبها، لهذا فشلت وفزنا.

نظمنا الثائر في أخويات، على نمط أخويات الحواريين، كل أخوية ست أعضاء. مثلاً: أخ للسياسة، وأخ للثقافة، أخ للاقتصاد، وأخ للعدل، أخ للدولة، وأخ للسلام وهكذا...

كنت من أخوية يوم الرجيع بريادة "مرثد بن أبي" مرثد إلى عضل والقارة، وكنت مرشداً

للتقافة.

لقد انتهت مهمتي، ومهمة الاخوية الست بوصولنا إلى بئر الرجيع، بوابة القارة، إذ غدر بنا قوم الرجيع وأمروا بقتلنا، جميع زملائي الخمس انتهوا بالسيف، إلا أنا فقد انتهيت على الصليب، هكذا يموت أهل الكلمة.

أخطأوا واستجابوا لرأي: ركعتين صلاة أتخاطر بهما والثائر قبل الموت. اتممتها بهدوء وقلت: أما والثورة، أما وحریتکم «لولا أن تظنوا أنني إنما طولت جزعاً من القتل، لاستكثرت من الصلاة»

وحصّدت بعثة القارة، فقد ذهبت الركعتان سنة لكل ثائر أمام القتل، ولكل خصم فيلين ويميل، ولكل عدو فيجنى ويغل.

وحيداً كنت وسط الأنياب، والأحزاب من حولي تكشر وتعوي.

ساموني الألوان، وبضعوا لحمي، فيأس مطمعي.

ثم خيروني بين روما والموت، فاخترت غير جازع، الموت. ونلت الحرية، طمعي... وكيف اختار؟ فمن التراب وإلى التراب أعود.

#### وتكلم الجسد

وتكلم الجسد:

السياط صاخبة

بصمت تأخذ بضعة لحم وتجتر

تلوكها وتبصقها.

مرة، لا تمضغ.

وتحتج: ما لهذا الجسد؟

هل هو جثة؟

هل هو فطس؟

لا أهوى جلد الصمت

ليصرخ الجلال، لتبسم البلاد،

ليعطي اللقاء حياة.

وكان الجسد نائماً، يحلم

فهو يكره عدّ السياط.

أيقظوه، أيقظوه واقلقوا الوجود

ثم، وللذين يهوون الضوضاء ليصرخوا

فهو الجسد يعشق الحياة

إنما هذا الليل؟

ولهذا الليل لا بدّ من صباح.

سخطت السياط

سخطت روما

فقد سقط خبير

آخر حصون الشر، أعداء الداخل.

غداً، باكرأ الحرب وجهاً لوجه

غداً،

سيخرج الحق كله للباطل كله

هكذا، صرخ الجسد، كيف يصرخ السوط؟

وتكلم الجسد،

من قال: أخرس؟

عبد الله بن أبي بكر:

الصوريون أبناء الأرض

كل يتوضأ، كل يصلي.  
ووضوء الأرض الدماء،  
وصلاتها طرد الخونة، قتل العملاء.  
كل يتطهر. وطهارة التراب الشهداء.  
كل يقف بين يدي الحرية خاشعاً،  
وخشوع الأمة نار.

أم الولد تموت دون الولد

وأبو العمل يقتل دون العمل، ولو كان "جاليلو" هو مكتشف كروية الأرض، لذهب بملء إرادته إلى الصليب، وإلا لماذا تراجع عن فكرته، وعن عمله أمام محكمة الكنيسة؟ من أين سرقت علمك جاليلو؟ لعلك يهودي؟

لو كان بنو النضير أهل الأرض، وبناء الدولة، وآباء الأمة، لكانوا وقفوا وقفة عز أمام الثائر وقالوا: الموت، الموت، ولا العار؟

الصوريون هم أبناء الأرض وآبؤها، فاسمعهم يقولون: نحن الصوريون أهل الأرض وأصحاب البحر، نحن بناء صور، البرية منها والبحرية. ولقد جبلنا ترابها بعرق الجباه. لذلك، وعندما جاء "ارتخششتا" محاصراً وقاتلاً، رأينا أن نتحصن داخل أسوارنا النار، لقد أضرمنا النار بأولادنا وأسواقنا وبيوتنا، وانتصرنا، وهزم ملك الفرس، فمن قال أنتصر؟ من قال أن الموت ليس نصراً، فقد ضل ضلالاً بعيداً. من قال: قد لحق بكم العار فقد خسى. لقد صنعنا الشرف الذي نريد، لقد ابتدعنا العز الذي نأمل؟ شرفاء قد سقط الحجر والشجر والبشر. بشرف طهرنا البحر، لقد متنا أجل، إنما لم نترجل.

وما القرطاجيون إلا أبناء "صور".

هي "صفو نسب" أضرمت ناراً، جذوتها من صور. ودخلتها خاشعة، مرفوعة الرأس شريفة، يرافقها أولادها الثلاث، وأبناء قرطاجة. وحين دخلها "شيبو" قائد جيش روما، قرطاجة، دخلها فوق الرماد، تحت سحب الدخان. وهكذا انهزم البطل الفاتح. وذهب يوم وجاء آخر، وكانت إرادة الرماد، لقد احتشد الرماد في الصحراء، وانبتق منه العملاق، الطائر الفينيقي، ثائر عربي اسمر يصرخ: "صفو نسب"، "صفو نسب" لبيك، لبيك يا أمي.

وعندما حان موعد صلاة العصر، توجه الثائر نحو القبيلة وحاصر بني النضير، الخونة العملاء، وأحياء بني عامر الجبناء حاصر.

وما أن غابت شمس، حصار ذلك اليوم حتى جاء رسلهم، أسياً يسألون "الثائر أن يجليهم، وكيف عنهم دمائهم، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة<sup>(1)</sup>". وخرجوا أذلاء.

لا يعرف العز من هو ابن للذل، وكيف يعرف الذل من يعرف الشرف؟ وكيف يعرف الشرف من هو مجبول بنقص؟

لقد خرجوا تحت جلابيب نسائهم يرضعون الطمث، ويمصون الحيض.

«لقد استقلوا بالنساء والأموال، ومعهم الدفوف والمزامير، والقيان يعزفن خلفهم»

لقد خرجوا قروداً يرفعون علامات النصر.

ولقد سفرت نساؤهم عن شعرهن، وعن صدورهن، ورقصن ونمن وبعن.

وحام الذباب حولهم يرافقهم إلى خيبر.

وابتداً وضوء الأرض،

ابتدأت صلاة السيوف.

جابر بن عبد الله:

(1) الحلقة: السلاح.

كل ما في الوجود واحد ينشد غاية: "صلاة الحرب..."

عندما انتصرنا في بدر، وبعد أن كُتب لنا النصر خالصاً إثر هزيمة في أحد، تتطلع صوب روما وقال: اشتقنا لك، هل اشتقت؟

وبدا استعراض جيش الأمة، لا تيهأ، ولا اختيالاً. إنما استعداداً وثأراً.

روما، روما نريد حربك أنت.

نناديها، وروما لا تحرك ساكناً، بصمت تجيش الناس، وتعد العدة لليوم العظيم.

ثلاث غزوات<sup>10</sup>: "ذات الرقاع"، "بدر الآخرة"، و"دومة الجبل". لم نأخذ بها من عدو البلاد

جرباً من دم. لكننا لنلنا الفوز العظيم، لقد علمنا معنى الصراع.

عندما نفرغ من الجهاد الأصغر، يردنا للجهاد الأكبر، يقودنا إلى مكة والناس فيها

منتظرون، لا يصرفنا إلى البيوت، إلى الحجر الأسود يُقيل ويُقيل، وندور خطأ واحدة ثابتة،

عراة، حفاة، سبع دورات حول الحجر، والسماء تمطرنا ناراً، والأرض تتبثق ناراً، وتعبق

الأجواء زغاريد حناجر يبيثها الفراق.

وتصطك أسنان.

الثورة واحدة،

كل ما في الوجود واحد.

لقد زواج بين الحرب والسلام، والمادة والروح، والكلمة والحرف. كل ما في الوجود واحد

وينشد غاية. غاية الوجود الحرية.

فالصوم واحد، وغايته رياضة الروح، تدريب الجسد صبراً ومجالدة. ففي حربنا لا نذكر

اليوم الذي أكلنا، واليوم الذي شربنا؟

كنا نقتل البطون برائحة السيوف، والأفئدة بصهيل الخيل.

والدعاء واحد، وله غاية، خشوع ورحمة للناس، وترهيب وتهديد لروما.

فإذا كان عند السوريين إله لكل ظاهرة، فنحن العرب لنا صلاة مع كل إله؟

وكانت لنا صلاة للسلام، وصلاة للحرب.

نصحن، وننصحك أن تتعلم صلاة الحرب وتنقن. أما الصلاة، فكيفما تولوا فثمة وجه الله.

أطلق على الحرب صلاة الخوف.

خوف عدوك، فينهار قبل أن تنقض عليه.

صلاة كان يقيمها مع فتح المعركة مباشرة، فتمتلئ قلوبنا شجاعة ونقدم، وتمتلئ قلوبهم هوىً

فيفروا.

والصلاة واحدة، غايتها رياضة الروح وتدريب الجسد. حركة واحدة، صوت واحد، ينتهيان

قوة.

الخشوع في الصلاة لرفع الريبة، والرياضة والتدريب لقهر الأعداء.

وافتنحنا "ذات الرقاع" بصلاة الخوف.

ونشدنا الإقحام، ونشدوا الهروب.

وقفنا بخشوع، هم قبلتنا، فولونا أكتافهم وانتصرنا.

صفان من المصلين تتقدمهما إمامة الثائر. الصف المتأخر، دروع تشهر سيوفاً.

ركع بنا جميعاً، ليث يتهاى للوثوب.

ثم سجد، وسجد الصف الأول، فسُيَعَت الفريسة.

ثم رفعوا، فتصاعدت الحناجر إلى السماء.

ثم تأخر الصف المتقدم، وتقدم المتأخر حتى قاموا مقامهم، وهو، هو في عيون المسبوعة

إمام.

وشهر الصف المتأخر السيوف وتدرع، وفرش الصف المتقدم الدروع مصلاة، وفرد

السيوف سجدات.

<sup>10</sup> غزوات: غزوة: حرب



ركع وسجد... وسجدنا  
ثم رفع ورفعنا، فتهالوى التتين.  
صلاتان كانتا، وكان والأعداء وجهاً لوجه،  
مرتبان كان دريئة لهم، وحصناً لنا، وكان للطريدة سحراً، والطريدة مسبوعة لا تأتي حراكاً.  
ثم سلم بنا جميعاً.  
فسلمت الطريدة لنا أمرها، أو استسلمت للفرار.  
وطاردنها؟ لم نطاردوها،  
إن نفوس الثائرين تشرأب أبداً للمحبة وتجنح.  
عندما تكون الوجوه للثائرين، فالسيوف فولاذ من ترشيش. وإلا فهي طرية، رطبة لينة من هليون.

ابنة بشير بن سعد:  
«وتتاهى للثائرين: الأحزاب قد جمعوا لكم»  
فزادوهم إصراراً وهم لا يدرون.  
حم لا ينصرون  
حم لا ينصرون  
حم لا ينصرون.  
أعرف أن الزغاريد للنساء، ولكن لم أكن أعلم أن الرجال تزغرد حتى حضرت "الخنق"،  
فكيفما لمعت السيوف، مع لمعتها تسمع: "حم لا ينصرون"، وأينما وقفت، وقفت المعاول تصر،  
وتسمع صريرها يقول: حم لا ينصرون، وحيثما اشرق وجه الثائر، مع إشراقه تسمع حم لا ينصرون.  
وأعرف أن النساء تزغرد، لكنني لا أعرفها تقاتل حتى عاينت "صفية بنت عبد المطلب"، لقد حملت عصا، بعضاً زادت عن النساء والأطفال والرجال.  
أنتم لم تروها، أنا رأيته طوداً يقف بين "الخنق" وبين الحصن، تولد القضاء الذي تريد،  
وتصنع القدر الذي تهوى.  
أشارت روما، وأوعزت للعملاء، فحام اليهود والقريشيون حول بعضهم حومة زراير جون تحتمي بزراير.  
حين زعق النسب، تساقطت سقوط حمل لم يكمل السبع.  
عجل بقتال الأحزاب، هم ليسوا غايته، ليتفرغ لقتال روما، روما غايته. وعجلت الأحزاب لقتاله، لتعجل بأفول نجمها.  
خرجت لقتاله قريش، يقودها إلى مذبحة "أبو سفيان بن حرب".  
خرجت قريش تساندها غطفان، يجرها "عبيدة بن حصن" في بني فزارة، ويدفعها "الحارث" في بني مرة إلى الهاوية، و"مسعر بن خيلة" يقود القادة ويقود غطفان إلى التهلكة.  
وتتاهى للثائر أن الأحزاب قد جمعوا لكم وحشدوا، فزادوه إصراراً وهم لا يدرون.  
كثيرون أجل، إنما ما هي غايتهم؟ لا غاية لهم، إذا هم الخاسرون.  
كثيرون أجل، إنما هم الضعفاء، والضعفاء حصونهم التواكل والتهور، إذا هم الهاوون.  
الكثرة لا تصنع النصر، الذي يصنعه الأيمان المؤيد بصحة العقيدة.  
وقف الثائر وسألنا: ألم أعدكم بكنوز القيصر تأكلونها؟ ألم أعدكم بكنوز كسرى تشربونها؟  
قال الثائرون: أجل وعدت.  
قال: إذا، أفقوني.  
وأمر بحفر الخندق بإشارة من "سلمان الفارسي".  
والحقيقة لم يأمر، فقد كانت يده معولاً، وكانت رفشاً.  
رأيت بأم عيني "سلمان" يضرب بمعول صخرة في عرض الخندق، فتغلظ عليه ويرتد المعول إليه.

ورأيت الصخرة لا تتزعزع، لا، ولا سليمان يكل، أو ينحني، حتى رآه الثائر.  
نزل الثائر إلى الخندق واعتذر إلى سلمان ومعوله، وضرب ثلاثاً، وبرق ثلاثاً.  
سأله سلمان: «بأبي أنت وأمي، ما هذا الذي رأيت يلمع تحت المعول وأنت تضرب؟»  
قال: «أو قد رأيت ذلك؟»

أما الأولى فإن الحق فتح عليّ بها "اليمن"، وأما الثانية، فإن الحق فتح عليّ بها "الشام"  
و"المغرب"، وأما الثالثة، فإن الحق فتح عليّ بها "المشرق".  
الأولى وحدت بلاد شبه الجزيرة، موطن الثائر وإحدى أمم العالم العربي، والثانية وحدت  
وطنين: الشام ووطن، وإحدى أمم العالم العربي في الشرق، والمغرب ووطن، وإحدى أمم العالم  
العربي في الغرب. والثالثة وحدت بلاد المشرق كله تحت راية الثورة، وكان الاتحاد العربي.  
والمشرق هو جميع البلاد التي تشرق عليها شمس النصف الأول من اليوم.  
وعندما عجزنا عن معرفة الثالثة، قال: هي جميع البلاد الراضحة تحت النيرين: نير القيصر،  
ونير كسرى.  
ولما لم نفقه كنه المقصود، وعما يكني، اجتهد بعضنا وقال: ربما هي بلاد الكنانة الزرقاء،  
مصر.

وسألناه، وهل تريد القول، أن العالم العربي يتألف من أربع أمم؟  
قال: أنتم قلتم.  
وتتطلع صوب الغرب، إلى ما وراء جبال الألب، ودمعت عيناه، وصخب في الصمت.  
وترامت لنا مقدرات الأرض، وترامت دولة نائرة على امتداد الشمس شرقاً، وعلى ظلالها  
غرباً.  
هذا في النهار، أما في الليل فإن الكرة الأرضية غدت مرتعاً للخيول النائرة.

نعيم بن مسعود:  
"فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة"

حم لا ينصرون.  
"الخندق" أحد حصون الثائرين، أولها وليس آخرها. حصونهم كثيرة، إذًا، انتصاراتهم كثيرة.  
الخندق رحب، إنما ضيقٌ بسبب القتلى المترامين من جيش العدو وهو يحاول يائس عبوره  
إلى الثوار. الخندق من الضيق ما يكفي ليجتازه نصف الأحزاب المجتمعة فوق نصفهم المدفون،  
ويحاربوا الثائر ويقتلوه.  
يوم الخندق لم نكن ندري، هل كان جيش العدو يتعثر بجثث الأعداء، أم انه يتعثر بسيوف  
الثوار.

الخندق يؤخر الهزيمة، إنما لا يقيهم غضب السلاح، لا، ولا ينصرهم.  
الخندق يزيد في أيمان الثائرين، ويطمئن قلوبهم، ويدفعهم نحو الشهادة، إنما ما نفع النصر إذا  
ما انتهوا جميعاً شهداء؟

نحن عشاق شهادة، أجل، ولكننا نحن عشاق حياة أولاً، وفي البدء، نحن عشاق تحرير.  
ونحن عشاق الحرية، نعم، ولكن لماذا الحرية إن لم تأتنا بالأمّة.  
الخندق يكتبنا على الدهر أعزاء، إنما من يطهر التراب العربي، ومن يحرر البلاد، ومن  
يحكم بالعدل؟

وأيت الثائر، وبحت له بكنانة نفسي، أنني لمست الحرية في بلادي، وقد ثرت أبيعاً عربياً.  
وقومي لم يعلموا بثورتي، فمرني بما شئت، فقد رخصت الروح لقاء الوطن.

فقال: «إنما أنت رجل فينا، واحد» وكلنا رجل في أمة.  
كان يمتلك فكرة الحصن التالي للخنديق، ولكن كان يفتقر إلى رجل ينهض بها، وكنت أنا الرجل.

### من دخل الحرب بفكرة واحدة يتيممة بسقط ولا قيامة له!

حفر الخندق، وصلى صلاة الخوف، ومع هذا ما زالت الأحزاب تفوقنا عدة وعددا، فكانت الفكرة الثالثة.

أشرق وجهه وقال «فخذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة»  
وكان الحصن الثالث، غزوة الخندق كانت خدعة.  
أتيت بني قريظة وقلت لهم:  
«قد عرفتم ودي إياكم،  
قالوا: صدقت.

قلت: أن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم، والبلد بلدكم، فيه أموالكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا للحرب "محمد" وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة<sup>11</sup> أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلفوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم، يكونون بأيديكم ثقة على أن تقاتلوا معهم حتى تتجاوزوه» فقالوا: لقد أشرت بالرأي.

خرجت من عندهم إلى قريش، دخلت على "أبي سفيان" قائلاً:  
«إنه قد بلغني أمر رأيت علي أن أبلغكموه، نصحاً لكم، فأكتبتموه عني»  
فقال: كتمانك.

قلت: «تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين "محمد"، وقد أرسلوا إليه إننا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجلاً من أشرفهم، فنعطيكهم، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟»  
«فأرسل لهم: أن نعم،

فان بعثت إليكم يهوداً يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً»  
وخرجت حتى أتيت غطفان، وقلت لهم قول لي لقريش.  
انطلت الخدعة.

ولماذا لا تتطلي، فاليهود خيانة، وقد مرضوا عليها، ولا يُعرفون إلا بها.  
أكمل الثائر الخدعة فافتتح الحرب يوم السبت.

في مساء ذلك اليوم، تبرجت الأرض، وانشقت البروج، وانتظمت في السماء نجوم تقول:  
اليوم أتممت عليك نعمتي، ورضيت لك الثورة مأرباً.

سعد بن معاذ:

«فإني أحكم فيهم: أن تقتل الرجال  
وتقسم الأموال،

وتسبي الذراري والنساء»

مثلما تغير الثورة وجه التاريخ، هكذا هو الثائر يغير وجه الأسماء، ويبدل مجرى الانتماء.

ومثلما تبدل الشمس ألوان الأيام، هكذا هي الثورة تبدل الأشكال، وتبدل الروح.

الثورة، إن أنت على جماد تحرك، وإن وقعت على رمس قام ومشى.

لا مكان للعيش في عالم الأحياء! ولا زمن للأطلال في كون البقاء.

من أراد أن يحيا في الغد عليه أن يهمل الماضي، الماضي تراب نحيا فيه، إنما لا يرتقي بنا

ومعنا في سباق التطور.

<sup>11</sup> نهزة: فرصة

تغور الجذور في أعماق التراب وتشهق، وبقدر ما تغور، بقدر ما تشهق شجرة الحضارة، وتتغصن وتورق.

الحضارة حركة تطور في سلم الارتقاء.

الثورة حب، فإما تحدث في لحظة، وإما لاتحدث أبداً.

الثورة فنية سريعة، لا محطة انتظار تقف عندها، ولا ليل لتستريح.

الثورة احترام، ليست عاطفة ولا رحمة، ومن أراد الحياة فليلحق بركب الثوار الأحرار.

الجدير بالحياة فليحيا. وإلا من ابتلى بمرض التاريخ، فالموت له ستار وحجاب.

أفضل الأشجار تلك التي تخضع لإرادة مقص التشذيب والتهديب.

بنو قريظة كما الأحزاب، أغصان يابسة على شجرة يانعة خضراء، فأما تبتتر الأغصان

اليابسة، وأما تبقى وتموت الشجرة. بنو قريظة عصي في عجلة، أو كأنهم نفوس ماض سحيق عند

صباح الحياة، فإما أن تقنى الحياة، وإما أن يفنى بنو قريظة وأمثالهم. والحياة جوهر خالد لا يفنى،

إذا، لا بد أن يفنى بنو قريظة المنتظرون عند محطة الزمن كجثث تنتظر من يدفنها.

عبث حاول النائر جمع العظام وكسوها لحماً.

وعبثاً، يحاول إعطاء عقول الأمس دماء جديدة فنية. عقول الأمس كالثوب العتيق الرث يزيد

الخيوط الجديد تقفقا وتمزقا.

أفكار الماضي إذا لم تلمس شمس الفجر، وتدغدغ نسيم الصباح، بالية هشة. ما أن تلمسها

شمس الصباح حتى تبوخ، وما أن يدغدغها نسيم الصباح حتى تتبخر وتتلأشى.

أفكار الآباء والأجداد طل، ما أن تسطع شمس الحق حتى تتبدد وتقنى.

حاول جاهداً أن يشفي نفوسهم من مرض العمالة، وحاول يقيناً أن يبتتر الأعضاء الفاسدة

السوداء، إنما المرض أكبر من البلسم، والفاسد أقسى من المبضع.

وهكذا الأحزاب مثل بني قريظة، عقول نتنة قديمة، يجرها رجال الدين، ويقودها رجال روما

إلى المذبح وهي راضية مطمئنة. العقول السقيمة سقم في قمقم الأمس مرصودة مسحورة، تدهشها

القبعة، ويعجبها القفاز. وقد حاول الزعيم جاهداً صنع معجزة ببث الحياة فيهم، إنما ... إنما لا حياة

لمن تنادي، وفشل أمام معجزة "سعد بن معاذ"، معجزة بن معاذ كانت فالجاً لا تعالج. وكان الحكم

كالشمس.

وحكم "سعد" بالحكمة: «فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال وتسبي الذراري

والنساء»

والحكم العادل مقدس حتى ولو كان من الناس.

والحكم العادل شريف، شمس، وسواء رضيت الذبيحة أم غضبت؟ أذعنت أم رفضت.

الحكم العادل منزل سواء نصّف التاريخ وتكلم، أو لم ينصف وصمت.

وقد نطق "سعد"، وسواء نطق، أو نُطق.

وقد نطق "سعد"، وسواء كان نطقه من روح سعد نفسه، أو كان وحياً يوحى أو كان إشارة

من النائر.

فقد نطق سعد، ونحن لحكمة سعد مذعنون.

فقد تكلم سعد بوحى أمة، تبتتي لها عرشاً تحت الشمس.

فقد حكم بإرادة وطن، وإرادة الوطن فوق كل إرادة، لا تغير ولا ترد.

فقد أمر سعد، وقال: "ابتروا اليهود، وكل من نبت من يهود".

هذا...

ولا تحسبن أن سعداً ندم، إنما الأفعى تعض ذنبها.

إن النجاسة لا تحيا في دنيا الطهارة.

عبد الله بن أنيس:

«قتل سلام بن أبي الحقيق.

يعيبوننا، أننا دخلنا في الليل

يعيبون علينا القتل...»

يعيبون؟ فنحن لم نكتب تاريخنا في وضح النهار. لقد كتبه "ابن هشام"؟  
ابن هشام يهودي في ثوب "عثمان".  
يعيبون أننا دخلنا خلصة، ثوبنا الظلام، ولثامنا الخدعة. ست رجال، قتلوا رجلاً واحداً نائماً في فراشه، أعزل؟

يعيروننا بصمتنا. بصمت دخلنا... سهل أن نتكلموا، فاصمتوا إن استطعتم.  
مقتل "سلام" ليس عيباً نعاب به، ولا طعنة في الظهر، إنها حرب هجومية، إنها غزوة كرامة، أنها حرب في قلب العدو، بالحيلة تدخل حصونه، تخترق دفاعاته، تغفل حراسه، وتقتل سيده.

مقتل "ابن الحقيق" ليس جريمة في عمق الليل، إنما معركة طاحنة في وضح النهار، انظر ترى السيوف تترك حين يقع عليها النور. أسترقت السمع، فالحناجر تصطخب.  
إذا كانت «إنما الحرب خدعة» حصناً من حصون الثورة، فإن قتل سيد في عقر داره حصن آخر من حصونهم.  
إذا كانت قلوب الذين يدخلون الحرب من صوان، فإن قلوب الذين يدخلون حصون العدو من جبال.

من دخل حصناً، وقتل سيده فقد اختصر حرباً، وحقق دمياً، وكسب نصراً.  
و"ابن الحقيق" طود في جيش، وخذل الجيش بإزالة الطود. وخير من اختزل الجيش وقهره في الزمن الرديء. اللبنانيون في حرب الردة.  
لم نتعلم الدخول إلى حصن الأعداء، إنه طبعنا في الصراع. توارثناه أبا عن جد. انظر وتيقن كيف "لدليله" أن تدخل الهيكل، وجرت شمشون من قرنه، وجزت شعره من قرنه، وهدمت الهيكل، وهدت الجيش.

حين يصمت الثوار في الليل، يفتح الإعلام أشداه. ولا تقفل الأشداق إلا حين يغيب القمر.

صادفنا بدخولنا قادة، فعفونا.

والتقينا نساءً، فعفنا.

وسبعنا أطفالاً، فعطفنا.

ألم يحذرنا التأثير؟

الأفعى تسبى من جحرها، والضبع يؤسر من وكره.

اختلفنا عليه سيوف ست، ليس كيداً، تأكيداً. وهل لنا الزمن بطوله؟

سقط رأس الشر، وربحنا الحرب. وهبّ إعصار الثوار، وزعزعت الحصون ثدك حصناً

حصناً، لقد زعزعت بأيديهم، وأيدي التأثيرين.

سقط الشر، وبدأ جيش الوهم زحفه، الوهم هو الفرقة السابعة من جيش الأمة، وأصبحت

ترى الفارس منهم، وهو في حضن زوجه، يرتعد خوفاً، فيرمي سلاحه ويفر هائماً غير مبال.

وطارد الوهم قلوبهم. لم نطاردهم، طاردهم الخناس. وهبت البيداء تزود لكرامتها، وتثار.

بعضهم كُتب له حظ، غلب الصحراء ووصل حصون روما ليكون طعماً لنقمة القيصر.

أما الذين كانوا أوفر حظاً فقد وصلوا "خير". سكنت قلوبهم فقبعوا ينتظرون الغضب القادم.

هل يطول الانتظار؟ حصن منيع لا ينصرون.

حم لا ينصرون.

عمرو بن العاص:

قال خالد: الثورة، الثورة «لقد استقام المنسم، وان الرجل لنبي»

خرجت من الخندق وغشاوة فوق عيوني، خرجت، والأهواء ما فتئت تتقاذفني وتضللني.

كنت مضللاً، وضللت غيري ممن تبعنا نحن الأحزاب، كنت أحسب نفسي أملك بلاغة "علي".

وخرجت من "الخندق" ألحق بجيش النجاشي، ولحق بي الضالون.

الضال أعمى لا يميز الألوان، ولا يصنف الأقوال، لا، ولا يلتمس الحقيقة.

الضال جاهل دون رأي، ولا رأي له يطاع. مره: اتبعني، يتبعك، ويمشي دون أن يسأل، خبط

براقش من مستنقع لمستنقع يدب.

دخلت على "النجاشي" في بلاطه، فاستقبلني والضاكين استقبال الأصدقاء، فطمعت.  
ثم، ونحن في بلاد الحبشة والرواد تأتي وتذهب، إذ بنائر يدخل على النجاشي. يتحدثان برهة  
وينصرف؟

بحث للضالين إنني طامع بهذا الثائر، سأطلب دمه من النجاشي.  
وطالبت، فإذا بالنجاشي يغضب ويصفعني على وجهي، فسقط الغشاء عن عيني، واهتديت.  
كنت ضالاً، فلم أقرأ أن النجاشي شريفاً لا يغدر برواد القصر، فليس من شيم المسيحيين  
الغدر.

كنت أعمى، فلم أميز أن بين النجاشي والثائر ود ومعاودة.  
كنت جاهلاً، فلم أنتب أن النجاشي، كما الثائر، يسعى إلى إقامة أمة عربية لا تغيب عنها  
السطوع.

اليوم، ومع كف النجاشي أدركت، وكشفت لي السماء، واختصرت المسافات، وقفلت عائداً إلى  
المدينة، لأضع قدري بين يديه، وقدراتي بتصرفه.  
لا نعرف قيمة الأبوة حتى نصبح آباء ذوي أبناء. ولا ندرك معنى الوطن حتى نتيه غرباء، أما  
الثائر، فكيف عرف، وكيف أدرك يافعاً، فهذا إعجاز!  
تتنازعني قوتان: الخلاء والخواء، كنت خالياً حتى الجهل، وكنت خاوياً حتى الألم.  
وكنت أجد ساعياً،

وكان يحتكر الكلمة والخبز.  
كانت الأرض تطوى لحصاني طياً، والزمان يختزل اختزالاً، ومع ذلك، كنت أخشى أن لا  
أدركه.

في دربي، صادفت "أبا سليمان خالد". وقبل أن أسأله، وقبل أن يقول، قالت عيناه: لقد نادنتني  
عشيقتي "اليرموك".  
لم أفه ما اليرموك، ومع ذلك فقد حسدته، وتمنيت أن يكون لقلبي عشيقة، فالعشق دين  
الوطن، والعشيق عرائس الأحرار.  
لم أسبقه إلى التحية، ولم يسبقني، سبقتنا تحية النبوة. وشعرت بالاطمئنان، فأنا ظهره وهو  
ظهري.

وتكاتفنا، وتكاتف خيلنا تجد سعيها إليه.  
وأعنته على مشقة الدرب وأعانني. لقد حملته همة، وحملني همة، فبادرته سائلاً: «أين  
وجهتك يا "أبا سليمان"؟»

قال: الثورة، والثورة «لقد استقام المنسم، وإن الرجل لنبي، أذهب فأسلم، فحتى متى؟»  
وثرث له، وثار لي. شهد علي، وشهدت عليه.  
وتقدم من النبي فنار وبايع، ثم دنوت ثائراً مبايعاً. حتى متى؟  
أوجست خلاءه وأحسست خواءه مثلما وجس وحس. حتى متى؟  
فالوطن لا يصير غربة، مثلما الدماء لا تصير ماء. حتى متى؟  
وهبت أجنحة الخيل العشرين تحمل بشرى الحرية.

سهيل بن عمرو:

«لا أعرف الرحمن الرحيم، ولكن أكتب باسمك اللهم»  
كسبت معاهدة صلح وخسرها، لكنه كسب حرباً وخسرت.  
وضعت قريش آمالها في سهيل قالت: احذر يا "ابن عمرو". انه يجيد الحوار كإجادته ذي  
الفقار.

يجيد الحوار... وحاورته حتى أنهكته. كان يقول وكنت اعترض، ويذعن لاعتراضي فوق  
تململ كل ثائر.

كان ينظر إليّ ويقول: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل»، فأكبر في عين نفسي كبر الطاووس حين يفرد جناحيه. وخرت رؤوسهم من فرط الخشوع، وأشرأبت أعناقهم، أن الأعناق أبداً مشرئبة.

أوصى الثوار: إن جنحوا للسلام فاجنحوا، وعاهدوهم بما يرغبون، رغباتهم حبر وورق، ورغباتكم تراب وماء.

إن تكلموا اصغوا، وإن املوا اكتبوا، كلامهم يدينهم، وحروفهم تشهد عليهم. أشارت البنان: لقد كانت كفه كفاً يهودية. رفع يده كانت بيضاء، ورفعناها فكانت سوداء، والدخان ما زال يتصاعد منها.

الصلح، وما الصلح، ألا يكفينا أننا رفعنا أسوار حصوننا في صدورهم. الصلح حرب، كما الحرب صلح، من يقدر على الضرب والطعن، يقدر على الحوار والمجادلة، ومن لا يقدر على السلاح، لا يقدر على اللسان. الحرب كر وفر، وما الصلح إلا كذلك.

كان أبداً يدعونا للصلح وكنا نرفض، وحين طلبناه وافق، فإلى أين يقود بنا عباب اليم.

أملى الثائر واعترضت أنا، وكتب "علي"، فاقراً أنت.

قال الثائر: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»

قلت معترضا: «لا أعرف هذا الرحمن الرحيم. ولكن اكتب باسمك اللهم»

قال الثائر: «اكتب باسمك اللهم»

ويحذرنى قومي: احذره يا "سهيل"؟!!

ثم قال: «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو...!»

واعترضت: «لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن أكتب اسمك، واسم أبيك»

قال الثائر: «أكتب هذا ما صالح عليه "محمد بن عبد الله" "سهيل بن عمرو"»

وانصرفنا إلى مكة لسنة منتصرين نجر أفراس الخيبة. وانصرف عنها لسنة تسابقه أقواس النصر.

يوم وقعت قريش الصلح، واستشهدت عليه وقعت هزيمتها وهي لا تدري. يوم وقعنا معاهدة الصلح، خرجنا منها سود كاظمين.

سنة ونحن نبكي خروجنا، وسنة وهم يعدون ويتهيئون لليوم العظيم ويحشدون.

سنة، وما السنة؟ فكل أت عاجل قريب.

وخرجنا في غسق الليل زرافات ووحدانا. ودخلوا يتقدمهم الصوت، وتستقبلهم الزغاريد.

وأشرق الشمس مع فرحهم.

وخرجنا لأيام ثلاث؟ لا، خرجنا إلى الأبد. ولم نرجع إليها، ومن رجع فقد رجع تحت رايته.

ودخل لأيام ثلاث؟ لا، فقد دخل إلى الأبد، ولم يخرج منها إلا إلى حرب الروم.

أم كلثوم بنت عقبة:

«فان علمتموهن مؤمنات، فلا ترجعهن إلى الكفار»

المرأة أكثر إدراكاً من الرجل.

وأكثر ثورية، المرأة هي الثورة.

العبودية... ما العبودية؟ إلى الحرية.

هل مثل من يدخل في العبودية، كمثل من يدخل في الحرية؟ محال!

أبناء الحرية ينتمون إلى الغد، أما أبناء العبودية ففي غيهم يعمهون، في الماضي يعبرون،

ليعبروا لا أسف عليهم؟

عبودية... عبيد... لا يوجد عبودية، يوجد عبيد.

أنت عبد، إرادتك.

ما أكثر العبودية، وما أكثر عبيدها!

العبيد اثنان: عبد مال، وعبد علم. وعبد المال يرجع في التاريخ إلى حنون، رئيس حزب

التجار، وأما عبد العلم فإلى الوطن ينتمي، ربه الانتماء، وسيده العطاء.

كانت المرأة عبدة الرجل، والرجل عبد روما. ولا يتحرر الرجل إلا إذا تكلمت المرأة أمام الحاكم، وليس أمام المرأة. روما مملكة العبيد تحت لواء الحرية، من أراد الحرية، فليتبّع صراط الثائرين. كانت مكة مطيّة الرجل، وكانت فيها المرأة هي المطيّة، متاع الرجل، يشتريها بالربح ويبيعها بالخسارة.

المرأة نضارة، إذاً هي ذات ثمن، وكلما ذبلت نضارتها، كلما خسرت من قيمتها. المرأة وهج، وكلما خمد، كلما كرهها الرجل. وكان الثائر، وكان يشتري ذبولها بالسؤال، وكرهها بالذهب، وكان يدفع في صدّاقها كلمة في إطار من فضة. العربية كرامة، بقدر ما أتيتم من جور، أنقلوا كاهلها، فإنها من تحت الأثقال سترقى، من تحت الرماد سيخفق جناحها، وستسمو. العربية حرية، بقدر ما استطعتم، أكدنوا عنقها بنير العبودية، فإنها للنير كبريت، من قلب الظلم سيظهر نابها بسمه، وستشرق شمسها. العربية ثورة.

في وضح النهار، وفي غسق الليل. كانت وما فتئت تغوي سجانها، فيسقط صريعاً. ثم تعمد إلى الحديد فيلين عجياً، وتخرج متحدية التقاليد، مصارعة العادات، مسترخصة العبادات. من وقف بوجه جحافلها معترضاً، داسته حوافر خيلها، ووطائه مناسم جمالها. أبي، أخي، ابني... ما هذه؟ أسماء واهية، لقد فرضته علينا روما عبودية، عشيقى أنا اختاره، وقد اختارت الخنساء الثورة.

يرفضها الناس ذبولاً... الأقل نضارة أوفر حظاً. يرفض العجائز الثوار، فهل يرفضون السنين، هل يرفضون النصر؟ لقد اتخذها الثائر رفيقة، وأختاً، وزوجة... عريضة مكرمة. ليس عاطفة، إنما عقلٌ واحترامٌ. ليس صدقة، إنما تأييدٌ ورفدٌ للثورة.

الثورة لا تقوى بالعدد، بالإنسان، بالمرأة تقوى. المرأة نخلة، ومن له نخلة أكل واستظل. المرأة صراط، من مشى عليه وصل. وخفت إلى الثوار أرقل بثوب الحرية، وتبغني أخواي يطلباني بعهد "سهيل بن عمرو"، فلم يفعل، ووارب العهد، لقد أبت الثورة، وأبى شرفها. وذكره بشروط العهد فقال: يلزمني العهد بالرجل وليس بالمرأة، أنذكرون بعهد أنا أملتة؟ إذا سقط الرجل فالمرأة ناهضة، تعوض، وأما إذا سقطت المرأة، سقطت الأمة، وبارت الحقول. ونجت "أم كلثوم"، ونجا أخوها.

## الاسود الراعي:

«فإنها سترجع إلي ربها...» اسبحي يا سخية، فأنى انتهيت انتهى نورك للثائرين. امضي يا مباركة، فكيفما اتجهت فمأوك للمؤمنين. كيفما دارت الشمس، فالشجر يحمل الظلال، وكيفما انقلب الغيوم، فالتراب يجذب الزلال. حيث الخضرة تمضي الغريزة، لا بل حيث الراعي تمضي الاغنام، وحيث صاحبها ربضت وولدت.

ارحل أيها الإنسان في بواطن الأرض، فمهما ابتعدت تبقى في أرض الوطن، ومهما يمت شطر الغرب فان وجهتك تبقى الشرق. أينما وطأ الراعي سمعت ترانيم النواقيس. إن مشى مشى، وإن حلّ حلّ، وإن تكلم اصغت. كنت راعياً، وكنت أرى غنم المشركين، وطمعت أن أسلم والغنم تسليم اليد باليد.



فقال: أنت أخي، ابن أُمي وأبي، على صراط الوطن نخطو، أما الغنم فلها صاحب.  
قلت: أصبحت أكره رفقتها.

قال: اضربها على وجهها «فإنها ترجع إلى ربها...» وضربتها، فاختصرت الدرب إلى حصن خبير. ثم ولجت باباً واحداً، فوصلت حظيرة ربها.  
كنت أطمع في الثورة لأصبح رباً للغنم، سيداً بين عشيرتي. وطمع هو في صحبتي، وأصبحت أطمع لغايته، اطمح لوطن. ألا تكفيني كرامتي؟  
لو وافقت النهاية البداية، لأثمرت نيتي، وكسبت أغناماً كثيرة، لم تتوافق وكسبت نفسي، لو وافقت كنت بقيت راع، لكنه رفضها فأصبحت أختاً.  
أن أكون راعي غنم المشركين أو راعي غنم الثائرين سيان، فما الفرق؟ الآن أصبحت ثائراً، واصبح لي راع اتبعه، وهذا هو الفوز العظيم.

الغنم له، الآن أو غداً، فهو صاحبها، فلو أخذها ما كان ليكسب شيئاً.  
هكذا كسب أكثر، لقد أرشدني إلى فجر الحرية.  
انه هو النبي الثائر حقاً، حقاً... ولو كان ملكاً لطمع، فلماذا يضربها على وجهها؟  
الملوك تنفخ في مزامير، فتتبعهم الأنعام، أما الثائر فينادي فتأتيه النفوس أفواجا، وتواكبه الأرواح صوتاً إلى صوت، وكلمة إلى كلمة.  
غداً، وبعد أن نكون قد حررنا الحيوان والحجر، الغنم تعرف راعيها، فأني اتجه لحقت بحنان الشبابة.

وكان غد، وحررني من نواياي حجر، لقد استشهدت عند أسوار خبير.  
الآن، أنام مطمئناً، فالغنم في يد أمينة.  
ما زال في قلبي راعي غنم.

### الفاروق العادل:

#### «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان»

الملامة حكم قاس، وهي اعتزازي. إنما هي أقل قسوة من الإدانة، الإدانة أكبر اعتزازاً... ألا ليتهم أدانوني!  
أن تلام، فأنت النزيه، هي شهادتك، وما دونك ملام.  
الأصابع تشير نحوك؟ ابتسم، فأنت قد فعلت فعلاً، ولا تشير الأصابع إلى القابع الخامل، الخائف من لوم لائم.  
المكروه نقومه باليد ولا نسوفه للسان، أو نؤجله إلى القلب، ليس لدينا قدرة الانتظار حتى الغد.

المكروه الذي أوجعني وجدته حزباً إلى جانب حزبنا في الصحراء ينمو وينتشر، غضبت!  
وكيف أرضى يهوداً إلى جانبنا؟ ثرت وطردهم من جزيرة العرب باتجاه الغرب. لم أكل بهم، ولم أسلب قبل طردهم. طردهم فقط، الثائر نكل من قبل، وتلوموني؟  
لاموني قائلين: أنت أول من ابتدع بعد الثائر. لقد طردت اليهود من بلاد العرب... فيا عزتي، فيا ملامتي!

وتزداد ملامتهم: ألا يكفيك سبيهم غرباً، بعد أن سباهم "نبوخذ نصر" شرقاً، حتى تبعهم إلى "فلسطين" "القدس"، ودخلتها مبشراً بالمحبة ومنكلاً. ألا كان بإمكانك أن تدخلها بالحرف؟ لماذا ضيقت الخناق؟

وأقول يا فخري، ويا شرفي! ولو قدرت لطهرت الأرض من آثامهم، لو طهرتها لحقنت الدماء أبداً!

لقد قال الثائر، ومنه تعلمت: «لا يجتمعن في جزيرة العرب دينان»، هذا ابتداعي؟ قولوني... ألا ليت كنت؟

لقد غضب عليّ الثائر وعليه تتلمذت: كنت أقرأ ورقة من التوراة، رأيي وغضب حتى برز الغضب من قسماط وجهه، أخذها ومزقها وسألني مؤنباً: ألم آتيكم بها بيضاء؟ هذا ابتداع؟ ألا ليت كان كذلك؟

تنزلَ ومنه لقنت، وتيقنت: «ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود... أنا مبتدع؟ ألا لعلَّ وهيات! أنا لست بقادر على مخالفة قضاء الثائر، فكيف أجسر على قدر السماء؟  
«أنها كف يهودية» وهل من الكفر وألوث كفي؟ لم أصافحهم، سببتهم، نفيتهم.  
وهذا المجد الذي ابتدعت، به افتخر، ولا يعرف طعم المجد إلا متذوقه، تذوقوه ثم أشيروا بالبنان.

طعم السبي، كطعم الشهادة، ألا ليت وعسى أحيا مع كل فجر لأتذوق أبداً المجد!  
عربي ثائر واحد لم يلم، لقد لامني أعداء العرب، الرومان العميان، والعميان من الأعراب. هؤلاء هم الذين أطلق عليهم الثائر الأميين الجهلة، ليس عليهم حرج.  
عربي حر لم يعتب، عتب الملوك العرب والأمراء والحكام، وهؤلاء قد منحتهم السماء شهادة جدارة بالنفاق.

لم تولد حراً؟ ليس ذنبك، تريدها؟ اطرده اليهود من بلادك، تنتزعها...  
لم تولد حراً؟ ليس إثمك، تريدها؟ اعشق وطنك، آمن بوحدانيته، وابتدع مجدك، تنتزعها...  
سببتهم؟ أجل...  
الآن، أنا ولدت.

### جعفر بن أبي طالب:

«ما أدري بأيهما أسر: بفتح "خير"، أم بقدوم "جعفر"»  
شهد مؤتة أميراً، وأمير بلاد الحبشة سفير الثورة إلى الأمم، يغير وجهها بالكلام الطيب.  
استشهدت في "مؤتة" "الشام" أحارب روما موتوراً ثائراً، وانتزعت الحرية لبلادي.  
وشهدت الهجرة أراقب الثورة من بعيد... سلوا رقية.  
كانت أرض الثوار ضيقة لا تصلح لمراوغة الفرسان، فرأى الثائر أن نصارع على جبهتين، وكنت أنا عين الجبهة الخارجية، نمد الجبهة الداخلية بالمال، ونرفدها بالإعلام.  
الجبهة الداخلية حامية، نار لازلية، حارقة، والجبهة الخارجية باردة، زمهرير قارص، لاسع.  
ألبت الأمم على روما، هذا مدار عملي وصراعي، أصدقاء روما أعداؤها، أصدقاؤنا؟  
ألبت الأمم... لا تذهبوا بعيداً، فهي لم تعد تحتل وجع النير، وألم الناب. فقد كانت ضعيفة، مغلوبة على أمرها.  
ألبت الأمم... أجل، ولو لم تصنع الجبهة الداخلية انتصارات لما قدرت على شيء. قوة الثائر كانت تحسس الأمم بقوتها، وانتصاراته كانت تبث فيها الثقة.  
لقد اشتاق الوطن إلى أهله، فعدينا: رجالاً، نساءً وأطفالاً. لم يبق في الغربية نسمة، حتى النسيمات التي فطرت في الريح أنت تأخذ نصيبها من الحرية، أتيت وأنت الحياة.  
عدنا يحملنا الشوق ونحمله، فالنار لها جاذبية وسحر. ومن يدري ربما غمنا سيوفنا، ربما أدركنا الطعام.

وعدنا تحملنا سفينتان. وذلك، اختصاراً في الزمان والمكان.  
في الغربية لا نمتشق سيفاً، نمتشق حلاًماً، لا نطعن عدواً نطعن شبحاً. وحرب الأشباح أشد شراسة وأخطر، وأكثر عرقاً.  
الغربية صعبة مرة. فيها تلتقي عدوك، فإذا لم يوافقك قدرك، عليك أن تتحني، لقد أجبرك رفيع شرفك، وتتحني احتراماً.  
مراراً التقينا...  
مرارة حصدا...  
وتعانقنا حيناً، ناراً وبرداً، قبلني في جبيني وبثني واعماه: «ما أدري بأيهما أسر: بفتح

"خير"، أم بقدوم "جعفر"»  
قبل التراب، قبل جبيني، كأني لا أقدر على الانحناء، وارتد عبق التراب على الجبين، فنبت، ونما، وأثمر.  
التراب سخاء، فكما أن التراب يهب مجاناً دون حساب، هكذا جبين الشهداء.

إذا كانت الناس تتساوى أمام التراب، فإنها أمام الجبين حرة.  
خيبر فُتِح، ورجع المهاجرون أيضاً، إنما هو النائر صانع الفتح، وصانع السرور، فهل تنتهي الفتوحات؟

أن ابتهجت، ابتهجت وحدك، وإن ابتهج الوطن، ابتهج الجميع: التراب والماء، النار والهواء.  
إن مت فُقدَ الوطن، وإن مات الوطن، فمن يَفْقَد؟! ومن يُفَقِّد؟  
واتحدنا ناراً وبرداً، نحرر التراب ونتحرر.

### رقية بنت النائر:

#### «المهاجرات من الحبشة»

لم تصطفِ السماء النساء عبثاً، ومع أنهن أصفياء الرجال، فقد تراجعن خطوة، وتقدموا خطوة.  
لم يتميّز الرجل عن المرأة بشيء، فالحرب اصغر من أن تخوضها المرأة. وروما أضعف من أن نحاربها معاً امرأة ورجل.  
المرأة لساعة الملمات، وساعتها لم تحن بعد، غداً تهل اليرموك، وغداً تتأزر، المرأة و"خالد".

النائر لم يبعدنا إلى الحبشة تحسباً من غدرات روما، هذا وروما أكثر شراسة ووحشية في الغربية لو كنتم تعلمون، بل هاجرنا لنسهر على الجبهة الخارجية. لقد خرجنا بحسب موقعنا في مجلس الثورة. قال: الذين إلى يميني إلى الحرب الباردة، والذين إلى يساري، يبقون للحرب الحامية... وما الفرق؟ فالحرب هي الحرب، وروما هي روما، ونحن الناثرون أننا نحن الناثرون. الحبشة ليست أقل نضالاً، ولا حربها أسهل ولا أيسر من حرب المدينة، الحبشة كما دمشق، وكما المدينة... الكل سواسية أمام مذبح الحرية.  
لا تعرف المرأة النائرة...؟ تعالى أخبرك ما تجهله.

لم أوهب موهبة الحديث، ولم أعطَ فن الخطابة، وُهبّت وجداناً، ألا يكفي وجدان الثورة؟  
لم تشارك المرأة الرجل ثورته من أجل البلاد، ولم تساهم في النضال طمعاً في مالٍ أو في منصب، كلام ينضح التباساً، يكفي أنها محور الثورة، إنها الجنة التي ردّ عليها عظمائها الشهداء.  
المرأة قبضة السيف، فإذا عطبت القبضة تقاعد السيف يشذ الشرف، ويستعطي الكرامة.  
المرأة ملح المجتمع، فإذا فسد الملح نتن المجتمع، وانتشرت في سماء الأمة رائحة قاتلة، قاتلة.

المرأة سراج الوطن، فإذا انطفأ السراج وتبدد النور، خبطنا خبط عشواء.  
المرأة يا أخي ليست خصوراً ونهوداً، وأفواه ملصقة بأفواه، ولا هي راقصة بثوب أو دون ثوب... ليست شهوة في شفة من بلور ويوزعها القيصر في حفلات سمره، الرقص والشهوة نتاج روما، ونحن نرفض كل ما تنتجه روما، زيوان بلادي خير من القمح الصليبي.  
المرأة ليست قبلات حارة في ليل الأحلام.  
المرأة عنفوان، إن كنت رجلاً حقاً، واجهها!  
المرأة صباح،

والعملاء يزعمهم الصباح. العملاء روّضوا عنفوانها على امتداد ثمانمئة سنة من الذل والهوان والاستعمار، روّضوها من أجل إشباع نهم الحاكم الجنسي، وجوع القيصر والذي لم يقدر كسر شوكتها إلا في المنام.

المرأة بركان، والخونة أحمده.  
اليوم، أضرم النائر ناره، فاشتعل.  
عندما انتصر النائر في خيبر، سألتها الحجاب ليس صوناً للحمها، إنما رافة بالضعفاء من أبناء قومها، وارتضته ليس إدعائاً، إنما عفواً ومقدرةً.  
كان الحجاب لمحو الفروقات الطبقية بين الأمة والحررة.

عندما انتصر وانتهت له شبه الجزيرة خالصة، سألها الجلباب ليس خوفاً على جسدها من نار السماء، إنما خوفاً على المرضى الجهلة، وارتضته ليس كرهاً، إنما عزا وكرامة. الخيط ليس عصمة، ولو كان، كان علينا أن نعبد أوروبا صانعة الخيط، الخيط ليس عصمة، العين هي العصمة. وأحياناً العين تخطأ، القلب هو العصمة. العصمة في الروح.

**الخيط قيد من قيود العبودية، وغلّ من أغلالها.**

مثلما العبودية ليست نيراً، وظلاماً، وسجوناً، إنما هي وهمٌ في الصدور، تعشش وتبيض، هكذا الشرف. الخيط ليس شرفاً، النفس هي الشرف.

**الثورة في الهمة، والفداء في المرأة.**

جميع حكماء الزمان برمتها، لا تقدر أن تبعث رجلاً إلى الشهادة! المرأة كالثائر بإشارة ترسل أعداداً عديدة.

وتطورت روما، روما تقتل كل طفل ذكر ابن عشر، فأصبحت الآن تقتل المرأة أم الطفل. نهجها في الحياة، ولبئس ما انتهجت روما. ولبئس حضارة وبؤس.

سيدتي المتبرجة روما، اسمعي حين أحدثك.

المرأة ليست عاراً لتدفنيها في الرمال حية، وما دُفنت إلا لأنها آمنت، إنها كبش فداء الأمة والسكين الماضية، وقد ضحت نفسها بنفسها وقت كان الرجل تائهاً بين الخمر والمجون.

المرأة ليست ذلاً، وانتحرت خجلاً، وماتت لتخفي إثماً وعاراً؟ إنما هي شهيدة الوطن، استشهدت في زمن كان فيه الرجل يتخير بالأقداح والازلام ويخاطب الآلهة.

المرأة اليمينية، كالمرأة السورية هي، هي.

السورية عانقت الأمواج لتردع النهر، ولتدراً ويلاته عن سوريا. واليمينية ضاجعت الرمال لتمنع الصحراء، وتدفع غضبها عن شبه الجزيرة العربية.

المرأة لبؤة تراوح في المكان متربصة، ولما هبّ الثائر ثائراً، هبت ثائرة.

المرأة بزا، تعض على وجعها وتتحين الفرص.

المرأة فخر، وكوني أماً أفخر.

**امرأة من القدس:**

مثلما نفر الحياة من الخطر، هكذا يفر الباطل من أمام الحق، وينهزم الناقص لقاء الكامل.

لا ينتهي الزمن خجلاً، فالثورة قد قالت كلمتها، واللحظة التي ينتهي بها الزمن، هي، هي لحظة البدء.

أبو الحق أكثر عصبية. هل رأيت أماً يتلوى أبناً، هادئة، راكنة ساكنة؟

حين يسقط العدل، يرتفع الظالم ناشداً، حاقداً، أما حين يسقط الظالم، فيرثيه العدل.

سألوا الحرية: صارعت العبودية وصرعتها، وتبكين؟

أجابت: أو لم أجهد في صراعتها؟

إن كنت تقدر معالجة القدم وإيرائها، فلماذا تبتريها؟

تستطيع أن تحول الشوكة إلى زهرة، إذأ، لا تقتلها؟

الذئب لا يروض، يفسخ كلباً؟

الأعمى لا يعرف الألوان، لكنه يفهمها.

عندما يهبط الليل، يبدأ صباح الأحرار.

تحلم بالصباح، لا تحلم أنه قادم، قادم.

لا يوجد في السؤال جواب، يوجد في الجواب سؤال.

انفجر الزمن، خرج المخلص.

قال العبد: غداً يبدأ فجر الحرية.

قال الفجر: الغد لا يبدأ، اصنعه.

قال السيد: لا كان غد.

علة الداء والدواء، المال.

المترفون الاثرياء، اصحاب المال سبب كل علة.

\* وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون\*<sup>12</sup>.  
كل ألف عام تحبل الارض وتلد ثائراً. ولد في لبنان، وعرج بين "القدس" و "دمشق" ... ولو  
أسرعت، لأدركته.  
تقتضي الحكمة أن يكسر الاعرج عصاه على رأس القيصر.  
أندحر العملاء، إذاً، اندحرت روما.  
من امتلك روحاً، امتلك وعاءً من ذهب.  
الجسد شاطئ النفس.  
ليس للإنسان قرناً يربط به.  
لكل حر صليب.  
المحبة أساس البيت، والسيف سقفه.  
الثائر شمعة الكهف.  
قسم الحق، الحق.  
عندما يتكلم الوجدان، فسق الشهود.  
لا قيامة للمارد، فقد سقط.  
وفرت روما، وكان صباحها اندحاراً، وثبتت الثورة، وكان صباحها انتصاراً...

محمد النبي الثائر  
الفصل الرابع

ثائر من بغداد:

"كثيرون جاءوا متواضعين"  
وكثيرون وصلوا يعتذرون لهذا القليل الذي في جعبتهم، لذلك الكبير العظيم.

---

<sup>12</sup> ما بين نجمتين آية قرآنية

ومثلهم وصلت، إنما لست متواضعاً، ولا اعتذر. فقد بذلت قصارى جهدي.  
فالتأثر حق، كبير عظيم. والعظيم لا يلد إلا عظماء.  
تولوا صوب لبنان وانظروا دماء العصر.

ابن عباس:

"أن محمداً وأصحابه في عسرة وجهد وشدة"

الإشاعة قتل، أشد قتلاً من القتل.  
أن تقتل الآثم المخطئ تريحه، أما أن تقتل البريء، فتعذب وتعذبه.  
بدأ الانقلاب الثوري الأول بمناورة تدريبية تحت العيون المريضة، لقد وقف المشركون القريشيون يعضون الشفاه ندامة. وقفوا يساندهم اليهود الذين يأكلون الأصابع حسداً وحسرة. وما عضوا وما حسدوا إلا إذعانا لروما كارهين.  
بدأت المناورة، فتساءلوا: هل يتركون مشارفهم للثورة، أم يبقون فيها والثوار هم الرابحون؟  
بدأت المناورة بحجة العمرة، وهي في الحقيقة جس نبض روما، فما هي حجة العمرة؟  
وحجة العمرة كما حجة الوداع، وكما الحجة الكبرى والمكتوبة على جبين كل تائر حدث...  
السعي إلى عاصمة القرار، وصنع القرار.  
والحجة المناورة، أن تدخل بلاط أعداء الناس. وتخرج بإرادتهم، ثم تعيد الكرة بإرادتك وتنتصر.

كانت نية قريش إشاعة تثبط العزائم، وكانت بواطنها أن يرجع الثوار تحت شرارات العيون عن مكة عامهم هذا، ولا بأس أن يقبلوا عليها في العام المقبل.

وأذن الثائر، وأقبل قابلاً أمضى عزيمة، وأكثر قوة... وانقلب السحر على الساحر.  
وسخرت قريش في مجالسها، وهزأت في الساحات، وضحكت في الطرقات موسوسة، مخنسة في صدور الناس قائلة: غداً ترون، الذي حسبتموه بركناً سيهمد «أن محمداً وأصحابه في عسرة وجهد وشدة».

غداً ترونهم حول الحجر الأسود يفترشون رماله من شدة التعب والإعياء. غداً، تجرهم إليه عثراتهم، وتدفعهم زفراتهم.  
غداً، تشاهدون كيف الرمال تسابق الهواء إلى أفواه هالكة وسيختنقون، ولن يستطيعون حيالها شيئاً، فعيونهم ناعسة، وقلوبهم نائمة.  
وستتعمون بمنظر خلاب جميل، غطيط رفوف الذباب تطير فوق وجوه يائسة وزفرات بائسة تستنجد، فما من مجيب، وهي بين الذباب والغطيط قابضة مستسلمة خائفة.  
ويضحك القريشيون حتى ينقلبوا على ظهورهم. ولا يُستردون إلا مع صورة خيالية جديدة، لينقلبوا من جديد.

في اليوم الموعد، اصطفت عيون قريش الناس عند دار الندوة ليسخروا ويضحكوا منه ومن أصحابه الثائرين، ويلعبوا ويلهوا، وما من غاية لهم إلا إبعاد الناس عن الدين الجديد.  
رهانهم خاسر، خاسر كرهان القيصر يوم الهجرة. القيصر راهن على الصحراء، والناس راهنت على الأمل!

عندما حاذى الثائرون أبواب مكة عرف الناس بمحاذاتهم لها، فارتعبوا... لقد أبلغهم خبط أقدام متناهية في البعد. كانت تتقدم بانتظام، وتقرب قوة.  
ودخل الثائرون ساحات أم القرى، وتبلغ الناس دخولهم. لقد أكد للناس صدى أفواه تتماوج ما بين مكة ووديانها البعيدة وتغزو السماء: أمة واحدة، مكة عاصمة، أمة واحدة، مكة، مكة، مكة...  
وولج الثائرون حرم القداسة، الكعبة، فخرت الناس على وجوها غاشية.

ولجوا كريح صرصر. يشعر الناس بوجودهم إنما لا يرونهم. لم تر العيون الغاشية ولن ترى.

والناس سكارى. اقترب رجل واحد وانحنى قرابة الحجر وحمله ومضى يهرول به والثائرون من خلفه يسعون. وشخصت عيون السكارى فلا يروه، وكيف يرونه؟ فإن طوفان الرمال قد بدأ. ولمّا عاد للناس وعيهم رأوه، ها هو «دخل المسجد، اضطبع<sup>(1)</sup> برداءه، وأخرج عضده اليمنى، ثم قال: رحم الحق امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة، ثم استلم الركن وأخرج يهرول، ويهرول أصحابه معه في ثلاثة أطواف».

وغمر الأرض الطوفان، وكان قد غمرها في الزمان مرتين: مرة غمرها بالنار، ومرة غمرها بالماء.

أما هذا الطوفان فهو من تراب! وطاف ثلاثاً، ومع كل طواف كانت أمواج الرمال تعلوا وتدفن النفوس المريضة. في الطواف الأخير تبدلت الوجوه وتغيرت فقد بُعثت النفوس الحية، ودب في الأجساد اللون، فنشطت تجهد وتجتهد.

وبعثوا أحياء بعد أن كانوا أمواتاً.

وقاموا حركة.

وصرخوا كلمة واحدة

لنتنصر الثورة،

لتحيا بلادي.

لتحيا، لتحيا، لتحيا...

وغمر الطوفان الأرض

وكان الطوفان رمالاً.

### ثابت بن أكرم:

#### "ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار"

سقطت خيبر، وتطهرت الأمة، ولم يبق وكر لذئب ولا جحر لأفعى.

تطهرت الأمة وها هي تخرج في ثوبها الأبيض عروساً سمراء، تحف بها الأجنحة،

ويتقدمها الربيع، تبسم وتستقبل أبناءها الوافدين يباركون ويهنئون.

تطهرت الأمة.

وهذه النفوس الجبارة تغادر قمقمها لأول مرة منذ سقطت في زاماً. إنها تمشي الهوينى، عنفواناً صاخباً يطارد عثرات الموت القابع فوق الرؤوس هامات صامته ترصد كل حركة تبشر بفجر جديد.

وتسأل الجيش. الجيش إلى أين؟

إلى أين؟ إلى مؤتة.

وجاء الجواب أدركوا سقوطنا، نحن وراء جبال الألب، هناك حيث سقط حنا بعل، وحيث

امتزجت قرطاج بأجساد النساء.

أدركنا ... وسددت الخطى، واهتدت العيون.

سقطت خيبر، أجل! إنما هناك الكثير من الرجال الأحرار تبحث عن وسيلة تقربها من

الشهادة، وترفعها إلى مطاف الأسماء الحسنى أقماراً، نجومًا، وشموساً.

الجيش إلى مؤتة ... قال الثائر، وأتلجت الصدور.

في البدء، نقل القدس مرة واحدة إلى الحجاز.

في البدء نقل القدس. والآن ينقل مكة.

وتبارك المكيون، وتبارك العرب، وتبارك السوريون.

(1) اضطبع: أدخل الرداء تحت الإبط الايمن وغطى به الايسر.

وها هو يعيدها خطوة، خطوة، والخطوة الأولى قد بدأت في مؤتة.  
ودجج كل ثائر بقسم من ذي الفقار، وقسم من تراب وقال: انطلق غير جزع، فالتراب مصان.  
وانطلق الجيش بعد أن حصن الجنود بدروع من بشر... قادة ميامس، عيونهم قناديل،  
وسواعدهم مناديل.

وسيج القادة الميامس بقيادة أفذاذ ثلاثة.  
وزود القادة الثلاثة بحكمة خالدة اعترت الدهر. "الجيش بقيادة زيد بن حارثة، فان استشهد  
فبقيادة جعفر بن أبي طالب، فان استشهد فبقيادة عبد الله بن رواحة".  
وسعى الجيش إلى مؤتة يسابق الشهادة، ويسابق الحرية.  
أين مؤتة؟ لماذا مؤتة؟

مؤتة هي طريق القدس، تقع لناحية البلقاء من بر الشام، ظهر دمشق وصدر بغداد.  
مؤتة هي بوابة سور الحجاز، إن ترعزت دكّ السور وترعزع ما دونها، وسقطت البيداء،  
ولوث الربع الخالي.

مؤتة هي الصراط إلى الكرامة.  
في مؤتة احتشدت روما، وحشرت جيشها بقيادة هرقل، رأس الروم.  
وكانما روما وجبروتها، وهرقل وقوته السماوية لم يكفيا لملاقاة الجيش العربي الآتي من  
الصحراء ثاراً وكرامة، فراحت تجمع القبائل، وتلم الشعوب وتعدهم لليوم العظيم.

لقد ارتعبت روما من الشهداء القادمين من الشرق.  
لا تسلني عن عدد الجند الروماني، ولا تسلني عن الجيش العربي. لا أعرف، الذي أعرفه أن  
الجيش العربي قد هزم الأحزاب وحده، وأعرف أنه قاتل الجند وحده.  
وأستطيع إفادتكم أن كل عربي صارع في ذلك اليوم ثمانين من الجند، لهذا فمن المستحيل  
انتصار الثورة، إنما مستحيل ليّ زندها. وليس مستحيل على روما أن تركع.  
وإذا كان مستحيلاً أن تنتصر الثورة في ذلك اليوم، فلا يعني أن العقل العسكري العربي  
تعطل، بل أنه راوغ واقتحم، كر وفر... المهم لم يضعف، لم يخف... إنما، ولأنه عشق الأمة،  
استرخص الموت.

النصر مستحيل، لنحاول أخرى. لم ننتصر في ذلك اليوم، لكن استطاع الثائرون أن يمشوا  
بين الشفار ويعودوا إلى مكة، ليس فراراً، إنما حشداً ليوم اليرموك.  
وتحققت النبوءة.

استشهد القادة الأفذاذ الثلاثة، واستشهداهم أربع هرقل، فخر على جبهته يبكي، ويسأل  
الجيش العربي أن يعف عن نفسه، ويحقن له دمه... وخف بالرجوع إلى مكة.  
ولكن، ولكن من يقود الجيش؟ من يسدد خطاه؟ من يخرج من أفواه التتین الستة؟  
وإذ بصوت يأتي من السحر ويخاطب الجنود ويسأل: من هو الجندي الذي يقف ويقول: أنا  
القائد، اتبعوني؟!

ووقفت أنا في القوم صارخاً: «يا معشر الثوار اصطلحوا على رجل منكم»  
قالوا: «أنت لها يا ثابت بن أقرم»  
قلت: «ما أنا بفاعل»، فأنتم البواسل.  
واصطلح الأحرار على سيف الثورة، خالد بن الوليد.  
وردّ خالد الأمانة كاملة إلى صاحبها.  
عند مشارف مكة خرج إلينا الناس «يحثون على الجيش التراب ويقولون: يا فرار» يا  
فرار... ألحقت بنا العار.

يا فرار مزقنا بسيفك البتار ولا تلحق بنا العار.  
يا فرار دس أجسادنا بحوافر خيلك ولا تلوث الغار.  
ورددنا الشفار إلى صدورنا نريد الانتحار، لولا كلمة سبقت.  
كلمة واحدة علت جميع الكلام، وصوت واحد نسخ كل الأصوات.  
قال الثائر: هم الثوار، هم الثوار... «ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار»  
أن نقاتل ليس مستحيلاً، القتال لنا يسير.



أن نستشهد ليس مستحيلاً، فالشهادة لنا غار  
المستحيل أن نخرج من فم التتين أحياء...  
وخرجنا نستعد لليرموك.

أبو سفيان:

"من دخل دار أبي سفيان فهو آمن... ومن دخل المسجد فهو آمن"  
دخل أم القرى يريد صلحاً، وقصدته أريد صلحاً، وشتان ما بين صلح الفرد والمجتمع،  
صلحي لنفسي، وصلحه للنفس الكلية.  
سعيت متوسطاً بيننا ابنتي أم حبيبة، زوجه. كان يحترم زوجه كاحترامه الثورة، أليست  
امراً؟ وإذا استهتر بالثورة استهتر بأُم حبيبة.  
لم يساوم أبداً على المرأة، فكيف يساوم على الثورة؟  
لم يساوم، ولم تساوم على الثورة. لا بل كانت أكثر منه حرصاً.  
ابنتي، حبيبتي، وأنا علة وجودها، منعنتي الجلوس على فراش الثائر.  
فلذتي، وأنا سبب حياتها، حالت بيني وبين الفراش.  
لم يحذرها دخولي بيته، فالبيت مناصفة بينهما، وهي ربة البيت، الكلمة لها وعليه طاعتها.  
إنما الفراش، فراشه فهو فراش النبوة.  
إن ارادت قاضته بحضوره، أمامه ولو فعلت لهدمت الأركان، وزعزعت الأسس.

ابنتي واعرفها، ثائرة وهي ما فتئت برعم ندي.  
لم استعذب لا، إلا من شفثيها، ولم استلطف نعم، إلا من عقدة حاجبيها.  
هو لم يغمز. وهي لو ارادت لبوأنتي. إنما المرأة حرزها وحجابها زوجها.  
إن العلاقة الزوجية برأيه رأياً، وليس إذعناً، مسؤولية وليس وصاية.  
وما التقاليد؟ وما العادات؟ وما القوامون؟  
لا عادات ولا قوامون، فهي منه ملكة من مملكة، وهو منها ملك في مملكة.  
حزنت وأخذني العتاب مأخذاً، ولو لم أعاتب لفصل بيننا الموت.  
قلت: «يا بنية، ما أدري أرغبت عن هذا الفراش، أم رغبت به عني؟»  
قالت: بل هو فراش الثائر وأنت رجل مساوم ولم أحب أن تجلس عليه.  
قلت: واللات «لقد اصابك يا بنية بعدي شر»  
قالت: والله، والله... والثورة، والثورة... والحرية... والحرية، بلادي، إنها بلادي.

لم اجن من صلحي إلا الشيبية  
فقد كلمت الثائر «فلم يرد علي شيئاً»  
وسألت علياً؟ فقال: «ما أعلم لك شيئاً»  
العجب، وهل حقول الناس العدم؟  
صعقت، والتطمت صدري وناجيت.  
وتناهت مناجاتي إلى روحه فبعث يبلغنا الدخول عليه، وثرث.  
كلمه العباس أبا الفضل «إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً»

قال: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن» وكانت مكة ثلاث طوائف، كل طائفة بما لديها أمانة. لم يتطلع صوبها إنما صوب روما أخذه نظره، فشخصت به العيون. وحين مشى سبقتة القلوب. ووقفت خائراً، اختار حائراً، هل ادخل داري؟ أم اغلق بابي؟ أم ادخل دار ابنتي؟ ودخلت المسجد مع الداخلين. ودخلنا المسجد، دار الثورة ننظر في الغد، ونعمل بالسيف. دخلنا وماد زلزال الحرية، واتى على الأصنام فحطمها، وعلى الازلام فطمسها، وعلى الصور فاعدمها. ولولا كلمة سبقت لجا على الظلال الفناء، وغدت الأشياء أشكالا دون أبعاد. وإذ جاءت كلمة الفصل، رأيت الناس يدخلون المسجد أفواجا تدفعهم أفواج، وكان الفتح العظيم. وخرج هو يستقبلهم ويدخل في أحلامهم. ووسوست لي العظمة فوششت أبي الفضل قائلا: «يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً» فقال: بل إنها الثورة.

### عثمان بن طلحة:

#### «أذهبوا فأنتم الطلقاء»

لكل طوفانه، وطوفان الثائر، رمال.

طوفان على الأسماء فبدلها، إن عبد اللات قد أصبح عبد الله.

طوفان على الكنية فغيرها، فابن أمه أصبح ابن أبيه.

طوفان على الانتماء، فابن العشيرة أمسى ابن الوطن.

الناس آدم، وآدم من تراب.

الناس أبناء الحضارة، فمن ليس له حضارة، فهو ابن الجاهلية، في الأمية يغرق، في الجهل يغوص.

الناس أبناء العمل الصالح، من عمل صالحاً من ثمار دمشق أكل، ومن فرات دمشق شرب. ومن ليس له عمل صالح يكنى به، فهو ابن الضعة، أبوه الذل وأمه العار.

ليست أمانيتكم، ولا دعاؤكم يقربكم زلفى إلى الثورة. لا تقرب الثورة إلا من أبناء الهمم السامية، أصحاب الإرادة الحسنة، والوجدان الجميل.

وقد كان طوفاناً على الحرف، فاصبح كلمة، وكان ناراً على التوراة فطمرها مع الطمر، وتتاساها مع الطمي. وكان ثاراً لا مثيل له للإنجيل، وأظهره على الفكر كله، وأستوثق به.

وعلى سدة الكعبة، والسدنة هم هؤلاء الفريسيون أولاد الأفاعي، والذين حولوا البيت المكرم إلى أسواق للربا، ودكاكين للنخاسة، وأبواب للزنى. غضب وحطم الدكاكين أولاً، ثم طردهم إلى خارجها ثانياً، وثالثاً أضرم ناراً لا تنطفئ.

وكننت سادناً من سدنتها، اعمل في النهار، وأنام في الليل. وحين لمس إيماني غفر ذنوبي ما تقدم منها وما تأخر.

أعادني إلى مكانتي، وسلمني مفتاحها أمام الناس، وأمام السؤال.

يوم عظيم ذاك اليوم، عظيم حين علا صوته المنادي «أين عثمان بن طلحة؟ فدعيت له،

فقال: هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم وفاء».

عثمان بن طلحة لم يكن يوماً يهودياً ولا قريشياً، عثمان ابن الثورة ثائر. رفض التقاليد والعادات، وثار على الطقوس والعبادات.

عثمان لم يزغ.  
طوفان على الأصنام، فحطمها... ألا ليت كان تركها أثراً للناس القادمين؟

عثمان لم يزغ.  
كان طوفان على الصور فطمسها... ألا كان أبقاها تراثاً للعالمين؟  
لكنه ثار، وحطم وطمس، وكان أكثرها مشوهاً، يفسد العين، ويقتل الروح، وهو يحيى ولا يميت.

عرمرم طوفانه، كان أمام صورة لإبراهيم في يده الازلام<sup>(1)</sup> فقال: «قاتلهم الحق، جعلوا شيخنا يستقسم بالازلام، ما شأن إبراهيم والازلام! ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين»  
لقد قال الطوفان كلمته انه شيخ، فلماذا نخالفه ونقول أنه نبي؟  
نبي؟

وإن مثل إبراهيم كمثّل عيسى هذا ابن الفرات، وهذا ابن دجلة.  
النهر بقوة دفعه يجري، ولا يغير مجراه لنية مؤمن، أو أمنية عاقل، لا يصمت لتعنت ظالم، ولا يثور لرغبة عادل.

النهر إرادة الطبيعة، والثائر النهر يكره الضعفاء، ويمقت الجبناء.  
الثائر النهر نبي.

أمام البيت ارتفع صوت شطر الكون شطرين: السماء والأرض. وارتفع شطر الأرض فوق شطر السماء.

شطر السماء دية، وشطر الأرض غفران وعفو.

شطر السماء حجارة وسوط، وشطر الأرض مفارقة بالمعروف، وإمساك بالشرف.

شطر السماء رب وعبيد، وشطر الأرض ثوار وأحرار.

سأل الثائر: «يا معشر قريش، ما ترون إني فاعل بكم؟»

قالوا: خبراً، «أخ كريم، وابن أخ كريم»

قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»

وحكموا على أنفسهم، ولو حكموا بالظلم لظلموا.

وذهبوا الناس أحرار يواكبون أحراراً، وثار يرافقون ثواراً. وأصبحت إذا ناديت في مكة: إلى روما، رأيت الناس يأتونك أفواجا أفواجا، ويدخلون في الثورة، وينتمون إلى الشهادة.

أبو شريح:

«ولا يعضد فيها شجراً»

ضيعوا كما ضاعت النبوة، فلستم انتم إلا أنبياء أتقلوا بغبار روما. الحضارة الرومانية... حضارتك روما جحيم ملتهب وقودها الناس والحجارة.

توهجوا ثورة، فما انتم إلا نار شحذها المجتمع. وأخمدتها الحاكم العربي ظلماً وجوراً وفجوراً.

غوروا في المجتمع كما يغور الصمت في الصوت. وغوصوا كما يغوص الماء في التراب.

أنتم أوصياء الوجود، فاحرصوا على الوجود حرصكم على أجسادكم.

المياه لا تغوروها، والأشجار لا تقطعوها، والأنعام لا تقتلوها...

النساء عرضكم، والأطفال غدكم، والرجال دمكم...

(1) الازلام: سهام يستقسم بها، كانت لقريش في الجاهلية، مكتوب عليها فعل امر مثل: نهي - افعل، لا تفعل، وكان يقوم بها سدنة الكعبة. ألغاهما الثائر محمد. ثم رجع العرب إليها، إنما بحلة جديدة، ألا وهي الخيرة. فإذا كان قد ثار وألغاهما فمن أعادها؟ هذا ولا نعلم على وجه التحديد متى رجع العرب إليها، وإن كنا نؤكد أنها رجعت مع الاستعمار الروماني الجديد، فرنسا وبريطانيا. وربما قبلهما مع السلطة العثمانية.

القتل يلد القتل، والمغفرة المغفرة، فاختاروا.  
أول الإصلاح الذات الصغرى، فإذا صقل الحجر كان البناء شامخاً.  
لا تهدوا ولا تنصخوا، إن أردتم نصحاً، فقوموه بيدكم وليس بألسنتكم، فمن عرضه بلسانه  
ندم.  
اخرجوا أقوياء كاملين، وهكذا تصلحون الذات الكبرى. اخرجوا في أبهى برد تجذبون الناس.  
العرش غرار فاحذروه.  
والإمارة صعبة، والولاية سخرة.  
الحاكم لا ينام... ما نام إلا عمر.  
الحاكم لا يرى... وما رأى إلا علي.  
وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر، فإنكم انتم الغالبون.  
وحين لمس التأثير طوية الناس، قال: وتجسد الحلم. وخاطبهم قبل أن يخاطبهم بروحه: لقد  
تكلمتم قبل أن أتكم، فساعدوني لأتكم.  
ارفعوا هاماتكم لأستطيع القراءة.  
افردوا قسماتكم لأقدر على التلاوة.  
اشرحوا صدوركم فقد لفحني حاصب.  
من خلا قبلنا فللضعفاء الضالين، أما نحن فقد جئنا للأقوياء الصالحين.  
معكم أسير للنصر.  
معاً نسير... فقد نادانا ناقوس الناموس.  
أيها الناس، «إن الحرام حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام من حرام إلى يوم  
القيامة»  
أيها الناس، "فلا يحل لإمرئ يؤمن بالحق واليوم الآخر، أن يسفك فيها دمأ، ولا يعضد فيها  
شجراً"  
لم تحل لأحد كان قبلي، ولا تحل لأحد يكون بعدي،  
ولم تحل لي إلا هذه الساعة، غضباً على أهلها.  
ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس»  
«فليبلغ الشاهد منكم الغائب، يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل، فلقد كثر القتل إن نفع.  
لقد قتلتهم قتيلاً لأدينه، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين: إن شاءوا قدم قاتله، وإن  
شاءوا فعقله»

يحيى بن سعيد:

«إذا فتح الصمد عليه بلده يقيم بها»

لقد طال مكوثه في مكة، وتخوفنا أن يكتفي من الحرية بها.

هل نسي؟ أو أن طعم الحرية أنساه مرارة العبودية؟

هل كده النضال؟ أم أن الكدّ ثمرٌ طيبٌ فأراد له مكة دون غيرها من الأمم؟

نعرفه أمام كل شيء، ونعرفه كريماً سخيّاً إلا أمام الحرية فهو طمع جشع.

وكما هو طمع جشع، فهو أمام العدل ضعيف ظالم، فإذا كان هو ما نعرفه الظالم الجشع فما الذي يؤخره في مكة؟

وهل تبوء الثورة بالفشل، ونحن نريدها أرضاً أبية عرشها الشرق وأطرافها الغرب، وعيونها العالم؟

إن كانت الثورة فضة، فنحن نريدها ذهباً، وإن كانت ذهباً، فنحن نريدها درة، وإن كانت درة فنحن نريدها شمساً... وإن كانت شمساً، فنحن نريد أن تشرق على العالم خيراً وحقاً وجمالاً.

أن تكون ثائراً، يجب أن ترى الجميع من أبناء أمتك ثائرين أحراراً، لا أن تكون أميراً بين عبيد.

الحرية... أن تكون الأمم تفوق أمتك حرية، فتسعى لتواكبها.

الحرية... أن تبسطها على أمم العالم.

أيها الثائر، لقد حملنا معك حملك إلى مكة؟ أفلا تحمل معنا حملنا إلى القدس؟

أيها الثائر، أنت، أنت الزعيم، ونحن نحتاج إلى زعامتك ونحن سيوفك، فانتصر بنا؟

أيها الثائر، أنت صاري السفينة، فلا تترك سفينتنا في عرض البحر، والآلهة من حولنا كثيرة الأنبياء، قليلة النظر.

أيها الثائر، لا تتركنا فرانس للأنبياء والمناسم والحوافر.

أيها الذو الفقار، نحن العصافير في قبضة يدك، فإما أن تقودنا إلى الحرية، وإما أن تشد يدك، فموت ونهلك ونرتاح.

تحررت شبه الجزيرة، وهي عروس المدائن حرة كريمة. لا نبدلها بالعالم، ولا نبيعها

رخيصة. ولكن مثل مكة كمثّل دمشق وبغداد وببيروت والقدس.

وتألفت مكة العربية بين أخواتها، ويبقى الجمال أكثر تألقاً حين تغدو ملكة تحف بها ملكات.

تألفت ملكة، وكل ذرة من تراب الوطن مملكة بها نهدي، وصوبها نسير.

وفيض عبقها نتبع، ونور شمسها نتولى.

من قال أن مكة ليست أمة فقد ضلّ ضلالاً بعيداً.

ومن قال أن القدس ليست عاصمة لأمتنا فقد ضلّ ضلالاً بعيداً.

أخذنا الوسواس، وردنا الخناس، وقلنا قولاً تنهّى إليه وندمنا عليه. لقد قلنا نحن الأنصار:

«أثرون الثائر إذا فتح الإسلام عليه أرضه وبلده يقيم بها؟»

فقال مؤنّباً: «معاذ الواحد، المحيا محياكم، والممات مماتكم»

أخطأنا، والكل يخطأ. حتى التراب حين يحتضن الجسد، والماء حين يغمر العماء، والنار

حين تعانق النفس، والهواء حين يموج في السماء.

الكل يخطأ.

وغفر الذنوب كلها، ما تقدم منها وما تأخر.

حكيم بن حكيم:

"بَعَثَ الرَّسُولُ ابْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الْعِزِيِّ... فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهَا هَدَمَهَا"

«اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»

اللهم إنما خالد لم يخطئ؟  
هل أخطأ... خالد قد هفا.  
لو أخطأ ما كان ليرسله أميراً إلى بني الحارث، ولما ثار بنو الحارث؟  
لو أخطأ ما كان كلفه هدم الماضي وبناء الحاضر فوق أنقاضه؟  
ثم، وعلى اثر المسيرة إلى بني جذيمة «بعث الرسول خالد بن الوليد إلى العزى، فلما انتهى إليها هدمها». تكليف خالد خطأ أم أصابة؟  
لو كان أخطأ ما كان ليرسله مرة، واثنين، وثلاثة... وأبداً.  
كثير الوشاة، والوشاية مناوشة أخرى من مراوغة المشركين. وابتدع الثائر حصناً جديداً للثورة، البراءة من عمل الأمراء.  
إنها الثورة أدواتها الناس، وأشياؤها القادة، وهي مباحة للغاية... غايتها أمة حرة.  
إنها الثورة، كل في سبيلها. وسبيلها روما.  
إذا، فالخطأ جزء لا يتجزأ منها، ما من ثورة معصومة، الثورة المعصومة قضت مع الأحلام المتواترة في آخر حقبة نوم.  
أخطأ، وهذا مكمّن كمالها، ألا ليت كبا كل أمير بعثته! فالثائر بإخوانه، برفقائه.  
الثورة وزراء وأمراء. والوزير لا، ونعم. أما الأمير، فزعيم ثائر، سفير يفكر، مسؤول.  
قراره حاسم، حازم مع الأمواج، هو صاري السفينة، كيف أراد توجهه، وليس كيف أرادت الريح مخر...  
الأمير سام، سامي النفس. والنفوس المريضة ترفض قرارات العظماء.  
الأمراء سدنة الثورة، فكيف يبوأ ضعيفاً إمارة؟  
أعداؤك كثرياً خالد، وخصومك، ومبعضيك، وهذا حصاد الخير.  
الأعداء ظالمون؟ لا... الخصوم.  
مبارك خالد، مبارك رأيته، مبارك قدمه.  
وخالد لم يحزنه دعاء الثائر، فقد فهم واستساغ، انه دعاء يراد به خيراً... دعاء يثمين الثورة، وامتصاص نفمة الناس الضعفاء صغار النفوس، وإقصاء الوشاة.  
مظلوم خالد، عظيم، وستبقى كذلك حتى تتفتح الأفئدة المغلقة كالبور.  
عندما تتفتح الأفئدة على الفرحة الآتية ستعشق أولاً اليرموك.  
العميان يعشقون بديراً... واعشقها، وعندما تتفتح العيون، سيعشقون مؤتة، ويعشقون تبوكاً، ويعشقون فلسطيناً، ويعشقون...  
العميان يلعنون معاوية! غداً يعتذرون...  
النائمون لا يرون من الثورة سوى الطقوس، العادات والعبادات. عندما تلسعهم شمس الصباح ويستيقظون، سوف يميلون إلى معاوية، وسعد بن أبي وقاص، وأبي عبيدة بن الجراح...  
الحب أعمى... الكره حذر... احذروا تفوزوا.  
الضعفاء المرضى والذين يخشون جزمة روما، يكرهون العظماء منهم، يكذبونهم ويقتلونهم...  
ثم سيكون يريدون غيرهم.  
الأرض أمنا الكريمة، لكنها ليست امرأة لتلد كل سنة ثائراً... كل ألف سنة تلتقي الماء والأرض ويولد ثائر عظيم.  
الناس أبناء العظماء، إنما العظماء أبناء التراب.  
إن مثل خالد كمثل حنا بعل خلق من السيف، وإلى السيف يعود.  
أخطأ خالد، إنما ما من أحد لا يخطأ، جميع الأمراء سواسية أمام عين الثورة، وعين الثورة لا تفرق بين أحد منهم.  
أخطأ، لا تدنوا... البريء أكثر خطأ... أضيفوا حسناته إلى ذواتكم تغدون زعماء.  
يقف الضعفاء عند قارعة الزمن ينتظرون الزارع الذي مضى إلى حقله، وقد سقطت بعضاً من حبات بره... يلتقطونها ويعودون برزق وفير.  
يقوم خالد بوزار اتكم مجتمعة، إنما وزار اتكم مجتمعة لا تقوم بإمارته.

تريدون أن تشرق شمس هذه الأمة؟ تولوا صوب رجالات الدولة، اتجهوا إلى دمشق. على  
جذعها تثبت الأرض، ويورف غصن السماء.

أم سليم بنت ملحان:

"أقتل هؤلاء الذين يهزمون عنك"

حشدت روما إلى حنين، وحشدنا. ولما كانت أعدادهم الرمال، التقت النائر للثائرين وقال:  
خذوا سلاح خصمكم وقاتلوا.  
وكيف نأخذ سلاحه؟  
قال: استعارة.

واستعرنا سلاح صفوان المشرك بوعد واستعرنا صفوان المشرك أشرك روما في أمر  
التراب العربي. والأنعام والشجر والإنسان.  
استعارة، وقد ذهبت مبدأ في علم الحرب، وفناً من فنون الصراع: من صارع في سلاح  
عدوه انتصر.  
استعارة، وذهبت حصناً آخر من حصون الثوار.

قاتلت روما بالنساء والأبناء والأموال دفاعاً عن جذورها اليابسة. وقاتل النائر افتتاحاً لعصر  
جديد، زوداً عن النساء والأبناء والأموال.  
جيش قيصر روما الجيوش، فدفع للموت أولاً الرجال، ومن وراءهم دفع النساء والأبناء  
والأموال، والكل بقيادة دريد بن الصمة، وقد دفعتهم للتهلكة خطة منه تقطف بها نصراً للثائرين.  
وقطفت روما ثمرة... نصراً لا تقطف!

ومن وراء الوراق، ربضت هي كأسد عاجز لا ناب في فكه، ولا ظفر في مخالبه.  
وانقض مالك بن عوف القائد الآخر للقيصر على دريد قائلاً: ويلك «راعي ظأن واللات!  
وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفك إلا رجل بسيفه، وإن كانت عليك فُضحت في  
أهلك ومالك»

وفضح، وفضحوا، وفضحوا... وهل مثل من وراءه النساء والأبناء، كمثل من وراءه الذل  
وأمامه العز؟

كان الذل من ورائنا، فأين المفر؟

أمامنا الموت وهو إمام الثائرين.  
وأمامهم الخلود فنحن لا نموت! شُبّه لهم، الشهيد يقاتل مئة جولة في سبع أرواح قبل أن  
يحظى بشرف افتراش التراب.

فارسنا يشبه كافرهم بالعدد، الفارس في سبع أرواح للقتال، وكافرهم في سبع أمعاء للأكل.  
كمنوا لنا في واديك يا حنين، رجال إن فرقته على الحجارة لنقصت الحجارة.

كمن جيش يتشدد بسيف وصور، وباغتنا.

وقطفت روما ثمرة مفاجئها، ثمرة فجأة، مرة.

لقاء كثرتهم انشمر الناس من أصحابنا في خطة التقاف، فسرتها روما فراراً وفي تفسيرها  
سقطت.

انشمروا ولم يفروا، فنادهم الثائر قائلاً: «أيها الناس، هلموا إليّ، أنا الرسول المنتصر، أنا  
محمد بن عبد الله»

إليه، إليه، وكلما اشتد وطيسها لذنا به أكثر، أقربه أكثر أماناً.

حارب وقلة. وصنع النصر الذي أراد، وتكلمت المعجزة، فغصت روما بثمرتها العجزة،  
وربما كانت فاسدة نغل فيها الدود.

كنت فارساً من فرسان حنين، مثلي كمثل الرجل، وكنت حاملاً بابني عبد الله بن طلحة،  
وكنت أحمل خنجرأ أقاتل به الجنود، في ذلك اليوم أشكل عليّ الأمر، فما كنت لأدري، هل كنت  
أقاتل أنا أم سليم، أم كان يقاتل جنين الأحشاء في حنين؟

في حنين والوطيس حام، كان النائر يجاذبنا أطراف الحديث، وهذا ديدنه وعادته، كان

يروّح عن النفس أسقامها. وما كنت لأعلم هل أنا في الحرب ووطيسها، أم عند نخلة

سمر، والحديث يأخذنا ويردنا، والحلم يبعدنا ويدنيننا؟



سألني: أم سليم كيف النزال من صوبك؟ كيف هو الحصاد، أوحشي لا يروض؟ أم انه بعير  
يجر من رسن؟  
وقيل أن أجيب اعترضني عدو شرس، فأهديته خنجراً صادقاً أرجوانياً، فتقبله بصدر  
رحب..وقلت: «إنني أقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك، كما تقتل الذين يقاتلونك»  
في حنين شعرت بغبن، فقد كان لا يترك لنا إلا القليل، وهو بين ثقل منازع، وجريح ساخن،  
أو مسحور الرياح.  
حاولت أن أسبقه إلى سيوف الأعداء، لكنني كنت أتعثر بحصاد سيفه، ولولا الأجساد المبعثرة  
لكنت سبقت.  
وحاولت إصراراً لكن لا نجاة لمُصّرٍ، وسمعت ابن مرداس ينشد:  
«طوراً يعانق باليدين يفري الجماجم صارماً<sup>(1)</sup>»

شريد بن أبي عامر:  
«اللهم لا تشهد عليّ... وثرث»  
شريد، ليس اسمي... كنييتي، كناني الثائر لأبي عامر قاتل اخوتي التسع.  
اسمي لا اعرفه، فقد دفنته في حنين.  
كنا للجاهلية اخوة عشرة تائهين بين العبودية والعشائرية. مات تسعة في تيههم بسيف أبي  
عامر، وأنا كنت لأموت لولا كلمة سبقت.  
كنا نبرز له واحداً، واحداً، وكان أبو عامر يسأل واحدنا الثورة، الثورة قبل أن يحمل عليه  
بسيفه. إن رفض، وظاهر العبودية على الحرية، لا يرفض أبو عامر قتله، فالعبد آفة الأمة،  
وجرثومة الوطن، ومرض الدولة، أول الدولة تطهيرها من الداخل.  
كنت آخر العشرة في مدرسة الموت، لئناً أرغي وازبد، لا أرى إلا قتل الثائر أبي عامر،  
كانت غايتي أن أثار للتاسوعة المتخبطة بدمها! وحين مسني سؤاله، انتابت روحي رعشة لم تنته،  
وقع السيف ونطق لساني «اللهم لا تشهد عليّ... وثرث»  
فقال أبو عامر: قتلنتي، قتلك الله ما أحبك!  
بعد حنين كان يعرج النهار وكنا نخرج معاً، ثلاثية مقدسة هو، وأنا والنهار، كنت رفيقه، كان  
يرفض إلا أن يكون ظهراً لحياتي، يسابق السيوف إن هوت عليّ، كنا رفقة لا وسواس يبلبل ولا  
خناس يزيغها. وكان الثائر يباركها بقوله: أبو عامر وشريده. أما حين يراني بمفردي فيقول: «هذا  
شريد أبي عامر»، أين رفيقه؟  
لم أصل يوماً لأبي عامر، فهو ليس عدوي، صليت لروما.  
لم احبه يوماً فهو ليس بغیضي، أحببت القيصر، قاتل اخوتي.  
روما، روما يا عدوة الناس والحضارة احبك، لك اصلي!  
إذا شقت الطريق حملني أبو عامر، وإذا حفيت أعطاني حذاءه، وإذا عريت وهبني الثوب.  
كنت أبدا ضالته، وكان أبداً مسروراً، كنت اضله من صورة جفن، لصورة جفن.  
وشوشت الناس: "أبو عامر وشريده، هل ودّاه؟"  
أجل ودّاني، لقد أنقذت حياته مرة وما وفيته حقه. أجل ودّاني، وداه الأكبر في التاريخ، لقد  
جزلنا الحرية، جزلنا بلادي. ثم أن الدية لقتيل الوطن، وليست لعدوه.  
عشرة كانت اعداء الوطن، تسعة حرّهم سيف أبي عامر، وعاشرهم حرّته كلمته.  
تسعة وارثهم الأيام، وأنا الأيام أواريتها.  
فمن يدري، لو كنت أول العشرة هل كنت حرّتهم بالسيف، أم بالكلمة أحرّهم؟

ثائر من لبنان:

(1) بتاكاً : بتاك : قاطع.

### "ينهاك الرسول أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفاً"

افترق النائر وخالد في آخر حنين كنهري دجلة والفرات، هذا ينشر الحياة وهذا يزيكها. كنت رجلاً في نهر النائر، أني اتجه دفعنا أمامه ومن حوله، ومن خلفه.

امرأة في حنين ماذا جاءت تبتغي؟ هل جاءت لتزود عن الرجال؟ لو وقعت أم سليم تحت سوادهم، هل كانوا رفعوها؟

السود سيوفهم، والبيض سيوفنا. روما لا تعيب قتل الولد ابن الحليب. قتلت ولم تزل، فهذه عادتها، وقد طورت عاداتها إلى قتل النساء، ان ألد كؤوسها امرأة، حجابها ودمها! فلماذا غضب النائر؟ امرأة قتيلة...؟

ولو قدر لها ووصلت إلى خالد فهل يذهب أمير اليرموك قتيل امرأة؟ أم أنها تعجز، فتعجز في الأرض؟

امرأة صريعة...؟ ومن قال أن سلاح الضعيف لا يقتل؟ امرأة صريعة، والنساء من حولها تولول وتصيح وتصك وتلتدم<sup>(1)</sup>، والرجال إما في كره وفر، وإما في نحب وبكاء.

يبكون؟ والشهداء من أمواتنا، من يبيكهم؟ من يرثيهم؟ كم من قتيل أردت أم سليم؟ فلماذا لا تردي امرأة في يدها سلاح رجالتنا؟ نحن رجال لا نهاب الموت، ولكن إن باغتنا امرأة بسلاح أحدنا، فهل نذهب لضعف امرأة؟ السلاح يقتل بيد كائن من يكون، قوياً أو ضعيفاً، امرأة أو ولداً. الحرية للأمة تأتي مرة واحدة، فكيف نخسر لقاء امرأة؟ الحرية للأمة تأتي على المرأة والرجل، فإذا كانت كذلك، فلماذا لا تقتل وتقتل؟ إذا كان اصطفى البنات على البنين، فكيف هن الأصفياء أمام الحياة أم أمام الموت؟ أنا رجل في نهر الثورة الدافق، ولست أميراً، أو وزيراً، ولكني لا أسمح أن اذهب رخيصاً على يد امرأة، لو كان الأمر في الباحات لاختلف الأمر، إنما الباحات ساحات الحرب. رجل نائر أنا، وهي أسئلة انتابتنني وأنا أعدو إلى خالد انهيه بلاغ النائر.

تلقني أهدج الصوت، فقال: أنفاسك، أنفاسك! وكتمتها ضابطاً وقلت:

«ينهاك الرسول أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفاً»

قال: مأمور أنت، أم أمير؟

قلت: مأمور، له ما لك، ولي ما عليك.

قال: ونعم الأمير، والتمس لي عنده، إنني ابن الثورة، والمرأة التي سقطت أبكتني دماً، والمنتني ناراً!

المرأة التي سقطت كادت تذهب بخالد، لقد كانت متكرة في ثياب فارس؟ المرأة التي وقعت كادت تقتل خالداً لولا رجل من الثوار خطفني من براثن الموت. فهل من مغفرة؟

رجل نائر...

والأمير النائر لا يسمي الرجال، فهو مدين لهم.

**ملك بن مالك:**

(1) تلتدم: لدم، الضرب على الصدر.

### "كانا بجرش يتعلمان صناعة الدبابات والمنجانيق والضبور"<sup>13</sup>

لا تستطيع قوة أن تهزم الإيمان، وإذا دعم الإيمان بالعقل، فماذا يضر؟

لا تقدر أعداد معددة أن تنثني إرادة، وإذا تأيدت الإرادة بالعلم فهل، يضر؟  
لا يدخل ملكوت الخلود من أمن واعتقد، يدخله من عمل، وكان عمله صالحاً يؤيده العلم.  
لا يتكى على الأرائك من صلى وصام واعتكف، أن الأرائك للعلماء العاملين والمتفانين.

والأنهار الثلاث ليست شراباً للساعين بطقوس، وعادات وعبادات. الأنهار للعلماء، ولا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون.  
المؤمن ينتظر الغيب، أما العالم، فينظر، يبحث ويخلق.  
المؤمن يقول: لتكن مشيئتك، والعالم يقول: مشيئتي.  
المؤمن يرجو، والعالم يريد.  
المؤمن يرث، والعالم يورث.  
الأمة ليست دعاء، الأمة صناعة وإبداع.  
الأمة ليست لعنة، الأمة قرار وقدر.  
ما من أمة فقيرة، الفقراء هم الناس، خفافس النفوس.  
تريدون أمة حية... اسعوا إلى مدارسكم، احيوا جامعاتكم، اعتكفوا على كتبكم.  
العضلات تقوز، ولكن إلى حين، وإن انتصرت، فانتصارها زهر الصبار، ولا أريج ولا ثمر.

الكثرة المؤمنة تكف أيدي الظالم، إنما إلى متى؟ كفة تتعشق في الحلق غصة، وفي الصدر حرقة.

أمة، إن أمة الثقافة هي تلك التي دفنت النقل، وقامت بالعقل.  
أمة، إن أمة الحضارة هي تلك التي نسيت أين سجت الجثث  
أمة، إن أمة الحياة لا مقابر لها.  
أمة عظيمة، سلاحها هي صانعة، ورغيفها هي خبزته، وخيطها هي غزلته، وخمرها هي عاصرتة...

أمة خالدة، طائفها علماءها، وليس جدارها. لا، ولا أسوارها.  
أمة الغد لا تنتظر الشمس لتشرق، هي تأتيها وتشرق وتشرقها.  
لم ينتظر الثائر أن تأتيه السماء بمنجنيق وضبر ودبابة، بل أقدم واثق الخطى وقال: هي صناعة تعلموها.

الثائر لم يناد الصوت أن ارفدوني إلى حنين بسواعد الأبطال، وأكتاف الجبابرة، بل قال: ابعثوا أبناءكم إلى بلاد الشام، وحصنوها بصنائع الحرب.

ثاني اثنين من خيرة عنفوان الفرسان، لم يحضرا حنين، وبهما انتصر. ثاني اثنين: عروة بن مسعود، وغيد بن مسلمة بعثهما إلى جرش «يتعلمان صناعة الدبابات والمنجانيق والضبور»  
ابتدع الهكسوس السوريون عربة الحرب، وقد اقتبسوها روما وأتقنتها، واليوم ابتدع السريان السوريون آلة الحرب: المنجنيق والدبابة والضبر، وهي مازالت سر على روما وبها يجب أن ننصر، فأسرع الثائر بإتقانها ليسرع في اقتلاع روما.

<sup>13</sup> الدبابة: آلة من جلد وخشب. يحتوى فيها عدد من الرجال. وتستعمل لحصار المدن والحصون.  
المنجانيق: القاذف، تقذف الحجارة الملتهبة وكتل الحديد. فارسية معربة.  
الضبور: الضبر، الدرع.

يعلم الثائر علم اليقين إن الإيمان ينقل الجبل، ولكنه لا يريد نقل الجبل، يريد اقتلاع روما، فهو يعلم أيضا إن النصر لمن حاز السلاح الأمضى والأحدث.  
النبي متأكد أن التوكل لا يضيع حقاً، ومع ذلك علم: اعقل ثم توكل.  
لقد حاصر الطائف وتوكل، وكان اتكأه على منجنيق ابن مسعود، ودبابة ابن مسلمة، ولولاهما لباء الحصار بالفشل.  
حصاد المنجنيق النصر.

### الحارث بن كلدة: "لا، أولئك عتقاء الثورة"

ثورة وعبيد.

هيجل، قل للناس أنك التقيت الثائر.  
قل لهم أن الحرية بدأت في الطائف، اعترف! أن الاعتراف ركن من أركان المحبة، لا يضرك... ينفعك.  
قل للناس أنك فيلسوفٌ مفكرٌ ولست زعيماً ثائراً. بح بسر السيد والعبد.

ثواب العظيم اقتحام مملكته، والسطو على خزائن علمه، تعلم أفكاره وتجسيدها عملاً... فما قيمة العلم إذا كان لباسه غبار الزمان؟  
ومحمد الثائر عظيم... وهذا ثوابه. ونحن الوجدانيون أبناء الشرق نتقدم من هيجل بالشكر لبعثه فكر النبي، الذي رجا له الأعداء الموت.  
الحرية ولدت شرقية في مكة، وارتحلت إلى الغرب فوق مراكب من خشب الأرز. آجلاً أو عاجلاً ستعود إلى مسقط رأسها.  
ما معنى عبد؟  
ما معنى سيد؟

الكل عامل، أمير عمله. ما من عمل وضيع، بعض الأفكار وضيعة.  
كانت الحرية صامتة عرجاء، جرباء. وكانت تقف وضيعة إلى جانب الحاكم، إن تكلمت أمر كلابه فنبحت وعضت، وإن رفعت صوتها محتجة، زجها في غياهب الظلام تربي الجرذان، وتعلم الخفافيش.

كانت الحرية مُمَثَّلاً بها، فقد بتر رجل الدين لسانها، وقطع السيد أطرافها، وثمل الرب عينيها، ثم جاء القيصر فربطها من عنقها، أنى توجه جرها من خلفه، تحمل أثقاله، وتعنتل أتعابه.  
كانت الحرية قيناً، وكان السيد يضيفه إلى مملكته كالخصيان والجواري والغلمان، تارة يكدن كرامته إلى النير والسكة منفرداً، وتارة أخرى يكدن المرأة إلى جانبه، وكان يحرق الأرض ويحصدوها، وما كانت لتمتلي أهراءات روما.  
كان وكان حتى وصل الثائر فقتلها وبعثها.

الحرية رحمها سؤال وعبيد الطائف...

وكان نطفها جواب الثائر: «لا، أولئك عتقاء الصمد» والثورة.

تحررت الطائف، وانتهت العبودية، وانتهى معها "السيد" الوجه الآخر لروما.

قل، واستوى الناس، الكل سدنة، أبو الثورة وزعيمها سادن الناس والأمة. والناس سدنة، سدنة بيت الثورة والثورة والأمة.  
وولدت الحرية.

ولدت من وجه كل إنسان، وكان خصومها أكثر إشراقاً، أكثر سطوعاً.

خصوم الحرية أطفال تأخروا حتى فهموا، وعندما فهموا اعتنقوها، عشقوها.

أصاب المفكر سعادة وهفاً:  
 قد أصاب، فالحرية لم تولد غربية غربية في فرنسا، بلاد الغال، بل ولدت عربية في بلاد  
 فلسطين، وشبّت وترعرعت في الحجاز. وإلا لماذا صلب؟  
 وهفاً، إذ لم تبدأ عراقية في كربلاء. ابتدأت مع الجد الأكبر أبي عبد الله، ثم مع الجد أبي  
 القاسم في الطائف.  
 الحرية إذاً سمراء، أخت العربي الثائر، وزوجه وحبيبته. وليست بيضاء وتخطر غانية تحت  
 سحب الضباب، وتغدو باغية بين أبراج الحديد وناطحات السحاب.  
 عندما ولدت الحرية ابنة الثائر، تقدم منها وأخذها بين يديه، حضنها وقال بعد أن قبلها: اليوم  
 أكملت لكم ثورتى، وأتممت عليكم نعمة الأمة.  
 وعرفتكم امرأة تغيب وتشرق، اجهل أسماء غروبها، واعلم أسماء شروقها فقد التقينا وتحدثنا  
 سلوا: عشتار، اليسار، صفو نسب، مريم، رقية، الخنساء، سناء ووفاء...  
 سنة ثمانية للهجرة، يوم عيد الحرية، أشعلوا الشموع واحتفلوا، ومن استطاع منكم سبيلاً  
 فليمشي إلى الطائف زائراً ناذراً ساعياً.  
 تعالوا ساعة حفاة، ومن أتى فوق حافلة أو راحلة راكباً، لا تقبل منه زيارة، ولا يرضى منه  
 نذراً.  
 تعالوا فقد تقدم المذبح، وخرج يستقبلكم، ومشى حتى تجاوز الهيكل، وانتشر حتى عمّ العالم.

عباس بن مرداس

### "فأصبح نهبي ونهب بين عينة والاقرع"

لقد كبر مقتاً عند الوطن إن تقولوا ما لا تفعلون. <sup>14</sup> وإن بعض الشعراء مقت، انهم يقولون ما لا  
 يفعلون.  
 لقد كبر مقتاً. ومرتكب الكبيرة هؤلاء الزعماء المزيّفون ممن تبوعوا على الناس بالبطش،  
 والقتل، والمال... وهؤلاء هم الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون، وما أكثرهم في عصرك. إنهم  
 فوق كل منبر يعمهون.  
 أن تخطئ ليس مصيبة المصيبة أن تتكر خطأك، والنكران مصيبة تجر مصائب.  
 واعترف الثائر، أنا لا اتقن فن الشعر، لو أنكر لأخطأ، لم يخطأ، فاحتكر جميع صفات القائد.  
 ليس شاعراً، انه قائد زعيم.  
 ابن مرداس شاعر، وابن سلمة عالم دبابه وضبر ومنجنيق. ابن مرداس ليس عالماً، لا، ولا  
 ابن سلمة شاعراً. فالناس برأيه أصناف، وكل صنف عند إبداعه أمير، والجميع أمراء، سدنة الأمة  
 وشموع الوطن.  
 الثائر ليس شاعراً، وإن كان يستسيغ الشعر، هذا ولم يحاول، لو حاول ربما أتقنه. هو لا  
 يمتلك زمناً مع زمانه، إذا لن يحاول.  
 الثائر لا يقدر على الشعر، وهذا ليس عيباً. حسان شاعر، وليس له طاقة على الزعامة.  
 الثائر ليس إماماً، علي إمام البلاغة إنما ليس نبياً ولا زعيماً.  
 الثائر لا يستطيع التعليم، فهو ليس معلماً. ابن جبل معلم، وقد أقامه خلفاً له على مكة، يعلم  
 الناس القرآن ويفقه. وابن جبل لا يقدر على الريادة.  
 الثائر ليس قائد جيش الثورة، أسامة قائد، إنما أسامة ليس زعيماً... إن مثل أسامة كمثل خالد  
 أو جعفر أو زيد أو ابن رواحة. الثائر زعيم في موقعه، في مواقع الآخرين هو رجل ثائر، يسمع،  
 يؤيد، ينفذ.  
 الثائر رجل قد خلت من قبله الرجال. الثائر النبي زعيم، وليس الهاً كما آلهة اليونان، ولا رباً  
 من أرباب روما، ولا مستتيراً من مستتيري الصين. إن مثل محمد عند الوطن كمثل عيسى، هذا  
 رسول الناس بالمحبة، وهذا نبيها بالسيف.

<sup>14</sup> العبيد اسم فرس

تَحْجَل؟ ومما تخجل؟ الإهانة كل الإهانة أن تدّعي ما لا تتقن. أخطأت. هذا لا يعني أنك سقطت وانتهيت. انظر واتعظ.

الثائر ليس ملكاً ليهب الشعراء أكياساً، ولو كان يمتلكها فلن يهبها، فالمال برأيه ثمرة العمل، وأبناء الأمة ليسوا شعراء عجراً، والمال ملك الأمة وهو وصيّ عليه، يوزعه على العاملين المنتجين والعلماء من الناس بالتساوي.

على الشعراء أن يأكلوا من إنتاجهم ونتاجهم، وليس من أبواب السلطان. والشعراء المداحون، كالشعراء الهجائيين هم وقود النار.

حسب الناس أن الشعراء مرآة الثورة، ومن فيها يأكلون، الناس مخطئون، لا بل أن الشعراء منارات الثورة من فيهم تأكل!

أنا، ابن مرداس قلت شعراً عبت فيه قلة عطائه. ومما ورد في القصيد:

"فأصبح نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع"

وحين حضرت بين يديه، وكان حاضراً أبو بكر سألتني: أنت القائل:

"فأصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة"

واعترض أبو بكر مصححاً: «بين عيينة والأقرع»

وردّ الثائر عليه جازماً حازماً: هما واحد.

وقال أبو بكر «أشهد أنك ومثلما قالت السماء. وما علمناه الشعر، ولا ينبغي له»

الحق، هما واحد، فالشعر معنى وليس حروفاً، وجدان وليس نظاماً. الشعر حروف وقواف، وإضرابه كثير، وهو عصارة الشعراء، أما الوجدان وأصنافه قليل، فهو عصارة الأنبياء.

الأنبياء لا يعتصرون روحهم من حروف وقواف متراسة منتظمة، ولا يسفكون الدماء لغايات رخيصة رنانة. الأنبياء وما يعتصرون، وما يسفكون شموع مضاعة من أجل قيامة وطن وبعث أمة.

الشعراء لا يعتمدون الفكر في بنيانهم القصائد، فالفكر برأيهم قرصة القصيد وعدو الشعر والشعراء. والأنبياء لا يعتمدون الحروف والقوافي، فالحروف برأيهم تعيق الفكرة وتعرقل حركتها، وتشوش أذهان الناس فتتيه، ويقودها الطرب ويسوقها السكر. الشعراء عبيد القافية، والزعماء شهداء الفكر.

ذو الخويرة التميمي:

"لولا الهجرة لكنت امرؤ من الأنصار"

اكتتب نصراً في حنين. وحاصر الطائف وأضافه نصراً لنصر. وبذلك انتهى له الزرع ينبت ويزهر ويثمر بأمره، والحيوان يتحرك ويحس ويتكاثر، والمال يزرع ويحصد... وبذلك انتهت له المادة، فغدت شبه الجزيرة تامة للثورة.

إن مثل الطائف كمثّل أي مدينة عربية سورية محكومة لخطرسة الرجل الواحد، المتمثلة في الشيخ رب العشيرة وصاحب التراب والماء والنار. فهل يتركه للعبودية والاستعمار؟

كُتِبَ له النصر خالصاً، فأهداه الثائر من روحه نظاماً اقتصادياً: الحقل لمن يحرثه، والتراب لمن يحرسه... وقام بعينه يوزع الحقل بما فيه من شجر وحيوان وماء على الأيدي العاملة المنتجة... وزعها، وبذلك سجل التاريخ الحضاري نظاماً اقتصادياً جديداً، وكان الأول من نوعه. لم يعط شيئاً من ثروات الطائف للأنصار، الأنصار أرضهم رملية جافة، وهذه أرض زراعية، فكيف يعطيهم ما لا يتقنون؟ وكيف يخالف إرادة الطبيعة؟ فالطبيعة نفسها قد وزعت عادلة. للطائفي سواعد من حراثته، وللمدني أو المكي سواعد من حراسته... الناس بأقاليمها.

لم يعطِ الأنصارَ شيئاً من أزهار الأرض وبقلها، فتململوا واحتجوا، وزكيت أنا احتجاجهم، واضطربت ناراً وسكبت زيتاً.  
 وزع، تمللموا واحتجوا... وإذا لم يعدل في توزيع خيرات الأمة، فقد عدل في الجواب، إجابتي وإجابتهم.  
 جئته معترضاً: رأيتك اليوم توزع الخيرات على الناس، لكني «لم أرك عدلت»  
 لم يسترضني، ولم يبسم كعادته، إنما غضب وزجرني، ويلك! «ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟»  
 والتهب الأنصار احتجاجاً...  
 نحن سيوفه، هل نسي أحداً؟  
 نحن عريشه، هل نسي بدرأ؟  
 ونحن أول من صدقه، وأول رفقاء ثورته، فهل تناسى الجوع والعطش؟  
 وأجابهم. وكان الجواب الفصيل بين الظلام والنور. والفصل بين الحق والباطل.  
 الأرض لزارعها، وانتم حماة الأرض...  
 والحيوان لراعيه، وانتم حراس الرعاة...  
 ميراثهم المحراث، وميراثكم السيف. السيوف لكم، أياديكم سيوف ونبال. أنتم سيوف الأمة، وهذا شرفكم.  
 الفلاح لا يعرف الضرب بالسيف، انتم تضربون، فهل تزرعون وتهشون؟  
 الفارس لا يعرف الضغط على السكة، هم يضغطون، فهل يضربون ويصارعون؟  
 انتم سياج الأمة، ورعاة الناس، فإياكم والغرور!  
 لا تدعوا المال يغركم، المال غرار، فان غركم استبدلتم...  
 انتم الظهر والسنام، فإياكم أن تعتلوا...  
 انتم رفقاء الحياة والموت...  
 أيها الناس، «ألا ترضون يا معشر الأنصار، أن تذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا بالرسول إلى رحالكم؟»  
 «لولا الهجرة، لكنت امرئ من الأنصار»  
 «ولو سلك الناس شعباً، وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار»  
 فيا سواعد الرمال، يا صدور الرجال. الناس لها المحراث والمعاول، ونحن لنا السيوف والنبال.  
 وبكى...  
 «فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم»

الزهري:

"تهيؤوا الغزو الروم"

ما من معجزة على الأرض.

ما من كن فيكون.

على الأرض وجد العقل، الشرع الأعلى.

تقدر بواسطة العقل أن ترتقي إلى السماء، تقرأها وتفهمها. ولكنك لا تقدر بواسطة النقل أن

تفهم العقل.

لا يقدر إنسان ومهما كانت رتبته السماوية أن يغيّر وجهة السفن بمعجزة وإيمان، وجهة

السفن خاضعة لإرادة رياح القوم.

إن أراد القوم مخرت سفنهم عكس الريح. ريح القوم إن كانت مؤاتية بحاجة إلى زعيم. الريح دون زعيم أعاصير مدمرة. الزعيم يقود الريح ويسدد خطاه. أما إذا كانت كلمة الزعيم مؤاتية والريح هامة خامدة، فإنها تخدم عبثاً. الصوت للصم كالنور للعي. سيان. أربعة إذا اجتمعت واتحدت حصل الحبل. وإلا بارت الأرحام، وملصت الحامل، ومارت البيوض.

وافقت ريح الحجاز الزعيم الثائر وتغير وجه التاريخ. وإلا، ولو لم يتوافقا، لتغير الأمين في المكان، نبي مبشر، يبشر بالمحبة، ويبشر بالكلمة. وربما انتهى على الصليب، وربما كان صليبه من رمال.

ربما طوفان الرمال الذي أراده قضاء وقدر الأمة، عقص ذيله وانعكس عليه. ربما، وربما انقلب السحر على الساحر، ومضى الطوفان بكبش فداء واحد، في حين كان يريد أن يطهر التراب من رجس الأحلام.

كان الثائر يعلم ما يفعل حين؟ أثار الطوفان. كان يريد معجزة، وغمرت الرمال الأرض. لقد جاء الثائر بمعجزة واحدة، ومعجزته إتيان قيادة الطوفان وتوجيهه.

ندماً هبت رياح العرب تحمل الكنثان، وتحمل الصلصال، ووجهها باتجاه مؤتة أولاً، وباتجاه تبوك ثانياً، وباتجاه فلسطين ثالثاً، وقال: اذهبي بسلام وانشري السلام. هبت ريح العرب رمالاً وناراً، وكلمها احمد وقال: يا نار كوني ناراً وكوني برداً وسلاماً، ناراً على روما، وبرداً وسلاماً على الشام. صرخت نار العرب تريد طعاماً فقال لها: أنت صفراء يا نار، وروما صفراء، اذهبي وكلي بني الأصفر.

الحجاز توحد،

الأعداء اندحرت، وضجت الناس وتبلبلت. إلى متى؟

الأرض أزهت،

المدن تحررت،

الحجارة حبلت، فأين الأرج؟

الرجال تمرست،

الأطفال اشتدت،

النساء زغردت،

فلماذا الأجل؟

الأمم تعارفت، تعصبت واتحدت،

الدولة ولدت، تكلمت واراقت،

الجيش تعمدت، بالنار والدم تعمدت.

هل العدل أن تجلس روما في النعيم، ظلالتها الثمار، وشرابها فراتاً وغساقاً، والناس، أبناء الأرض وأهلها، يجلسون في الجحيم ظلالتها الشوك، وشرابها ملحاً وأجاجاً؟ واحتج الناس، خصوصاً منهم الأنصار، سواعد السيوف، أبناء الشام. وخافوا أن يشرب الثائر كأس شبه الجزيرة ويحمد.

احتجوا... تغامزوا وتهامسوا، الزمان زمان نار وثمار، وتكره روما النار، وتضعف لقاء الثمار. ونحن، نحن نعبد النار، ونشرأب النفوس قبالة الثمار، فلماذا لا نغزوها في عقر دارها؟ الثورة، والثورة أقول: ما غزي قوم في عقر دارهم إلا وذلوا. كيف يظن أن الحرية مصانة في الصحراء، وكيف؟ الحرية مهددة طالما روما أمام كليكية، تتربع على إنطاكية.

الحرية ستعود إلى سجنها إذا ما فتى القيصر يمد ظلالة حتى تخوم قوس الصحراء. وسكتت الريح حتى البكم، وخاف الناس السكوت. وفجأة كانت العاصفة، والعاصفة أنجبت الحاصب، والحاصب دفع الأنواء يقول: «تهيؤوا لغزو الروم» أيها الناس، الشقة بعيدة، والزمان شريد، والعدو كثير فتأهبوا...



أيها الناس حين أردتم الثمين الغالي، أعطيتكم. الآن أريد روما فهل تعطوني؟  
وأتلجت الصدور.  
أوصيكم. تخففوا تصلوا.  
احملوا ثلاثة: رحالكم، سلاحكم، وشهادتكم.  
كان اليأس يخيم على الناس حين بدأ الناقوس يذرف ترانيمه في أعماق الصمت. وعندما بدأت العيون ذرفها، طلّت الخيل تزفر، يا لبلادي.  
هذا كان في البدء، وفي البدء كانت العزة البشرية.  
وعندما وصلت اليرموك كانت الترانيم ما زالت تتجاذب الوديان، وتتجاوب الجبال.  
وهبّ الصليب هبة السيف يزود عن التراب، واندحرت روما وهزم الرومان، وكتب النصر.  
وانحنى السيف على ذاته، عشقاً، فكان هلالاً يحتضن صليباً.

عثمان بن عفان:

"وزودهما شيئاً من تمر"

حفنة من تراب، بين المدينة والشام، صنعت النصر الذي يريد.  
إرادة السماء لا تصنع نصراً، تبارك، إرادة الشعب تصنعه.  
المعجزة لا تنتزل من السماء، تصعد من الأرض إلى السماء.  
الشعب حين يهب أبياً، لا يحتاج إلى لحم وخبز، ولا إلى منجنيق ودبابات وضبور... بل  
يحتاج إلى غاية وهذه الغاية انبثقت من في الثائر وتجسدت في تبوك.  
تخففوا تصلوا، خبزكم الصوم، وماؤكم الصبر.  
تخففوا تنتصروا، السيف سلاحكم، والدرع والراحل<sup>15</sup>.  
ليس على الأعمى حرج.  
ليس على الأعرج حرج.  
وبكى الأعمى والأعرج، فاعتذر واتلج.  
عندما قال الثائر: أوصيكم ثلاثة: رحالكم، سيوفكم، وشهادتكم. ردد رحالكم ثلاثاً، فتبلغ القوم  
أن الطريق بعيد وشاق.  
الطريق إلى تبوك ليس رحلة استجمام، إنها رحلة حمام. ليس ختامها وتراً وبلوراً، ختامها دم  
وتتور.  
الطريق إلى تبوك، كالطريق إلى "كان". تلك جحيمها من جليد، وهذه جحيمها من نار.  
روما ليست أشقى من البيداء. من خرج من الربع الخالي حياً، صار ع الموت وصرعه.  
الجيش... وتفتحت ادران الجنود تمطر شهداء، وتهطل حرية.  
من لا رحل له لا يأتيني ساعياً. خففوا عني، ومن أراد الرحيل وله قدرة على السؤال،  
ليأتي منزل عثمان بن عفان فقد نذر «ألف دينار» للثورة.

إن عثمان صراط الحرية، فقد باع كل أملاكه، وحمل صليبه وتبعني، فطوبى له...  
الحرب إرادة الكل. كل ساعد ضرب بسيف، فهو جندي. وكل عين فتحت صناديقها، جندي،  
وكل قلب بعث فلذة، جندي.  
وتوافد الرجال على القائد الزعيم، تجذبهم الشهادة، وحفنة من تمر.  
لم يكن للرجال من طمع في الدنيا. مجمل طمعهم أن يرافقوا الثائر في السماء، ومثلما رافقوه  
على الأرض.  
الشهادة باب السماء، فمن أين دخولها إذا كان الباب موصداً مرصوداً؟  
وسعت الناس توقع اسمها في سجل الخالدين، وتحجز لها مكاناً في جيش الفتح.  
لم يتخلف ساعد يمتشق سيفاً، الجميع جاء، والجميع تدافع بالمناكب في صفوف بديعة النظام.

<sup>15</sup> الراحل: جمل، بعير

واحتشدت الغايات، وتحاشرت الهمم.  
الشهيد الأول في جيش الفتح كان ذاك الفارس الذي فسح الفرصة للآخر، ووهبه دوره في الشهادة، وقال: اذهب مبارك عليك النصر.  
وتأخرت شمس ذلك اليوم حتى غابت. مع غروبها كان سبعة من الفرسان لم تكتب لهم فرصة الجهاد، إذ لا رواحل لهم تحملهم.  
لم يحصلوا على إذن التأثر بالمرافقة، حصلوا على عذره... فقد توزع الفرسان على الرواحل ولم يبق مكان في الجيش يتسع لسبعة.  
وهل يضيق الخميس<sup>16</sup> على سبع؟  
لا يضيق، يومها ضاق.  
يضيق...؟ الجيش الزائد مضره كالجيش الناقص. لم يهزم روما إلا عرمرم الكثرة! سلوا حنا بعل، وسلوا خالد، سلوه.  
اعتذر قائلاً: «لا أجد ما أحملكم عليه» فتولوا «وأعينهم تفيض من الدمع حزناً»؟  
«اثنان منها التقيا ابن يامين ييكيان»  
فارسان ييكيان، انه لأمر عجب! «وما ييكيكما» سألها؟  
قالا والغصة تذهب بالصوت، جئنا القائد الزعيم ليحملنا للحرب، «فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه»  
«فأعطاهما ناضحاً<sup>(1)</sup> له، فارتحلا، وزودهما شيئاً من تمر» فعادا يلحقان بالجيش يهزجان:  
ليبيك تراب بلادي،  
ليبيك تراب بلادي.

أبو ذر:

**"إنما كنا نخوض ونلعب"**

يتأول المتخفون من الأعراب: «أتحسبون جلاد بني الأصفر<sup>17</sup>، كقتال العرب بعضهم بعضاً»؟!

ونقول: لقد لوينا الزند المتعجرف، وكسرنا الساعد حامل الزند، ولم يبق أمامنا سوى تحطيم رأس الشر.  
لقد انتصرنا على أعداء الداخل المتغطرسين، والذين يمشون في الأرض مرحاً، ولم يبق لنا قبلة إلا أن نلقي روما خارج مجمع الأحرار. لقد سحقنا رأس الأفعى بقدم ثابتة، وانتهت غايتنا عند حدود سلخ جلدها وكلسه بماء الملح خشية خروج الدود ويأكل الأرض فساداً.  
أعداء الداخل أشد بلاءً من أعداء الخارج، ومتى انهزم الخونة العملاء، سحق عدو الخارج.  
نحن لم نقاتل العرب، نحن كنا نبتر الأعضاء السوداء من جسد الأمة. العضو الميت لا يعالج، يبتتر، البتر لا يتقدمه المخدر أو يتأخر عنه، يتقدمه المبضع، وتتأخر عليه النار.  
ولفظ العرب السقام، وانتفضوا ثائرين يطهرون الأرض ويجلون العار عن التراب العربي، ويحملون للعالم مشاعل السلام.

<sup>16</sup> الخميس كناية عن الجيش.

<sup>(1)</sup> ناضحاً: جمل يسقى عليه.

<sup>17</sup> الأصفر كناية عن الروم

بلبل المنافقون: لقد هرب فلان ومال زيد وفر أبو ذر. لم يهرب ولم يمل ولم يفر، لقد أبطأ راحلي وتأخرت أعاليجه، وعندما يأسست وقطعت الأمل، قطعت الظن باليقين، وأخذت مناعه ولحقت الجيش ماشياً.

بلبل المنافقون وأشاع المجرمون، والإشاعة أشد قتلاً من القتل لو كنتم تعلمون. بلبلوا وقولوا الثائر ما لم يقال: «دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الواحد بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم منه» أشاع المجرمون وروج المغرضون، ولكن الأفئدة كانت قد تفتحت ولم يعد فيها متسع لإشاعة، فقد ملأ الفعل الكوني «كن» الكونين: الأكبر والأصغر.

إن كتب علينا الصبر، فمن كتبه للآل ولاليل والخيل؟  
إن كتب على جبيننا النضال من أجل الحرية وإعتاقها من سجون روما عدوة الحرية صديقة العبودية، فمن كتبه على الأنعام!  
لقد كتب علينا الصبر لنذكر النصر، فأين المفر؟ حتى الموت لن يجد لنا سبيلاً!  
عندما تأخذ الحياة حقها منا، وعندما نرد للحياة كرامتها، سننقدم من الموت شامخين، وسنرد له كرامته.

الحياة ليست لهواً ولعباً، ولا الموت. الذين يأتون الحياة جداً ووقاراً لهم الحق أن يحظوا بشرف الموت، فطوبى لهم عندما يصافحهم الموت.  
لا يصافح الموت الأيدي الخائفة السوداء، يصافح الأيدي البيضاء صانعة الحياة.  
«إنما كنا نخوض ونلعب»، هذا جواب أبناء الظلام، عندما يواجهون أبناء النور. أبناء النور يقولون: إن الحياة وقفة عز فقط.  
المال والبنون... وهذا كلام خفافيش الليل، أما النسور فإنها تزرق قائلة: نموت واقفين ولن نركع.

السلطة والإمارة... وهذا خطاب جرذان الثرى. أما البزاة فتتمرد وتقول: سننحني، شرط أن لا تلامس جباهنا الوحل.  
عندما يقف الصمت خطيباً، عندما يعتلي متمرداً، حين يتولى شطر الأمة ثائراً، يخرس الرعد، ويذوب الجليد.  
يتكلم الصمت وقت تعمل أيدي الحصاد.

كعب بن مالك:

### "العقاب"

الخطأ فضيلة... فمن يعمل يخطئ.

من جنح، فعقابه عمل اجتماعي، ومن اخطأ، فمقاطعة حياتية واجتماعية.

من يخطئ في عَرْض الثورة جنحة لا عقاب عليه، العقاب للمذنب في جوهر الثورة.

من نشد الإمارة، ينشد سوم العذاب.

الناس مقامات، إذاً العقاب بمقاماتهم.

الناس درجات، وكيف يستوي عقاب الذين يعملون والذين لا يعملون؟

المواطن، الأخ الثوري ليس هو، هو المواطن. والمواطن المسؤول الثوري، غيره الأخ

الثوري. إذاً، العقاب أولاً للمسؤول الثوري، وأخيراً للمواطن.

الإنسان الكاذب، لا عقاب للكاذب، كذبه عقابه.

الكامل يتناول كأسه بيده، وهو يسهر على عقاب المخطئ الثوري.

الكامل المخطئ هو السجن والسجين والسجان. هو المجرم والأدعاء العام، ومحام الدفاع

والقاضي وهيئة المحكمة والشهود.

من كانت له قدرة على العقاب ليخطئ.

العقاب للكامل ذو الضمير المتقدم، كالماء للتراب.

الأخطاء مستويات، إذاً، العقاب مستويات.

إذا كان عقاب القتل، القتل، فإن عقاب الوطن المقاطعة الثورية والاجتماعية.

القتل للمذنب خلاص للمذنب. لا تقتلوا المذنب قاطعوه.

المجتمع الثوري لا يقوم ليحيي العقاب.

المجتمع الثوري لا يعرف معنى الرذيلة، فكيف يعرف العقاب؟ لا يعرف الرذيلة إذاً، لم يسن

قانون العقوبات. لم يسن قانوناً للمذنبين الأثمين، استنّه للكاملين المعصومين.

المجتمع الثوري لم يقل: القتل بالقتل... بل قال: «ولأن صبرتم لهو خير للصابرين»

المجتمع الثوري لم يجلد المرأة، ولم يرحمها. بل امسكها\* فامسكوهن في البيوت حتى

يتوفاهن الموت\*

في المجتمع الثوري، لا يخون الثوري وطنه. أو يوارب، أو يتخلف، الخيانة لا مساحة لها في

صرح الوطن. والأثم المتخلف عقابه المقاطعة والاجتناب. إنما العميل الخائن رجس من عمل

الشرير، فاجتنبوه.

المقاطعة العقاب، مرارة ليس بعدها مرارة. إذاً، مستحيل الخطأ على الكامل الثوري، انه

معصوم.

وتخلفت إلى تبوك واثنين من الاخوة الثوريين، فكان عقابنا الفصل عن جسم الثورة لمدة

خمسین يوماً، شهرين.

قال: تخلفتم من الزود عن امتكم، إذاً، تخلفوا حضوراً إلى المسجد. لا كلمة لكم تسمع، ولا

رأي يطاع.

تخلفتم... وحدكم تمشون، وحدكم تقيمون، وحدكم تموتون. لا فم لكم يتكلم، ولا أذن لنا

تسمع.

وفُصلنا عن جسم الثورة، واجتنبنا الناس دهرأ، فالخمسون يوماً تساوي دهرأ في حسابنا.

واجتنبنا الناس، لا يحيوننا، ولا يكلموننا، ولا يقرّبوننا.

ونحيهم فلا يردون، ونكلمهم فلا يسمعون، ونقربهم فلا يشعرون.

خمسون يوماً، علمتنا قيمة المجتمع، وقيمة انتماء الفرد للمجتمع.

خمسون يوماً، اكتشفنا قيمة الانتماء، وان الفرد مهما أوتي من سبل الحياة، لا يستطيع الحياة

خارج حدود المجتمع.

خمسون يوماً، أكدت لنا ان الشعور القومي هو جوهر شعور الانسان، واساسه ونواته. وشربنا الماء ممزوجاً بالخل، وأكلنا الخبز معجوناً بالملح. أقدر أن أجزم لك أن أفواه الثوريين، إخواننا، كانت مرة نتنة كأفواهنا، لهذا كانت الثورة برمتها تحرص على الصواب وتتميه، إذ أن خطأ الفرد هو خطأها، وعقابه عقابها. إذا كان الوطن للجميع، فالألم للجميع. وإذا كان النصر للكل، فالعقاب للكل. حركة واحدة، صوت واحد، وكيفما تولوا فتمة وجه الوطن. هي شبه الجزيرة امتنا، وتحررت. هي دولتنا وعاصمتها مكة، وتألفت. إليها نسعى، ومنها تشع الحرية.

عبد الله بن أبي:

"قلو أعلم إني إن زدت على السبعين غفر له، لزدت"

أتصلي على عدو الله؟ سأل عمر. فقال الثائر: «يا عمر أخر عني، إني قد خُيرت فاخترت. قد قيل لي: استغفر لهم، أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر لهم، فلو أعلم أي إن زدت على السبعين غفر له، لزدت»

«ثم صلى عليه»

الحرية مطلقة، جوهر كامل، مصادرة العقلين النظري والعملي. إزاء الموت يتساوى الناس، والناس والموت يتساويان أمام العدل الثوري. ابن أبي إنسان، ومحمد الثائر إنسان، وهما يتساويان بالموت. غداً، فالقاضي الذي يدينه يدينني، والرحمان الذي يثيبه يثيبني. ربما كان هو من أهل النعيم، وربما كنت من أهل الجحيم، ولكن النعيم والجحيم هما نفس الرحمان، وفكر الرحمان. هذا، والنعيم ليس بأكثر من الجحيم، ولا الجحيم بأقل من النعيم، الجحيم والنعيم واحد ومثلما الحق هو واحد. لو كان النعيم والجحيم جوهرين متباينين مختلفين، وحظي ابن أبي بأحدهما، لندم طامعاً في الآخر، وهذا ليس عدلاً، إنما هما واحد، إذاً، ما من حسرة.

إذا تساوى الناس أمام الموت، فلا يعني انهم يتساوون بالمرحمة، فقد عاش ابن أبي كافراً فليمت على مرحمة الثائر، وهكذا يكون قد ذاق كل أنواع الوجود. كانت وصيتي: الموت على نهج الثائر، ومت بوقيت الوصية أمانة في أعناق أهل بيتي، وحملوها إلى الثائر، فجاء يسعى ويجهد، فاعترضه عمر قائلاً: اتصلي على عدو الله؟ ومن قال إني عدو الله؟ وهل لله أعداء؟ وكيف؟ فإذا كان له عدو، فهو الله عدو؟ إذا كان هو عدواً أيضاً؟ إذا هو ثنائي الوجه، وبذلك لا يتباين وفكر الصابئة. وإذا كان متعدد الوجوه، إذا، تارة يكون جميلاً، وتارة أخرى قبيحاً؟ مرة يكون حقاً، ومرة ثانية يكون باطلاً؟ حيناً يكون خيراً، وحيناً آخر يكون شراً؟

إذا كان عيسى يرد العداوة بالمحبة، فهل الصمد من الضعة ليرد العداوة بالعداوة؟ إذا كان عيسى يصلي لمبغضيه، فهل الصمد من الصغر ليرد البغضاء بالبغضاء؟ إذا كان الثائر يدفع السيئة بالحسنة، فهل العظيم من الضعف ليرد السيئة بالسيئة؟ إذا كان الثائر لا يبسط يده ليقتل، فهل العظيم من النقص ليبسط يده بالقتل؟

ومتى تجسد الله في جسد رجل الدين ليوزع الناس أهل جنة وأهل نار؟ إذا كان لم يتجسد، فما الثائر إلا رجل مثلي، له ما لي أمام الموت، وعلي ما عليه؟ هل الثائر ملك ليعلو فوق الشرع؟ هل الثائر حاكم عربي في الزمن الرديء ليشوّه القانون لصالحه؟ الثائر نبي، لهذا فقد بلغ الرسالة مختومة، وكان ختامها مسك. \* فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب \*

وبلغ الأمانة كاملة، وبلغت، ومثلما أوحى إليه، أوحى إليّ، وأوحى إليك، وله \* إنك لا تهدي من أحببت\*.

مشيئته أن يكون نور الأمة، ومشيتي أن أكون ظلامها؟  
مشيئته العصمة، ومشيتي الزلل؟  
مشيئته التسامح، ومشيتي السؤال؟  
وسألته، وسامحني، فلماذا اعترض عمر؟ ما ضرَّ عمر؟  
وأذكر عليها نفعت الذكرى\* قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد، لكم دينكم ولي دين\*.  
سأله الفاروق وسألته، وكنت أقرب إليه من صاحبه.  
سأله: أتصلي على عدو الثورة، عبد الله بن أبي؟  
فقال: يا عمر أحر عني.  
وصلى الحق كله على الباطل كله.  
وغفر الحق، إن الحق كان غفوراً.  
ودخلت في الصمت مطمئناً، انتظر الساعة لأقف والمحبة وجهاً لوجه.

**ثابت بن الشماس:**

**"ضربت إليه وفود العرب من كل وجه"**

أكبر أعماله الإيمان ببلاده، وأصغرها النصر.

أوسع عرشه الأرض، واضيقه أمة عربية حجازية.  
قبل أن يصل، كانت بلاده مجزأة بين القيصر وكسرى، وحارب القيصر وهزمه، وهزم كسرى فتحرر واحداً واحداً وحيداً.  
قبل أن يبرز، كان شعبه مشردماً، تمزقه الطائفية، وتملصه العادات والعبادات، تتحكم به الآلهة، وتديره المجوس، وتجره روما. وعندما اشرق وطلع الصباح، مسك الرياح، فاستيقظ وأيقظ الشعب، وهدم الآلهة، فتحرر.  
الأرض كوكب الحياة، والناس أنوارها، وما مكة إلا نواة العالم تشع نورها على الكون، واليها عيون الأمم تتجه... هذه غايته.  
كان يحب أن يصنع النصر، وكان يتقن صنعته، وكان يعرف، وكان أحب إليه صنعة، وبقدر حبه كان يكره المديح، ويمقت الإطناب. كان يؤذيه من يأتيه مفاخراً، لأنه كان يخجل الحديث عن نفسه وعلى نفسه، لأنه كان فاشلاً فيه ولا يتقنه، فالعمل برأيه إتقان.  
كان يتوق للقوة، لذلك آخى بين مدن شبه الجزيرة. أخاها بالسيف المؤيد بصحة العقيدة. الإخاء الأخير كان بالمحبة، وسيأتي إخاء القومية، ستتأخر قليلاً، وستشوه، إنما ستأتي.  
آخى بين المدن مثلما آخى بين الناس. الناس أخوة الفكر، يتقاسمون الواجب أحراراً، ويتوارثون.

وانتهت مدن شبه الجزيرة خالصة إلى مدينة واحدة، يوحدتها الفكر الجديد، ويرعاها العدل، ويقودها الحق من نصر إلى نصر، وكلما قضى نصر بدا له آخر. وكلما قضى له نصراً ضربت إليه وفود العرب من كل وجه تدور حوله، وتدور معه في فلك واحد كقرص الشمس. إن كانت العين تقدر أن تفرق بين القرص وهالته، تقدر أن تفرق بين الثائرين والثائرين المقبلين على الدعوة. الثائرون هالة الفكر الجديد، دين العالم وعلمه. غداً، سيغدو العالم قرية نائرة. جميل يسوسه الخير، بهيا يرعاه الحق.  
لم يبرر هزيمة، لأنه لم يهزم، ولم يعتذر فلم يخطئ، ولم يلم... المسؤولية هدف وقرار: يرى، ينظر، ينفذ.

اختارني لأرد على خطيب العرب، ومثلما اختار حسان ليرد على شاعر العرب عندما جاءت أفواجاً أفواجاً وتدخل في الثورة.  
كان حسان غائباً، فجاء يهزج:

## «بني دارم لا تفخروا إن يعود وبالأ عند ذكر

من دخل في الثورة، لا يعني أن صباحه الضحى، ومساءه الفجر. إن روما ما زالت في الشام تتجس التراب وتلوث الماء، وتقصد الهواء.

الدخول في الثورة لا يعني أن النصر يأتي مجاناً من الغيب. الخمول هو الغيب، الخمول لا ينتج هممة، الهمة تأتي النصر لمن يريده.  
من جاء إلى الثورة يسعى، ليختار إحدى الجيوش: إلى اليمن بقيادة علي بن أبي طالب، أو إلى فلسطين بأمر أسامة بن زيد، أو إلى تبوك بقيادة الثائر نفسه.  
الجيوش الثلاثة بقيادته. هل قرأت في طول التاريخ وعرضه عن قائد يقود ثلاثة جيوش وكل جيش في ناحية من نواح الأرض؟ لهذا هو الزعيم الثائر...!  
من جاء يرغب بمال وبنين، فالحرية هي الحرية والطعام قليل. الثورة عظيمة قوية، فلا تضم تحت جناحيها الضعفاء والفقراء. الضعفاء يتحطمون تحت الأجنحة القوية.  
الثورة عظيمة غنية، غنية المادة، غنية الروح، والغني يزداد والفقير؟ وما أغنياء الروح أرفع درجة من أغنياء المادة، المادة عظام الثورة ودمها، والروح وعيها وفكرها. المادة تصون الروح، والروح تدع المادة وتطور.

لا تمضي روح النبوة مع المادة ابدأ، فكما ان المادة تولد جديداً من جبلة جديدة، هكذا النبوة تولد جديداً من رميم النبوة القديمة، والمبعثرة في الفضاء.

عمر النبوة ألف سنة.

المادة لا تموت، تتناسخ. والروح لا تقنى. تتقمص.

هكذا كان الحلم حين كنا نحن نهزج ونرجز.

## ضمام بن ثعلبة:

"إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة"

ليس كل من جرى منادياً: الثورة، الثورة... حصد.

ولا كل من استشهد خلد.

من ينادي: الثورة، الثورة، يجب أن يكون حصاده زرع الآباء والأجداد.

من ينادي الثورة، الثورة، يجب أن تكون مناداته لإيقاظ أجيالاً لم تولد بعد.

أن تتور، يجب أن لا يحرق زوجك بعد موتك كتب الثورة. القرآن والإنجيل، والقلم.<sup>(1)</sup>

أن تتور، فيجب أن لا تدع مع الثائر ثائراً آخر.

أن تتور، يجب أن تشهد أن الثورة واحدة، وأن الثائر الزعيم واحد.

أن تتور، يجب أن ترضى بتغيير وجه قلبك، قبل أن تغير وجه اسمك.

أن تتور، يجب أن اهدم الصنم الذي تحمل في باطنك، واكسر الوثن الذي تتقل في قلبك...

وقبل أن يهدمهما ابن الوليد بإشارته.

أن تتور يجب أن تهمل النسبي، واسعى إليه وجسدك يحجبه الثياب.

أن تتور، يجب أن تكمل الثورة، اثر مغادرة الثائر، لا أن ترتد، وهل تعلم أن الارتداد أشد

عبودية من العبودية.

أن تتور...

الثائر، الثائر، هو من سلم الناس من عينه ولسانه وقسماته.

الثائر، الثائر، هو من مشى شمعة، وقعد سيفاً، ونام وطناً.

وثر، وكان أول ثورتي أنني قلت: «بئست اللات» «بئست العزى»

وعنفي قومي وأهل عشيرتي: «يا ضمام اتق البرص، اتق الجنون»

اتقي البرص، وبرص الأمة من بيرئه؟ قد براه الثائر.

(1) كناية عن الحديث النبوي الشريف.

انقي الجنون، وجنون الوطن من يشفيه؟ قد شفاه النائر.  
وعنفني قومي وخسرثهم، وماذا ينفعني قومي؟ وماذا ينفعني لو ربحت روما وخزائن روما،  
وخسرت وطني؟  
«إن صدق ذو العقيصتين<sup>(1)</sup> دخل الجنة»، وصدقت، ليس طمعاً في الجنة، بل طمعاً بوطني،  
أرض الخير.

الجنة للناس الذين ما زال في قلوبهم مرض، وليس للصادقين!

الجنة؟ وما تساوي الجنة للعلماء المتبحرين؟  
الجنة للناس، أما نحن فلنا الناس، ولنا الثورة، ولنا الوطن.  
الجنة للناس، أما نحن فلنا الثورة لا طمعاً، ولا خوفاً. من جاء الثورة طمعاً وخوفاً... نؤتيه  
الجنة مجاناً وليس له في الثورة سهم، ان الثورة غنية عن الطامعين.  
من وفد نحونا رهبة نحن نطمئنه، لا تقد، وليسكن قلبك.  
وُجدنا أطباء المرضى، وجنود التراب، لكن إذا فقد الناس، فما قيمة التراب؟  
وُجدنا شموع الأقوياء، نقودها من نصر لنصر، هلموا إلينا لنخرج من بحر الظلمات  
إلى أوقيانوس النور. هلموا فالوقت ضيق، والأمر عصيب.  
وُجدنا أحراراً في أمة حرة، ولا من مكان للجبناء عندنا. أقصوهم عنا!  
وُجدنا مشاعل القمم، والأرض التي وطأتها أقدام الثوار مقدسة.  
والأرض التي وطأتها أقدام العرب تنقدس.  
تسابقنا القداسة إلى الأمم،  
وتغالبننا الحرية.

**عدي بن حاتم:**

"اليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه"  
قليلاً ويمضي، قليلاً وتقوم دولة السلام.

وقليلاً حلم عيسى يتجسد.  
لقد انتظرنا ستمئة سنة ونيف حتى جسد الحلم محمد، فكيف نفقده؟  
لقد فهم الدولة القائمة، الفنية، بقدر ما يهيئ لها من رباط الخيل، وبقدر ما يُعد لها من مجانيق  
ودبابات.  
دولة قائمة، يعني أن الهواء مشبع بثقافة رفيعة. يتنفس فكرها كل انف أنيف، ويعني أن الماء  
يجري علماً ويشربه كل فم سقط رأسه في هذه الأرض.  
ولاحت لعينيه ألويتها خفاقة من وراء الصباح الآتي زهواً، وفخراً واعتزازاً.  
الدولة القادمة شيوعية الكلا، والماء والنار. ذات شعب مثالي. لا نظام لها ولا دستور. نظامها  
ودستورها وجدان ثوري يتقد ولا ينطفئ، يدفع الحسنة ويحقن السيئة.  
الدولة الآتية، جميع أبنائها منتجون: فكرأ، وغلالاً، وصناعة... لهي دولة حية الدولة الآتية،  
الفائض العام من عسلها يذهب للملكة، وترميه الملكة حرة، رخيصاً للدببة، أو تهبه مجاناً، أو  
تأمرنا فنأكله، هي مخيرة، شرط أن نستحلب الأزهار بدلاً.  
لماذا المال؟

المال عصب الدولة، لا شك. المال للناس، إنما كل بحاجة له! المال نتاج القناعة، إذا هو  
مصرف القناعة، ومصرف الحرص... فأن يكون في الجيوب أم في خزائن بيت المال، سيان.  
المال، إذا لم يتحول إلى حاجات، فباطل رخيص، لا قيمة له. فما قيمة الذهب إذا لم يتصاعد  
خبزاً وخمراً، ويتحول قرطاساً وقلماً؟

(1) العقيصتين: عقيصه: جديلة شعر.



دولتكم التي أعدكم «ليوشكن المال أن يفيض فيها حتى لا يوجد من يأخذه»

هي بلادكم الموعودة، طرقاتها من فضة، وجدرانها من ذهب.  
فضة وذهب مما الخوف، من لصوص الليل؟ اللصوص إما غادروا مع روما إلى ما وراء  
جبال الألب، وإما برأت أدرانهم وطرد منها الشر، وعادت إليها الروح تتماوج وتدفع إلى الشاطئ  
الدرر والجواهر.

وماذا يسرق اللص؟ ولماذا يسرق؟ ليسرق، فمن يشتري؟  
هذه دولتكم المنبثقة من رحم الظلام، لا أبواب لها ولا نوافذ. أبوابها الشمس، ونوافذها الريح.  
هي دولة تمتد اطمئنناً من هنا وحتى أطراف الرمال حيث تشرق شمس الشمال على سقيمة،  
وتنتظركم لتتفضوا عنها غبار السنين المتركمة تراكم روما.  
دولة تتفرد أجنحة... أجنحة من عصافير، وأجنحة من فراشات. وهي، هي فراشها ريحان،  
ووسادتها ريان.

ينام عليها الذئب والحمل.  
ويرافقها السبع والغزلان. دولة ليلها سمر، وصباحها سحر.  
اسمع... هل تسمع خفق القلوب؟  
«ليوشكن أن تسمع المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت... لا تخاف»  
ومما تخاف؟

فقد انتشرت السيوف عيوناً.  
وفرت روما جنوناً.  
الدولة التي تسمع خبط أقدامها، أزهرت في أفواه الأمم وأثمرت. ألا ينتاهي إلى فؤادك صوت  
الأطفال يستغيثون لتأتيهم غزاة إشرافاً مع ألعابهم، وقبل أن تنتهي عيونهم الأحلام؟  
ألا ارنوا، فالنساء تستتجد! أدركوا الشرف الرفيع قبل أن يمضي الحلم، وتدوسه روما،  
وتخنقه الأيام!

انظر إلى حديث السيوف عند مشارف معمودية النار فوق روابي اليرموك، ونسيم  
الأديرة يتجاوب بين الأرض والسما والدموع رهبان مشتاقة للحرية؟

اسمع الرجاء يسأل.

واسمع الحجارة تضحك.

اسمع «ليوشكن أن تسمع القصور في ارض بابل قد فتحت عليهم» وحواريها بين فتى  
وشيوخ يعمدون الوافدين بالماء قبل أن يعمدهم عيسى بالروح.

ونهر الأردن يتحول إلى خمر مرة، وإلى حبر مرة، ومرة ثالثة يثور ويغسل الدماء التي  
تتدى خجلاً من البيض سيوفكم، وتكونوا انتم فوق الخيل تهزجون: لبيك بابل، لبيك النداء!

**فروة بن عمرو الجذامي:**

**"الوطن اكبر من الدماء، إذأ..."**

رخيصة الدماء.

الأمة غاية.

الأمة رسالة.

رسالتنا أن تكون لنا الأرض، بدايتها ونهايتها.

وغايتنا ان نسوسها بالحق، ونقودها بالجمال، ونملأها بالخير.

مظلومة الأرض، تتادينا، فكيف نصم الأذان؟

عبيد الأرض يلفظون الأنفاس الأخيرة، فكيف نغل أيدينا؟

لقد تفتحت قلوبنا على الوطن، إذآ، الأمم أوطان لنا، فإما الموت، وإما الوطن! وهل تذوقتم طعم الموت؟ إذا لم تتذوقوا لا تتكلموا عليه؟ وليس من عجب أن تخشوه، فلا غاية لكم. ليس لك غاية في الحياة؟ لا تتصح، فنصيحتك ثمرة مرة قد رذلت ثقلها أمها. كيف يسعد إنسان دون هدف؟ ما قيمة الحياة لامرئ لا هدف له؟ ربّ هدف ملك الكون. عندما تفتح قلوبكم على الوطن تعشقون الموت. حين يناديكم الوطن، فالموت لكم عشيق، يساهر ويسامر. الوطن أكبر من الدماء. إذآ، رخيصة هي الدماء. الروح بقضيتها، بقدر ما تكبر القضية تكبر الروح. أحلم بوطن عرضه السماوات والأرض، حتى أزيدك من روعي روحاً. «كنت عاملاً للروم على ما يليهم من العرب، وكان منزلي مُعان، وما حولها من ارض الشام» وكانت روعي صغيرة، وضيفة حقيرة. كنت دون غاية، وكنت أنام كرهاً، وانهض قرفاً. موهناً، نهضت على جسدي يتصدع وكان العملاق الكامن داخل نفسي يخرج من قمقم الجسد. قبعنت في زاوية منزلي، ارجف، وكنت خائفاً متدثراً. وسمعت صوتاً يناديني: أيها المدثر، قم وانذر... ولم اركن، ولم اطمأن حتى بعثت رسالة إلى الثائر، أسأله التوبة، وأعلن ثورتي. عندما بلغ الروم مرادي، غايتي وثورتي، «عندما بلغ الروم ثورتي سجنوني» وكانت زنرانتني ضيقة، فوسعتها بالشعر، «فضربوا عنقي» «ثم صلبوني على ماء عفراء، في فلسطين» صلبوني، ولست الأول. الصليب مبدأ روما ترفعه دائماً بوجه الثوار الأحرار. وما صلب ابن السماء إلا ليذكرنا بالمجرم. الصليب حافز للحرية، وليس للعبادة. صليب روما عبودية، ذل وعار... وصليب عيسى محبة وحرية. صلبت قبل أن التقى الثائر، لكنني ثرت، ولو لم يكن على يده، أو من فمه. لقد ناداني أجدادي... دولة اسرحدون، نبوخذ نصر، وأشور باني بال... ولبيت النداء. لقد نادتني أليسا، واستشهدت على الصليب. لقد ضرب قيصر روما عنقي، ثم صلبني مثله. لكنني لم أقم في اليوم الثالث. تأخرت قيامتي قليلاً. استشهدت... ولا أدري إن كنت خاتم المصلوبين. استشهدت... ولا أدري إن كنت بلغت الأمانة. ليس رجماً بالغيب، ولا تكهناتاً بالصباح... لكنني اجزم، لقد وضع الثائر حداً للقيصر. غلّ يديه، عقل قدميه. والأففاص التي جلب القيصر الوحوش فيها إلى بلادنا، ردّها الثائر محمد، وردّ فيها القيصر إلى روما، وحرر الوحوش. الناس لا تخشى الوحوش، تخشى القيصر، وتخشى كسرى.

لا تدب الوحوش على وجه البسيطة، ولا تخرج من درك الأرض أو تنزل من أجواز السماء،  
تدب الوحوش في صدورنا.  
الجهل هو الوحش الأكبر.  
لقد انقرض الديناصور، حين بدأ عصر القراءة مع قدموس.  
وتوارى التتین، عندما ولج عالم العلم، البعل مار جرجس الخضر.  
اطردوا الوحش القابع في ذاتكم، اضمن لكم الوطن. واحرص، أن تلتقوا الرب محمد.

### عمرو بن حزم:

وقود الكون هو الضريبة، بها يسير.  
أسمائها كثيرة، متباينة متوافقة.  
أول أسمائها خوة.  
يطلقون عليها فريضة.  
وعرفت في التاريخ الجزية.  
وكنيت حصة الملك، وأحياناً، صفة القائد.  
ودلها الحاكم ضريبة، وهي المتعارف عليه اليوم،  
أسماء كثيرة مختلفة لمسمى واحد. واقتراح عليكم أن تنادوها ومثلما ناداها زكاة، وزكاة  
الزهرة عطرها.  
وزكاة الغيوم المطر، وزكاة الأجسام الحية الندى.  
لا تذهب الزكاة سدى، بل ترجع إليكم خيراً، وتعود بعد أن ينقد موظفو الدولة بعضها. مثلما  
أن لحصادكم طيور تركيه، للدولة طيورها.  
يسير الكون على الضريبة.  
الأجرام تتبادل الضريبة، نوراً وصراطاً.  
العصافير تأخذ من الأزهار ضريبتها وشرط الأزهار على الأجنحة ان تتلون بألوانها.  
والسبع يصادر ضريبتها من جماعة الغزلان، وشرط الغزلان ان يصطادها السبع جوعاً  
وكفافاً، وليس غضباً وقتلاً.  
والإنسان يأخذ زكاته من التراب، وشرط التراب أن يعود الإنسان إلى أحضانه ويعيش في  
بواطن أسرارها، وكما عاش فوق أديمه.  
إن انتحر الإنسان ما من تراب يواريه،  
وإن قتل السبع غضباً قُتل.  
لكل زكاته، إن قدرت أن تحصي موجودات الوجود، أقدر أن أقول لك ضريبة كل موجود.  
هذا، والزكاة ليست محصورة بين صنفين اثنين من أصناف الوجود. الزكاة من الكل وللكل.  
الكل في سبيل الفرد، والفرد في سبيل الكل. وزكاة الفرد الشهادة في سبيل الدولة، وزكاة الدولة  
مجتمعٌ كريمٌ، شريفٌ، سيدٌ وحرٌ.  
الزكاة كتاب، وما قيمة الكتاب إذا لم يقرأ؟ وما قيمة الزكاة إذا لم تجنى؟  
الزكاة دينار، وما قيمة الدينار إذا لم يتحول إلى حرف؟ وما قيمة الحرف إذا لم يتحول إلى  
كلمة؟

الزكاة حقل أينع شطأه، وما قيمة الحقل إذا لم يُحصَد؟  
الزكاة للأُمم الحية كأنهر التراب، إذا جفت الأنهر تصحرت الأرض، وإذا بطلت الزكاة زالت  
الأمة واستعبدت استعباداً.  
الزكاة أو كسجين الدولة العظيمة، إذا فسد الهواء فسدت الدولة دوداً، بعضها يلتهم بعض.  
الزكاة وما الزكاة؟ الزكاة خميرة العجين، وحجر الزاوية، وملح الأرض.  
ألا يعينيك أن تساهم بحفنة خمير للعجين القادم؟ ألا يهملك أن تهب حجراً من مقلع كونك  
للصرح الآتي؟ ألا هب قبضة ملح!

إن وافقت، فاحرص أن تكون قبضتك من قروشك البيضاء، فمثلما الذهب لا يخالط المعادن الرخيصة، هكذا الدولة الناهضة لا تخالط القروش السوداء.

تعيش الدولة العاجزة العليلة على المنحة وعلى المساعدة، ويعيش أفرادها على الإعاشة، أما الدولة القوية فتحيا ولا تعيش... تحيا على الزكاة.  
الأغنياء الذين يفرّون من الزكاة، مرضى. مرضهم الخيانة، لا صباح لهم ولا دواء، دواؤهم السيف، يُقطفون قطعاً بالسيف.  
تنهار الدولة... بداية انهيارها الطبقة المترفة، الغنية. الدود أسرع إلى الأغنياء منه إلى الفقراء.

الفقراء سفينة النجاة من ركبها نجا.  
لا يوجد أغنياء في الدولة الفتية، الأغنياء قد باعوا أملاكهم للدولة، وهم بين السواعد والعقول، سواعد وعقول يغدون.  
تريدون دولة فتية؟ ابتروا دابر الأغنياء، الأغصان اليابسة على شجرة الحياة.  
سؤال الرجل... عمله،  
سؤال المال... مبخوع،  
سؤال الصحة... مفجوع،  
وسؤال العمل... مرفوع،  
جاء في كتاب الزكاة: البيادر إذا لم تذهب بعض غلالها بركة، لا بركة فيها ولا خير.  
كل له حق في السواعد المنتجة، والسواعد والكل لهم حق في أفواه الطبيعة وأثائها، الطبيعة امهم، تزقمهم وترضعهم،  
تأخذون من أمكم مجاناً، مجاناً هبوا.  
أكثر الأشجار ثمرأ؟ تلك هي شجرة الزكاة.

أسامة بن زيد:

"أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين"

أسامة يحدثك عن أسامة بن زيد نفسه.

آخر كلامه تحرير بلاد الشام.  
لقد قام بحرب التحرير، تحرير العالم العربي، فتى، حدثاً، يافعاً، ومذ أن أرسله جده إلى الصحراء ليرضع السيف من صدر حلقات الرمال.  
حين بدأها، كان بعمر أسامة يوم ولده إمارة جيش الثورة. الحدث يقدم لا يهاب الموت، يهاب الهزيمة! الفتى، مجازف يهوى الصعاب. ألم يشهد التأثير حرب "الفجار" ابن عشرين؟  
لقد نهض بالحرب، فتى ولم يرتج، ارتاح حين أراد الموت، فأعطى الراية ليافع، فالدرب ما فتى بعيداً. ولماذا؟ فقد كان يُقدّر أن بلاد الشام يلزمها الوقت عينه، خمسين سنة من التحرير.  
كل أمر عظيم، أسير الزمن، وبلاد الشام كبلاد شبه الجزيرة عظيمة، إذاً، هي بحاجة للزمن. ومن يدري؟ ربما الشام يلزمها أكثر من ثائر، ربما بحاجة إلى أكثر من أسامة.  
جيش أسامة أربع روما، اقشعر القيصر، إنما الضربة كانت ضربة خالد بن الوليد.  
«وبعث أسامة إلى الشام، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين»  
حكمته، أن يتجه أسامة صراطاً إلى فلسطين، وحذرته: إياك أن تحتك بجيش القيصر قبل أن تنام في فلسطين. ووجهه: اسلك إليها طريق البيداء، طريق البلقاء والداروم، فروما لا تقدر على

المنورة في الصحراء، الداروم بوابة سوريا الجنوبية، من اجتاز البوابة تحصن واصبح في مأمن. وحدّره ثانية: إياك أن تحتك بجيش القيصر قبل أن يطأ خالد اليرموك: وقال: فلسطين مربض الخيول العربية، من كانت فلسطين مربضاً لخيوله ترامت له الثمار. اربض في فلسطين وازار، تتجذب إليك عيون روما، مع زئيرك يتحصن خالد في اليرموك. أسامة، أنت دريئة روما، وروما دريئة خالد. اذهبا بسلام واقظفا فلول روما، حطما أسطورة هرقل.

بعثني أميراً إلى فلسطين، ودخل في الغمر<sup>(1)</sup>. وبذلك أصبحت فلسطين وصية النائر، أمانة في عنقي، وعنق كل عربي نائر. وما أن «انكمش الناس في جهازهم» حتى مكنّ ملاك الموت تلايبب يديه، فأبطأ أسامة الجدّ إلى فلسطين «ولما ثقل النبي هبطت، وهبط الناس معي إلى المدينة، فدخلت عليه، وقد أصمت فلا يتكلم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليّ، فأعرف أنه يدعو لي...» فجعل يرفع يده إلى السماء، ثم يشير صوب الجنوب، وأعرف أنه يلومني، فالجيش قد تأخر إلى فلسطين. فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يشير إلى صدره، فأبلغت سره، وفهمت سره، إن القدس حبيبته، وأنه يوصي بها خيراً. فجعل يرفع يده إلى السماء، ثم يردها إلى السماء، وعلمت أن لا مفر لنا من اثنين: الموت والنصر.

واتجهت إلى فلسطين، ودخل في النزاع، وبذلك أصبحت فلسطين، وصية النائر، أمانة في عنقي، وعنق كل عربي نائر. فلسطين ليست وصية النائر وحسب، فلسطين الحدود الجنوبية لسوريا، وبوابة الغزاة إلى العالم العربي، إذًا، هي لا تذهب بوعده، ولا تضيع بمعاهده. فلسطين ليست مقدسة لأنها مذبح الشهداء، أو لأنها سلم الإسرائ والمعرّاج. فلسطين مقدسة لأنها قلب الأمة النابض، وعقلها الفارض. نتولى إليها ليس لأنها ثاني القبلتين، بل لأنها الوصية. لقد جاء في الوصية: ليس لروما قدم في الشرق.

نتجه إليك يا قبلة المدائن، يا ظهر دمشق، يا بوابة الإمبراطورية الآتية. نتجه إليك أيها الغضب الساطع، ونحن كلنا ثائرون، سائرون... أعناقنا وصية، وقلوبنا أمانة.

نتجه صوب الحجر وتُكبر للثورة الآتية.

**ابن أبي حرد:**

"لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم"

شوك أبي حرد يقتله بيده، وشوك الأمة تقتله يد أبو حرد وأيدي الثائرين.

غنم أبي حرد عمله، سواعده وعقله. وغنم أبي حرد الذي غنمه في الحرب للأمة، أن أراد الثائر أصاب أبا حرد بعضها، وإن أراد منعت عنه وهو راض سعيد. الثائرون يقاتلون في سبيل الأمة يقتلون ويقتلون، وهذا حصادهم، ولا يقاتلون في سبيل أهواء، أنعاماً كانت أم متاعاً. الأهواء تعيق حركة السيف، وتنقل حركة النفس، فتبطل. الثائرون لا يخلعون أبواباً موصدة، ولا يحطمون نوافذ مرصودة، أبوابهم الحرب، ونوافذهم القتال.

الثائرون يمشون الطريق الأقصر إلى الحرب، لا يلوون، ولا يزعنون، ولا تغرهم أنوار، ولا تسرقهم ألوان، يجذبهم بيلاطس<sup>18</sup>، وتدفعهم الكرامة.

(1) الغمر: غيبوبة الموت.

حصاد الحرب ملك بيت مال الثائرين، تحرسه عيونهم، وليس لأحد من الثوار عليه يد، ومحمد الثائر نفسه له عين، إنما لا يد له.

تزوج أبو حدرد وزرعه للثورة. وسيجني أبو حدرد وثمره للثورة، أبو حدرد ثائر دونه الثوار، قد خلت الثوار من قبله، فهو يردف الثورة بالمال والبنين، لا يمنن ولا يتكلم، فهل تُختَصَر الثورة عند زواجه؟

تزوج أبو حدرد، لكن لم يستشهد، وإذا كان الشهيد أجره في السماء، فلماذا يكون زواج أبي حدرد في الأرض؟

تزوجت، ورأسمالك سيفك، فلماذا ترفع في صداقك؟ احسن الصداق القليل، وأفضله الكلمة. تزوجوا القناعة، ولا تتفرقوا.

ضخمت الصداق ووعدت، فالوعد دين، في<sup>19</sup> دينك عجب أمرك، تفي دينك في الحرب ولا تقيه في الزواج؟

وضاقت به الدنيا على وسعها، وكاد الكون أن يطبق عليه ويختنق.

وكان الفرّج، فالذي جلب الفرّج للأمة لا يضنيه امرئ، وجئت الثائر الفرّج الموعود.

«تزوجت امرأة وأصدقته مائتي درهم، وجئت الرسول أستعينه على نكاحي»

فقال: وكم أصدقت؟

قلت: مائتي درهم.

قال: «لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدت... ما عندي ما أعينك به»

ولبثت أياماً حتى كان الفرّج؟

«فدعاني الثائر مع اثنين إلى معسكر الأعداء، ونأتيه بخبر وعلم»

خبر وعلم فقط، وحذرنا.

ودخلنا في القوم... خبرنا وعلّمنا، ثم يوم العودة قاتلنا وقتلنا حتى فتح علينا النزال فتحاً عظيماً. ثم «استقنا إبلاً عظيمة، وغنماً كثيرة» وجئنا نحملها سهلة إلى الرسول. فأعانني من تلك الإبل ما أود بزواجي «ثلاثة عشر بعيراً في صداقي، فجُمعت إلى أهلي»

أعانني بها قبل أن تدخل بيت المال، ولو دخلت لمُنعت عن أبي حدرد.

أما كيف أعانني منها؟

لقد كلّفني العمل، العلم والخبر، وزدتها يسراً: القتال والسوق، القتال والسوق غنم أبي حدرد. كان الأولى منعها عني.

وكان الأولى الاقتصاص مني، فقد خالفت تكليفي، وفضحت سره، لكنها كانت نخلة وافرة يانعة، جناها النضوج فقطفتها.

لم يقتص، هذا جنى ابن الصحراء، أما جنى ابن الطائف، فالحرّاة والزرع.

<sup>18</sup> بيلاطس: كناية عن روما وليس اسم علم

<sup>19</sup> في فعل أمر من وقى

## رجل من البصرة: "اغزوا جميعاً في سبيل الأمة"

وللحرب وجهان

وجه خارجي، وهي قصيرة صغيرة، نيزك، ومضة وتزول، وسلاحها المناجيق والدبابات. ووجه داخلي، وهي أمد لا تنتهي، كوكب، وان شئت قلت فلك، وأكثر فهي كون لا حدود يجمعه، وسلاحه القلم والسيف.

الحرب بستان يزرع مرة، ويقطف مرات، وليست حقلاً يزرع كل غيم، ويحصد كل شمس. تراب الحرب الخارجية بستان يزرع مرة واحد، وصنف واحد، أما تراب الحرب الداخلية، حقل يزرع مع الفصول، ويبدل مع السنين، وينتهي مع القرون.

عين الحرب الخارجية تكبو وترتاح، أما عين الحرب الداخلية فلا كبوة لها ولا راحة.

هذا، لا يعني أن طرد الذئاب إلى خارج حدود الأمة يأمن ليلكم. تحصنوا... حصنوا

مجتمعكم بالعلم تأمنوا. لُقحوا مجتمعكم بالأخلاق تبعدوا داء الكلب.

العواء خارج حدود الحظيرة؟ اسمعوه، إنه داخل حدود الوطن، في قلب الأمة... لا تعرفوا

متى تغدر الذئاب، اطردهم من فلسطين تأمنوا شرهم.

تريدون الأمة؟ اسمعوا،

دونكم والحرب الداخلية، خمس فضائل من تمسك بها لا يضل أبداً.

عدوها ونحن نتلوها عليكم:

«الفاحشة»

«إنه لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها، إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع، التي لم

تكن في أسلافهم الذين مضوا»

«الميزان»

«ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان»

«الزكاة»

«ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا من السماء، فلولاً البهائم ما مطروا»

«العهد»

«وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب عليهم عدو من غيرهم، فأخذ بعض ما كان في

أيديهم»

«العدل»

«وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله، وتجبروا فيما أنزل، إلا جعل الله بأسهم بينهم»

تزرعون خارج حدود الأمة؟ تريدون لزرعكم التواضع؟ اعتصموا بسنتي تفلحون.

دونكم والعمامة فهي ليست للقر، ولا هي للحر، العمامة حضارة بها تعرفون، وبأصابعها

الأربع تكنون.

العمامة نصر، نحوها يتوافد الناس.

قران العمامة اللواء، واللواء لحرب الغير، قيصر وكسرى.

رأس العمامة الحرب «اغزوا جميعاً في سبيل الأمة، فقاتلوا من كفر بالحق، لا تغلوا، ولا

تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً»

اعتصموا بالحسنى، زينوها بالنصر، وهكذا يقلدونكم... الناس تقلد المنتصر.

انتم شوقيون عرب ورؤوسكم عمامة وليس قبعة، ارموا القبعة...

العمامة خال. كونوا أخوال الأمم، ولا تكونوا أعماماً.

ما فتنّت أوروبا تحن إلى أخيها قدموس، وما فتى أبناءها يعملون بميراث خالهم.

العمامة حضارة... ومن يظنها رمز الدين فقد ضلّ ضلالاً بعيداً...

العمامة تمقت المكروه حتى في أعدائها.

اعتموا وامضوا، فبلادكم سبية سجيئة، والوقت عصيب.

**أبو عبيدة بن الجراح:**  
**«زاد السرية جراباً من التمر»**

جهز سرية إلى «سيف البحر»

والبحر بعيد، والطريق صلصال ورمال.  
والبعير ماذا يحمل ليحمل؟ الفارس؟ الزاد؟ أم العلف؟  
واخترت الإبل، الفتى منها، وسميت الفرسان، الحدث منهم، ومما عركتهم الحرب بتجاربها.  
ثم سألت الإذن في المسير.  
وقام فينا يغمرنا بنظرة اللقاء العاجل، وسأل: والعتاد؟ والزاد؟... سألني ونفسه تضرر امتحاناً.  
العتاد؟ كل فارس يعرف سلاحه.  
والزاد؟ أما الزاد، فإعاقاة وتخمة... شرط المعرفة.  
شرط المعرفة، وابتسم وقال: «إن الكافر يأكل في سبع أمعاء، وإن المسلم يأكل في معي واحد»

الكافر لا يشبع فهو يعيش ليأكل، أما الثائر فهو يأكل ليعيش.  
الكافر سقيم لا يأكل إلا من معجن أهله، ولا يشرب إلا من نبع القرية، أما الثائر فالدرب طبياته، والسراب شرابه.  
الإنسان ليس عنزاً لينطح على تبن، ولا ذئباً لينهش حذاء جيفة، الإنسان يقاتل لأجل عقل.  
أبو عبيدة وجراب من تمر للأوقات العصيبة الصعبة، ينفع الجنود ولا يضر «وزودهم بجراب من التمر» وقال: إن محلت وجدته، وإن أقبلت خيرك... فاختر.  
وحملته مضض، مضض كان الرغيف الأبيض، وكان كوة الأمل في الليل البهيم.

جهز سرية إلى سيف البحر،

وسرية إلى تبوك لحرب القيصر،

وأخرى إلى العراق لحرب كسرى،

وثالثة إلى فلسطين،

وغيرها... وتلك... وهذه؟

والحجاز من يزود عن حياضها؟

وكأنني به سمع خاطري، فقال مخاطباً الناس:

ليركب الأعداء مراكب الأوهام، فما ركبها واهم إلا هوى.

أرسلوا عدوكم حيث لا تتجهون.

الحرب غانية ساحرة، والغانية داؤها ودواؤها السحر.

البلح ينضج مرة واحدة وعندما ينضج يأتيه الكرامون توأ. إن تأخروا توزعته الأنعام والطيور، وتناثرته الرياح، وأغرقتة الغيوم. وهكذا الحرب عندما تنتضج، يقطفها الجنود.

الحرب مدينة قد فتحت أبوابها لكم فهل نغلقها؟

يقولون لكم ليضلوكم: الحرب واحدة أحد وحيدة، وهكذا بابها واحد أحد وحيد. لقد

أخطأوا، وأقول: انه لقول الضعفاء، فالضعفاء تزعجهم كثرة الأبواب، كيف، هل أنتم

ضعفاء؟ لا أحسبكم إلا أقوياء، وكما اخترتموني شمسكم إلى النصر، إلى النصر أسير

بكم، ونعم النصر الذي تصنعون!

حربكم غايتكم، وكيف يسعد إنسان لا غاية له؟

حربكم شمس عظيمة كغايتكم، وكما الشمس تشرق بالعدل على الروابي والسهول وعلى

الوديان والجبال، هكذا حربكم.



حربكم غيومٌ، وليس سحب عابرة، إن أمطرت، أمطرت مطراً غزيراً وكثيراً ووفيراً...  
من أراد نكاحاً للحرب ليأتيها من أبوابها.  
أذهبوا بسلام، فأنتم لا تشعلوا أتونها لتغرقوا الأرض دماء، أنتم ناشرو السلام.  
حربكم قرين السلام، وأنتم قرين الأمة.  
أنتم خير أمة أخرجت للناس.

عائشة:

### «بل إلى الرفيق الأعلى»

الثائر والموت في مرحلة الصراع الأخير، يجذبه مرة فيغمض عينيه، ويدفعه مرة فيفتحهما، فكيف يريد الرحيل؟

الزعيم في مرحلة النزاع الأخير، سيمضي، إنما نظرة لا تأخره.  
ولماذا؟ هل من خطب؟ أسامة ومضى إلى فلسطين.  
النبي في مرحلة الجولة الأخيرة، سيمضي إنما بلاده، أمته، وطنه؟  
واطمأن...

سيمضي، أما ثورته فباقية لا ترتاح إلا في إنطاكية، ثم تجد ساعية حتى تشرق في الغرب، في مجاهل أوروبا بلاد الغال وبلاد اسبانيا، وبلاد روما، وبلاد إيطاليا... ثم، وثم تشرق على العالم.

ومحمد في مرحلة النزاع الأخير، يستعجله الموت، وهو يستمهل «دخل علينا رجل من آل أبي بكر وفي يده سواك أخضر، فنظر محمد إليه في يده نظراً عرفت أنه يريد، قلت: أتحب أن أعطيك هذا السواك؟»

فابتسم، وكانت الأخيرة، وكانت رائعة، رائعة...  
«فأخذته فمضغته حتى لينته ثم أعطيته إياه، فاستاك به»

وقال: «بل الرفيق الأعلى من الجنة...»

«ثم وجدته يثقل في حجري، فذهبت انظر في وجهه فإذا نظره قد شخص»

وخرجت إلى الناس أحمل الثقلين: ثقل الأمة، وثقل الثورة.  
وخرجت أحمل ما لا يطاق وكاد رأسي يخونني، فأقع ويتبعثر ما أحمل لولا الأصحاب الأربعة، فأسرعوا، وخففوا عني.

وشخصوا الناس طويلاً، وكانوا لا ينتظرون فمي، كانوا ينتظرون الوصية.

لم يجتمعوا لمال، أو لسلطة، اجتمعوا لمصيرهم.

لم يأتوا للطم وشق الصدر، فالعظيم لا يلطم.

لم يأتوا للدموع، فقد ولّى البكاؤون وولى عهدهم.

لم يقدموا الناس حاملين المعاول والرفوش، بل قدموا يحملون السيوف.

وصلوا، وكانت عيونهم تقول: إن اكتفيتم في الحجاز... الثورة تلد الثورة، والحرية تلد الحرية. وإن النهج اقتفيتم، فنحن سائرون... وكانوا هم، هم الثائرون.  
وتألمت حتى تكلمت، فقلت:

أيها الناس، من كان ينتمي للرشيد فإن الرشيد قد مات، ومن كان ينتمي للامة، فإن الامة خالدة على الزمان، وإن الرشيد قد أراكم أمة إن كنتم تعلمون؟

أيها الناس، من كان يسير خلف إمامة أحمد، فإن أحمد قد توفي، ومن كان يسير خلف بلاد، فإن البلاد باقية على الدهر، وإن أحمد قد أراكم للبلاد إن كنتم تعرفون؟

أيها الناس، اهتديتم بالثائر ما دام الثائر بينكم وعندما مات بثورته تهتدون، ومن تمسك بالثورة لا يضل أبداً. وإنه قد نذركم للثورة إن كنتم تدركون؟

أيها الناس، انتصرتم بالزعيم ما دام الزعيم بينكم، ولما مات، بغايته تنتصرون، وإن الزعيم بعثكم غاية إن كنتم تقلحون؟

أيها الناس، اقتبستم نور وجهه ما دام وجهه مشرقاً، وحين انتقل إلى «الرفيق الأعلى» فمن ريادته تقتبسون؟

أيها الناس، أن الثائر قد ترك فيكم اثنين: العقل والأمة، من اعتصم بهما لا يزيغ مطلقاً؟  
أيها الناس، صراطه ومشاه، بلادكم وحملها، فامشوا واحملوا، لقد حملكم وهنا على وهن، ولم يبق أمامكم إلا القليل. اصبروا تفلحوا، وتلاقون وجه أمتكم نضراً ناظراً، وانتم تتظرون؟  
عشتموه نبياً، وفارقكم نبياً، وهذه معجزته، بعث أمة ميته، حسبها أداؤها أن لا قيامة لها...  
الأنبياء أحيت الميت، أما هو فقد أحيا أمة.

من أراد منكم النبوة، فهذه صراط الأمة:  
لم يجادلکم، فلا تجادلوني، العمل ميزان الجدل.  
لمستموه مشكاة أنتم شعلتها، ومشكاة شعلتها أنتم لا تتطفئ أبداً.  
تحسستموه صرحاً أنتم حجارته، وصرح أنتم حجارته لا يتزعزع إطلاقاً.

تجسستموه كلمة أنتم روحها، وكلمة أنتم روحها لا تزول مستحيلاً.  
اسمحوا لي أن أحدثكم عن بعضه، وهذا بعض حقي، إن سر الرجل المرأة.  
ما قال مرة أنا، قال نحن. وما قال لي، قال للأمة.

ما بهت مستحيلاً، بل همّ محاولاً، وما سأل "هل"؟ سأل "كيف"؟  
ما تكلم "فماً"، تكلم "يداً"؟

ما رفض قضاء، تلون له؟

ما اعتذر إنه القدر، إنه قدري؟

ما تربع افعل، وقف، نهض ولنفع؟

"محمد النبي الثائر" غيظ من فيض، فمن أراد أكثر ليأتي لا يندم؟  
لا تظنوا أن النبع قد جف... احفروا.

## الخاتمة

التقيت النبي، فسألني عاتباً: قاعد خامل. ولا احسبك من الخاملين. هيا لماذا لا تقدمني للناس؟

قلت: اخاف أن اخطئ؟ فقال: لا إقدام إلا في الخوف. ولا شجاعة إلا في الخطأ، هيا.

قلت: وهل لأمثالي الضعفاء أن يقدموا أمثالكم العظماء؟

قال: الضعف شجرة. والعظمة ثمرتها.

قلت: إننا نحن العرب نريد الحرية. والضعف لا ينهض بالحرية؟

قال: إنما الحرية شمس. وشمس تتبثق من كثبان العبودية. وضمير الدولة القادمة. الحرية والتي اعدكم بولادتها ستولد من بين انقاض هزائمكم، وتمزق رؤياكم، وشرذمة ربحكم.

قلت: ومتى ذلك اليوم الموعود؟

قال: انتم صانعوه. اليوم الموعود الآن. اذهب وبشر الناس ان المخلص قد قام. وأن المهدي قد وصل. سلمهم ألم يسمعو صوت الناقوس؟ ألم يروا نور السيف؟ ألم يوقظهم آذان الفجر؟

قلت: كثيرون جاءوا باسمكم، وقالوا نحن هو. ورأيتم حاملين بشارتكم هذه. وقد كانت يمانهم كتاباً، وجباههم نوراً. ومع ذلك، فقد سرقونا ومضوا، فكيف نصدق؟ كيف نتأكد؟

قال: صدقني، هل رأيت يميني غير السيف، وجبهتي غير الحرية؟ أنا طهرت التراب العربي من الإثم الروماني، فهل طهرته؟ هل أنت فاعل؟

قلت: الإثم الروماني، لم يبق روماني ليبقى إثماً؟

قال: تغيرت الاثواب وتلوننت وتشكلت والذنب واحد.

أنا احذثكم، فإن كنتم لا تتقون بي، فبمن تتقون؟

صح، خطأ؟

أصبت، فشلت؟

ليس غايتي، غايتي أن أكون ريحاً زرعاً وأزعزع المجتمع العربي في عصر الحاكم. نرجو أن نكون أول الغيث، ولا نعتذر؟

نرجو أن نكون حافز الغد، ونرجو أن نكون شمعة للأميين فيقرؤوا كتابهم بعين البصيرة، وليس بعين البصر.

ومتى ابتداء المطر يغمر الأرض نعتذر.

## الـحـرـوب

الرقم	اسم الحرب	الكناية	المكان	شارك في القتال	القيادة	التاريخ	التوثيق	نوعها
1	ودان	الأبواء			قيادته		ف2، 170	غزو
2	بواط				قيادته		ف2، 176	غزو
3	العشيرة		بطن ينبع		قيادته	2 هـ	ف2، 176	غزو

4	بدر الأولى	سفوان	مكة	قيادته	9 هـ	ف2، 178	غزو
5	بدر الكبرى			قاتل		ف2، 182	غزو
6	بني سليم	قرقرة	الكد	قيادته		ف3، 3	غزو
7	السويق			قيادته		ف3، 3	غزو
8	ذي أمر	غطفان		قيادته	3 هـ	ف4، 3	غزو
9	بحران		الحجاز	قيادته		ف4، 3	غزو
10	أحد		المدينة	قيادته	3 هـ	ف3، 44	غزو
11	حمراء الأسد			قيادته		ف3، 44	غزو
12	بني النضير		يهود المدينة	قيادته	4 هـ	ف3، 108	غزو
13	ذات الرقاع	صلاة الخوف		قيادته	4 هـ	ف3، 119	غزو
14	بدر الآخرة			قيادته	4 هـ	ف3، 123	غزو
15	دومة الجندل			قيادته	5 هـ	ف3، 126	غزو
16	الخنديق	الاحزاب		قاتل	5 هـ	ف3، 173	غزو
17	بني قريظة			قاتل	5 هـ	ف3، 140	غزو
18	بني لحان		هذيل	قيادته		ف3، 170	غزو
19	ذي فردة		المدينة	قيادته	6 هـ	ف3، 175	غزو
20	بني المصطلق	خزاعة		قاتل	6 هـ	ف3، 182	غزو
21	خبير			قاتل		ف3، 216	غزو
22	القضاء			قيادته		ف4، 189	غزو
23	الفتح		مكة	قاتل	8 هـ	ف3، 210	غزو
24	حنين	اوطاس	الحجاز	قاتل	8 هـ	ف4، 22	غزو
25	الطائف			قاتل	8 هـ	ف4، 90	غزو
26	تبوك	الفاضة	روم، الشام	قاتل	9 هـ	ف4، 118	غزو
27	الحديبة		مكة	قيادته	6 هـ	ف3، 196	غزو
28	ثقيف	بيعة رضوان		قيادته	9 هـ	ق3، 44	غزو
29	ذات الفضول		قفقاع	قيادته		ف3، 5	غزو
30	ذي المروة			عبدة بن الحارث		ف2، 171	سرية
31	ساحل البحر	عيص		حمزة بن عبد المطلب		ف2، 174	سرية
32	الخرار			سعد بن ابي وقاص		ف2، 178	سرية
33	نخلة			عبد الله بن جحش		ف2، 178	سرية
34	القردة		القردة	زيد بن حارثة		ف7، 3	سرية
35	الرجيع		هذيل	مرثد بن ابي الغنوي	4 هـ	ف4، 189	غزو
36	بئر معونة			المنذر بن عمرو	4 هـ	ف3، 103	سرية
37	ذا القصة	العراق	طريق نجد	ابو عبدة بن الحارث	11 هـ	ف4، 189	غزو
38	تربة			عمر بن الخطاب		ف4، 189	غزو
39	اليمن		همدان	علي بن ابي طالب	8 هـ	ف4، 189	غزو
40	اليمن		مزجج	علي بن ابي طالب	10 هـ	ف4، 191	غزو
41	الكديد			غالب بن عبد الله الكلبي		ف4، 189	غزو
42	الغمرة			عكاشة بن محض		ف4، 191	غزو
43	نجد		قطنا	ابو سلمى بن عبد الأسد		ف4، 191	غزو
44	هوزان		القرطاء	محمد بن مسلمة		ف4، 191	غزو
45	فدك			بشير بن سعد		ف4، 191	غزو
46	خبير			بشير بن سعد		ف4، 191	غزو
47	الجموم			زيد بن حارثة		ف4، 191	غزو
48	ذات اطلاق		الشام	كعب بن عمير الغفاري		ف4، 191	غزو
49	جدام		حُسين	زيد بن حارثة		ف4، 191	غزو
50	الطرف		العراق	زيد بن حارثة		ف4، 195	غزو
51	فزارة			زيد بن حارثة		ف4، 195	غزو
52	خبير		اليسير	عبد الله بن رواحة		ف4، 196	غزو
53	خبير			ابن عتيك		ف4، 196	غزو
54	مؤتة	الشام		زيد بن حارثة جعفر بن ابي طالب عبد الله بن رواحة	8 هـ	ف4، 17	غزو
55	بني سليم			ابو العوجاء		ف4، 191	غزو
56	عتبة			سعد بن ابي وقاص		ف3، 32	غزو
57	العنبر			عينة بن حصن		ف4، 198	غزو
58	ذات سلاسل		الشام	عمرو بن العاص	8 هـ	ف4، 199	غزو
59	إضم			ابن ابي حدر		ف4، 201	سرية
60	بني مرة			غالب بن عبد الله		ف4، 199	سرية
61	الغابة			ابن ابي حدر		ف4، 203	غزو

62	دومة الجندل				عبد الرحمن بن عوف	ف4، 204	غزو
63	سيف البحر				أبو عبيدة الجراح	ف4، 205	غزو
64	فلسطين	الروم	الشام		أسامة بن زيد	ف4، 187 هـ 9	غزو
65	مدين				زيد بن حارثة	ف4، 208	سرية
66	اغتيال ابو سفيان بن حرب				عمرو ابن أمية	ف4، 206	سرية
67	اغتيال ابن سنانة				حويصة	ف3، 12	سرية
68	اغتيال كعب بن الأشرف				محمد بن مسلمة	ف3، 7	سرية
69	اغتيال خالد بن سفيان الهزلي				عبد الله بن أنيس	ف4، 196	سرية
70	اغتيال ابي عفك				سالم بن عمير	ف4، 208	سرية
	اغتيال عصماء بنت مروان				عمير بن عدي الخطمي	ف4، 209	سرية
71	سلام بن ابي الحقيق				علقمة بن مجزر	ف3، 170	سرية
72	اغتيال البجليين				كرز بن جابر	ف4، 211	سرية
73	طيئ		العراق		علي بن ابي طالب	ف21، 646 هـ 9 (عن هاشم الحسني)	سرية

**ملاحظة:** ورد في الجدول عدداً من الرموز، نوضحها لنسهل القراءة والمتابعة. مثلاً: ف4، 198 فماذا يعني ذلك: ف: فصل، 4 رقم الفصل، 198 رقم الصفحة من سيرة ابن هشام.